
كتاب الحكمة
وثائق
مهرجان باكثير
في مصر
دار الحداثة
اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين
Bibliotheca Alexandrina
01193976

وثائق مهرجان باكثير

دار الحداثة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
ص.ب: ١٤٥٦٣٦ - تلفون: ٨٣٣٩٨٩ بيروت - لبنان

كتاب الحكمة

وثائق مهرجان باكثير



اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين

طريق المطار - شارع مدرسة القتال
بناية حلمي عويدات
تلفون: ٨٣٣٩٨٩ - ص. ب: ١٤٥٦٣٦
الطبعة الأولى
١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

علي أحمد باكثير .. في سطور

* ولد بمدينة سورابايا في اندونوسيا عام ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م .
* في ١٥ رجب ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م . اتى بمعية والده الى حضرموت وهو دون البلوغ .
* تلقى تعليمه على عمه الشيخ محمد بن محمد باكثير قرأ عليه الفقه والنحو والادب والتاريخ .
* كتب الشعر مبكرا ، من قصائده قصيدة كتبها عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٣ م . وصفها عمه محمد بانها قصيدة غراء .
* عام ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م . غادر سيئون لاول مرة الى اندنوسيا وخلال اقامته باندنوسيا قام بنشاط واسع في محاولة التوفيق في الخلاف الذي نشب هناك بين ابناء حضرموت آنذاك .
* عاد الى سيئون في شوال ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م . (ابريل) قادما من أندونوسيا .
* ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م . شارك في اصدار مجلة التهذيب بمدينة سيئون عالج فيها امراض المجتمع باشعاره وكتاباته ، ودعا الى انصاف المرأة والى العمل .

* لقي ما ينشره في التهذيب اعتراضات ومضايقات كثيرة وطالب اعداء الحرية والتقدم بايقاف التهذيب عن الصدور .
* ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م . غادر سيئون الى عدن ثم طاف الصومال واثيوبيا ووصل الحجاز في اواخر عام ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
* بمدينة الطائف كتب مسرحيته الاولى (همام او في عاصمة الاحقاف) .
* ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م . وصل الى مصر وفي نفس العام (١٩٣٤) نشر مسرحيته (همام أو في عاصمة الاحقاف) . وفي عام ١٩٦٥ م . أعاد نشرها بعنوان (همام أو في بلاد الاحقاف) .
* ١٩٣٩ م . حصل على ليسانس كلية الآداب .
* عام ١٩٤٠ م . حصل على دبلوم معهد التربية .
* ١٩٤٣ م . تزوج بمصر .
* عام ١٩٥٣ م . حصل على الجنسية المصرية .
* محرم ١٣٨٨ هـ / ابريل ١٩٦٨ م . عاد الى وطنه الاصلي سيئون بعد غياب امتد ٣٦ عاما .
* صفر ١٣٨٨ هـ / مايو ١٩٦٨ م . غادر سيئون لاخر مرة الى القاهرة .
* غرة رمضان ١٣٨٩ هـ / ١٠ نوفمبر ١٩٦٩ م . توفي بمنزله في القاهرة بمصر على اثر أزمة قلبية حادة .
* دفن بمدافن الامام بمصر في مقبرة عائلة زوجته المصرية رحمه الله » .

* كتب ما يزيد عن ستين كتابا معظمها مسرحيات .

* كان عضوا في لجنة الشعر والقصة بالمجلس الاعلى لرعـاية الفنـون والكتاب وعضوا في نادي القصة .

* حصل على منحة التفرغ لكتابة ملحمـة عن حياة الخليفـة عمر بن الخطاب .

* حصل على عدة اوسمة وجوائز . ففي عام ١٩٦٢ م . حصل على جائزة الدولة التشجيعية للآداب والفنون وحصل على وسام العلوم والفنون تقديرا من الرئيس جمال عبد الناصر .

* ١٩٦٣ م . حصل على وسام عيدالعلم .

بعض مؤلفات الاستاذ باكثير

الرقم	الكتاب
١،	همام . . أو في عاصمة الاحقاف (مسرحية)
٣،	اخناتون ونفرتيتي (مسرحية)
٥،	وا إسلاماه (قصة)
٧،	الفرعون الموعود (مسرحية)
٩،	ابراهيم باشا (مسرحية شعرية)
١١	عودة الفردوس (مسرحية)
١٣	سر الحاكم بأمر الله (مسرحية)
١٥	السلسلة والغفران (مسرحية)
١٧	الدكتور حازم (مسرحية)
١٩	مسمار جحا (مسرحية)
٢١	مأساة اوديب (مسرحية)
٢٣	سيرة شجاع (قصة)
٢٤	امبراطورية في المزاد (مسرحية)
٢٧	اوزوريس (مسرحية)
٢٩	دار ابن لقمان (مسرحية)
٣١	إله اسرائيل (ثلاث مسرحيات متكاملة)
٣٣	الزعيم الاوحد (مسرحية)
٣٥	الفلاح الفصيح (مسرحية)
٣٨	شادية الاسلام ـ الشيماء (أوبريت)
٣٩	حبل الغسيل (مسرحية)
٤١	التوراة الضائعة آخر من نشر من مسرحيات
٤٣	سفر الخروج الاخير

الرقم	الكتاب
٢،	نظام البردة ذكرى محمد (قصيدة)
٤،	سلامة القس (قصة)
٦،	قصر الهودج (مسرحية غنائية اوبرا)
٨،	شيلوك الجديد (مسرحية)
١٠	الدودة والثعبان (مسرحية)
١٢	روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير)
١٤	ليلة النهر (قصة)
١٦	الثائر الاحمر (قصة)
١٨	ابو دلامه ـ مضحك الخليفة (مسرحية)
٢٠	مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسيه)
٢٢	سر شهرزاد (مسرحية)
٢٤	شعب الله المختار (مسرحية)
٢٦	الدنيا فوضى (مسرحية)
٢٨	في المسرحية من خلال تجاربي الشخصية
٣٠	قطط وفئران (مسرحية)
٣٢	هاروت وماروت (مسرحية)
٣٤	جلفدان هانم (مسرحية)
٣٦	هكذا لقى الله (مجموعة تمثيليا)
٤٠	ملحمة عمر (٨ أجزاء)
٤٢	قاب قوسين
٤٤	مصعب بن الزبير

الكلمات التي ألقيت في المهرجان

كلمة الدكتور سالم عمر بكير . . عضو اللجنة المركزية رئيس جامعة عدن ، رئيس اللجنة التحضيرية للمهرجان

الرفيق حيدر ابو بكر العطاس عضو المكتب السياسي رئيس مجلس الوزراء الرفاق اعضاء اللجنة المركزية والوزراء ، الاخوة الضيوف من الاتحادات الشقيقة . . اتحاد الادباء والكتاب العرب ، الاخوة اعضاء المجلس التنفيذي والامانة العامة لاتحاد الادباء والكتاب اليمنيين ، الاخوة الحاضرون جميعا .

أحييكم تحية حارة وارحب بكم هنا في سيئون كما سماها علي احمد باكثير عاصمة الاحقاف احييكم في هذه المدينة الباسلة المدينة ذات التراث والتقاليد العريقة والتي انجبت كثيرا من العلماء والادباء والمفكرين ومنهم اديبنا العبقري علي احمد باكثير .

باسم اللجنة التحضيرية التي انبثقت عن اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين لتكريم علم بارزٍ من اعلام الادباء والكتاب اليمنيين في هذا اليوم بمناسبة ذكرى خمس وسبعين سنة لميلاده وخمس عشرة سنة لوفاته دليلا على ان الادباء والكتاب اليمنيين المبدعين لا يموتون ابدا وانما يبقون خالدين

بكلماتهم وافكارهم ونضالهم في قلوبنا وعقولنا وسوف يبقون هكذا الى الابد وانه لتقليد جيد ان ينهض اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين بهذه المهمة الجديدة لتكريم هذا العلم الفذ علي احمد باكثير . . . وانه لمناسبة طيبة ان يلتقي ويجتمع في هذا اليوم ادباء عرب من اقطار شتى بعيدة المسافات وان تلاقينا قلوبا ومشاعر . . . وان يتلاقى الادباء اليمنيون هنا في هذه المدينة سيئون لتبادل الخبرات والتجارب ويكون هذا اللقاء عيدا وفرصة للادب والفكر والشعر والمسرح اليمني . . . ذلك ان علي احمد باكثير كما عرفته وقد عرفته كان الرجل شاعرا وشاعرا مجيدا ومكثرا وان لم تظهر له الا دواوين قليلة في بداية انتاجه وكان علي احمد باكثير قاصا وله العديد من المؤلفات في مجال الرواية والقصة وكان علي احمد باكثير مسرحيا من الطراز الاول فهو يقف على نفس القوة التي يقف فيها أمثال توفيق الحكيم ثم تأتي أجيال مثل يوسف ادريس ومن بعدهم وقد رحل هذا الاديب من اليمن من حضرموت في طريقه الى مصر مارا بعدن والحجاز ثم استقر في مصر وقد كانت مصر تراوده منذ زمن بعيد لينهل منها العلم - والمعرفة وليحقق ذاته والحقيقة استطاع باكثير ان ينافس جل العباقرة في مصر امثال طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم واستطاع ان يستمر معهم ويساندهم في هذا المضمار لهذا فنحن نحيي هذه العبقرية الفذة التي استطاعت ان تبرز وتشع في مصر التي كانت نبراسا للفكر والثقافة ونحن نحيي علي احمد باكثير لانه كان يؤمن ايمانا عميقا وراسخا بقوة الكلمة وان الكلمة هي الفعل وانه كان يريد ان يفيد المجتمع بواسطة الكلمة وكتب مسرحيته الاولى همام او في عاصمة الاحقاف التي انتقد فيها اوضاعا اجتماعية ظالمة كانت موجودة في المنطقة اليمنية في حضرموت وغيرها انتقدها انتقادا من باب الحب والحرص لانقاذ المجتمع من المفاسد ودفعه

الى الامان . . ثم عندما كان في مصر كانت كل مسرحياتـه هادفـة نحو تثقيف الذات العربية . .

ودفعها للتطور الى الامام ومحاربة اعدائنا من امبرياليين واستغلاليين وعنصريين لقد كانت كلماته جحيما وسياطا ضد هؤلاء العتاه وكان يؤمن ان هذه الحرب وهذه الكلمة سوف تؤتي أكلها وبالفعل استطاعت كلمة علي احمد باكثير ان تنتشر وتؤثر في كثير من القراء وكثير من الادباء ومن يستطيع ان يقرأ أو يشاهد مسرحية مثل مسرحية مسمار جحا لعلي احمد باكثير ويرى ان هذه المسرحية موجهة توجيها مباشرا ضد الاستعمار واحتلاله لبلادنا واختلاقه الاعاذير من اجل استمرار احتلاله . ومن يستطيع ان يقرأ فينوس الجديد مثلا ولا يعرف ان هذه المسرحية موجهة تماما ضد الذين يريدون ان يجعلوا الامة العربية رهنا لهم ويسيلوا الدماء ويميتوا الجسد العربي فقد اخذ هذه الفكرة من فكرة شيلوك في مسرحية تاجر البندقية لشكسبير وطورها لتعني الاحتلال الاستيطاني الصهيوني الذي لا يمكن استقراره الا بالقضاء على مقومات الامة العربية ونهش لحمها وأسالة دمائها وهناك الكثير من القصص والكتب والمسرحيات التي تؤكد التزام علي أحمد باكثير بعروبته واسلامه والاهم من ذلك التزامه بالمثل والمبادىء العليا والايجابية بالتراث العربي والاسلامي وقد كان دائما مدافعا عنها وكان علي احمد باكثير ايضا كاتبا وناقدا لا يشق لـه غبار واستـطاع ان يرد عـلى الكثير من الاوهـام والاضاليل خـاصة بعـد النكسة في ٦٧ م . وكنـا نشعر في اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين ان علي احمد بـاكثير لم يـوف حقه فبـرغم وجود بعض الكتابات لادب علي احمد باكثير كنا نشعر انه يستحق دراسة أوفى وتفصيلية ويستحق منا نحن اليمنيين اهتماما ودراسات لهذا فاننا نعد في اتحاد الادباء والكتاب باننا سوف نواصل بجمع وتنظيم وتنسيق تراث وكتب ومؤلفات

علي احمد باكثير سواء منها الشعرية او المسرحية او القصصية او النثرية وما يجدد منها في صحف ومجلات فقد كان هذا الكاتب مكثارا غزيرا على جدة ما يكتب بصدق وبطولة وفدائية . . وكان معاندا للذين يقفون في طريق الامة العربية وفي طريق الحق وفي طريق العدالة ولا ينثني حتى اخر لحظة من لحظات حياته وعندما جاء هنا الى حضرموت في ٦٨ م . استمعت باهتمام عميق لخطابه الذي القاه فقد كان في هذا الخطاب شحنة عالية الحرارة من الوطنية ودفعة للمواطنين والجماهير الذين استقبلوه (اننا هنا في اليمن الديموقراطية يحق لنا ان نعتز لاننا استطعنا ان نطرد الاستعمار واننا استطعنا ان نحقق معجزات في وقت كانت النكسة فيه وكانت الضربة للامة العربية كانت هنا في هذه المنطقة صحوة جديدة) وانه كان يتمنى من كل قلبه ان تتحقق خطوات الى الامام بهذه الروح الشابة والوطنية والحماسية كان يخاطب علي احمد باكثير الجماهير التي خرجت لاستقباله في ٦٨ م . بهذا نحن نقول : لان ذهب عنا علي احمد باكثير بجسده فان روحه باقية روحه القوية الصادقة التي لا تعرف الخوف ولا التذبذب والتي تريد ان تنحو بهذا الشعب الى التقدم باستمرار نحن نحيي في هذا اليوم هذا الروح ونحن نحصد تراث علي احمد باكثير ومثله لا يموت ابدا فهو موجود ليس هنا في سيئون ولكنه موجود في اليمن كله وهو موجود في الوطن العربي وهو موجود حتى في اوطان اخرى غير العربية فثمراته مترجمة من اللغة العربية الى لغات اخرى وتراثه موجود ايضا في كتب اخرى عربية وغير عربية . . بهذا يحق لنا ان نفتخر بعلي احمد باكثير وبامثال علي احمد باكثير ونعتز بمعنى ان نحاول ان نعمل مثل ما عملوا ونحاول ان نجد وان نبدع وانا متأكد ومتيقن ان حكومة الثورة هنا في اليمن الديموقراطية وايضا المسؤولين في شمال الوطن يهتمون بالادباء والكتاب اليمنيين وهم سوف يهتمون بتراث علي احمد

باكثير وسوف يعملون على نشره وسوف نعمل نحن في اتحاد الادباء ايضا على مناقشة هذا التراث وعلى اشاعته في اوساط الجماهير . وفي الختام اود ان اشكر اللجنة التحضيرية على ما قامت به من جهد وما بذلته في وقت قصير نسبيا وما اخذته من عناء خاصة في مدينة سيئون فقد تنادى الادباء في هذه المدينة كلهم شبابهم وشيوخهم ليحيوا هذه المناسبة وان تكون هذه المناسبة في مستوى هذا العملاق الفذ علي احمد باكثير كذلك اود ان اشكر من صميم قلبي لجنة المحافظة الحزبية م/ حضرموت وسكرتارية الدائرة الايديولوجية بالمحافظة وبمديرية سيئون وان اشكر جميع العاملين الـذين عملوا سواء في طبع الملصقات والمنشورات او في التهيئة للمحاضرات او الندوات على ما قامو به من اجل انجاح المهرجان الاول لعلي احمد باكثير الذي سيكون تقليدا راسخا لتكريمه وتكريم الادباء الاخرين اليمنيين . كما اشكر ايضا الاخ الرفيق حيدر ابو بكر العطاس رئيس مجلس الوزراء والاخوة الوزراء والمسؤولين الذين حضروا معنا في هذا المهرجان الادبي الكبير واشكر جميع الحاضرين وارجو ان تكون هذه المناسبة عيـدا فعليا وتتسم بالحوار وبالمناقشات والشعر والدان وكافة صنوف البهجة والفرح احتفالا بعلي احمد باكثير .

شكرا جزيلا لكم .

كلمة الاستاذ عمر الجاوي
الامين العام لاتحاد الادباء والكتاب اليمنيين
في جلسة افتتاح مهرجان باكثير الاول
« بقاعة مجمع الدوائر »

الاخ / رئيس الوزراء

الاخوة الحاضرون :

شيء رائع نمتحن انفسنا به وتمتحن ، لكننا أمام كل ذلك نود ان نحني الرأس تجاه القيم التي نعتز بها ، وفوق ذلك حين نحني الرأس لأولئك الذين قدموا لشعبنا وامتنا جهدا ثقافيا هو اليوم أعز ما نملك وليس آخرهم المرحوم الشاعر المسرحي علي احمد باكثير ولا أولهم فمن أوائلهم امرؤ القيس والهمداني .

لعلنا نريد ان نقدم كلمة شكر بهذه المناسبة له نفسه اعني بذلك استاذنا الجليل المرحوم علي احمد باكثير .

اننا نذكر بهذه المناسبة الباكثيرية ، اننا نقصد المحاولة بالاحتفاء لان صاحبنا يستحق اكثر من ذلك . ونذكر ان اي صاحب كلمة في بلادنا حيا او ميتا يستحق منا كل الاحتفاء ما دام قد قدم جل حياته من اجل ازدهار الكلمة واعطائها روح الحياة للاجيال التي تلي وبعيدا عن الازدهاء والفخر باكثر الكلمات التي قالها علي احمد باكثير ، لا بد ان تضع اكليلا من الفل على هامة قبره الموجود في وطنه الثاني مصر واخر على مسقط رأسه في بلده

الاسلامي وثالث في منزله ارض الاب والجـد ، موطنـه الاول اليمن في سيئون محافظة حضرموت .

شاق ومؤلم ان يحتفى بالاديب بعد وفاته ، ومرهق حـين نتذكـر ان لاكرامة لنبي في وطنه ونصوغ كلمة بعد وفاته لكنا نعرف ان المرحوم كان محبوبا في كلمته ومحترما في موقفه ولا ضير ان كان قد اختلف معه جزء من جيله ، ولا يزد هر كاتب لا نختلف معه .

اولئك الذين يتحدثون عن السير يقولون كلاما عن باكثير يشرفه ، لانه وهذه حقيقة قد ارتضى بالعقلانية في فهم الدين ، واختيار الجديد من اشكال الادب والفن وكان بقصد واضح مع الحرية في صورتها التي كانت في زمانه للذين يدرسون تراث باكثير قضية ، ولنا معه قضية ، لم ينتقد رحمه الله في « همام في بلاد الاحقاف » وضعا رآه في الصغر بين ابناء حضرموت في المهجر ، ولكنه وهو الابن البار لليمن اراد فقط وهو الذي ليست لديه مشكلة ان يصارع العادات المختلفة في منطقته حضرمـوت وفي عموميـة الامر اليمن ذلك لان الحب يتجاوز تقاليد الفئات الاجتماعية ولو اسندت بتحريف واضح للدين الاسلامي نتيجة مصالح محددة المعالم حينها تلك هي اول مسرحية شعرية لكاتبنا الفذ الذي تطور وتجاوز اليمنية ، بمعنى الكتابة عن اوضاع اليمن الاجتماعية في حضرموت اليمن لينتقل الى افاق ارحب .

ايها الاخوة جميعا :

يسر اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين ، الذي اضطلع بشيء غير قليل ، على نطاق نشر الثقافة الوطنية الديموقراطية في الوطن ان يؤكد ، ان علي

احمد باكثير المواطن اليمني ، قد تجاوز اليمن في فنه حين كان الاستعمار والسلاطين والامام يسيطرون على بلادنا بل ذهب مذهبا نعتز به كعرب وعلى نطاق الفن ، انه قد شق طريقا مبدعا على نطاق الشعر ، وبدأ مرحلة جديدة على طريق القصيدة العربية الجديدة مع زميله المرحوم حسن عبد الرحمن بن عبيد اللاه وحين يتسلق الشعراء كالسياب ونازك والبياتي وصلاح عبد الصبور وغيرهم على اول سلم التسلق .

ان شاعر من حضرموت اليمن يصوغ هذا الجهد الذي اصبح سمة الشعر في العصر الحديث لا شك وانه موهوب ومبدع وفحل .

نحن هنا لا نتحدث عن الاسبقية اليمنية ، لان ذلك يقلل من صفة الانتماء للعروبة ويضع باكثير كفخر يمني لا يرغب المرحوم ان يكون ، لان باكثير هو السباق بصرف النظر عن انتمائه الاقليمي او القطري باكثير وحسن بن عبد الرحمن السقاف طورا الشعر العربي الحديث لانهما قد انتميا الى المعاصرة وهذا يكفي لانهما قد ارادا ان يكونا شكلا متطورا لامرىء القيس بعد التقاط يشبه المعجزة .

تطاول الليل علينا دمون
دمون انا معشر يمانون
واننا لاهلنا محبون

بين سيئون ودمون مسافة ، مسافة قطعها رحمة الله عليه بشكل خلاق ليس على راحلة ، وانما على افضل ما ينتجه الانسان من اتصال ، وحين عرف ان افضل اشكال الفن الذي كرس حياته من اجله ، واعني المسرح ، لم يتوفر في اليمن ، ذهب ليبحث عنه في القاهرة ، ولا فرق بين سيئون والقاهرة حينها .

دعـونا نتحـدث عن الذين ينتقلون من مـوقع الى اخـر وفي الوطن الواحد. أليس واقعاً أن المبدع في سيئون لن يجد طريقه إلى الشهرة إذا لم يتجاوزها الى عدن او صنعاء ودمشق وبغداد والقاهرة وربما المكلا .

ذلك امر يحصل اليوم في حياتنا ، بحكم توفر اجهزة الاعلام والثقافة في المدن المركزية .

مسر جدا اننا لسنا وحدنا واخص باليمانيين الذين يحتفون بعلي باكثير نحن نتنازعه كعرب مع عرب اخرين في هذا الزمن الذي لا يعترف بالمبدع الا بعد ذهابه ، ولن نتنازعه اطلاقا الا انه حضرمي من اليمن ، ونريد ان نضع كلمة وفاء كغيرنا له في محراب مهرجانه .

ملعون ذلك الذي لا يقول الا الصدق ، وملعون من يريد ان يضع باكثير من حضرموت اليمن فقط ، انه عربي للامة ومسلم لكل المسلمين ، وأراد أن يضع حسه للفن الأرقى من كل مزاجه حتى من التاريخ الفرعوني من أجل أن يثبت فعلاً ان ليس كل قصص الأولين قد رويت كما يقول القرآن الكريم .

وفي اخناتون ونفرتيتي « مسرحيته الشهيرة » ، اراد ان يقول ما لم يرو « ورسلا قد قصصنا هم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » وتلك عبقرية استنباط تحتاج الى اكثر من دراسة .

وباكثير قد انتمى الى الثقافة الاوروبية الحديثة حينها وهذا من افضاله وليس العكس ، لقد درس في القاهـرة ، وعلى وجـه الخصوص الادب الانجليزي ، فهل نريده ان يبقى كما هو عليه ، حاشاه .

شيء آخر لم يذكر عنه .

ايها الزملاء :

للمرحوم باكثير ككل الذين ينتمون الى الاقطار العربية خصوصية يمنية لانه من اليمن ، وعاش في القاهرة ، ما باله وهو الذي ينتمي الى الادب والفن كعمل عام ما باله يقتحم السياسة ، لماذا يؤلف لحركة الاحرار اليمنيين اقصد شباب الاحرار نشيدا ، كمشترك في الانتفاضة ضد الامام يحيى عام ١٩٤٨ م لم يدع شيئا وانما شارك بالكلمة ذلك امر يا باكثير ان شئت عظيم .

لقد تفهم جيدا ان وطنه اليمن واحد ، ان عليه ان يسهم وله زميل بيننا الان قد وضع مثله نشيدا لحركة الاحرار . . نريد ان نثبت ان باكثير كان يطمح الى وحدة اليمن دون ان يفتعل شيئا لان الوطن الواحد في حينها كان كذلك .

وبيننا وبين المرحوم العروبة ، من ذا يقول لسيئوني حفيد امرىء القيس الا تتحدث ، لقد قال كلمته ومضى حتى في المسرحيات السياسية والمعاصرة التي تعالج بها اوضاعا في حينها .

تصوروا ، ان للثائر الاحمر حمدان قرمط مسرحية عالج بها وضع العراق ايام عبد الكريم قاسم من وجهة نظر عروبية قد نرفضها امس واليوم . . ولكنها حق له .

نحن لا نريد ان نقول ان صاحبنا وفي كل الاحوال كان محقا في السياسة وهو في قبره لا يرتضي ذلك ، ولكنه فنان كتب من وجهة نظره، واستحق ان يخلد ، لأن لديه وجهة نظر .

ايها الزملاء :

تلك مجرد خطوط اقل من العامة التي نضعها لديكم لانه للاسف ان

الخطابات تحتاج الى ذلك الامر . المهم ان نحيي ذكرى باكثير ، والاكثر اهمية ذلك الذي نريده من اجل احياء ذكراه في المستقبل .

نعلم مقدما ، ان ابداع باكثير ليس منتشرا في وطنه اليمن ، وربما تحفظت بعض الجهات على عدم انتشار انتاجه وليكن .

لكننا نصر وسنعمل على نشر كل انتاجه لشعبه العربي وللانسانية وعلى وجه الخصوص في اليمن ، حتى وان كانت مخالفة لافكارنا .

وسنعمل على ان تظل ذكراه تقليدا نحتفي بها في منطقته وعلى نطاق اليمن .

سنجمع قدر امكانياتنا كل ميراثه المطبوع والمخطوط والمسموع والمرئي وكلما كتب عنه وسنضعه في منزله .

سنوجه قدر الامكان اجيالنا القادمة الى قراءته وتقديمه والكتابة عنه في كل مؤسساتنا الثقافية واليمنية .

وليس كثيرا على باكثير ان نحييه بهذه الطريقة .

والسلام عليكم

كلمة اتحاد الادباء والكتاب العرب

ألقاها الاديب الفلسطيني رشاد أبو شاور

السيد / رئيس الوزراء

السادة / الوزراء واعضاء اللجنة المركزية للحزب .

الاخوة الكتاب والشعراء والادباء في اليمن العربي الواحد

ايها الاهل :

أشعر الان كما يشعر رفاقي الذين جئت واياهم للمشاركة في احتفالكم بعلي احمد باكثير باننا امام مهابة التاريخ تماما فهنا حيثما يذهب الانسان يلتقي بقوة وارادة الانسان العربي اليمني الذي استطاع ان يصمد امام قسوة الحياة وان يبدع حضارته ومن ثم ليس غريبا ان يصمد هذا الانسان ويقاتل الانجليز ويطردهم من هذا الجزء من الوطن العربي وان ينتصر بارادته وبسلاحه البسيط ولكن بعزمه وامتداده الحضاري في عمق هذه الارض وبشموخه وتطلعه للمستقبل ، ان هذا الوطن الذي انجب علي احمد باكثير المسرحي والشاعر قد انجب اجيالا من الشعراء بعده وسينجب مسرحيين وشعراء وروائيين آتين بعده يسهمون في رفع راية الكلمة العربية وسمو العقل العربي وكرامة الانسان العربي ، وعلي احمد

باكثير الذي تملك التراث العربي الاسلامي والتراث الحضاري الفرعوني والتراث اليوناني والتراث المعاصر والحياة الشعبية في مصر تمثل حياة غنية وتحمل اسئلة كثيرة هي اسئلة الانسان حيثما كان ، واليوم وانا أصغي الى صوته هنا في سيئون احسست فعلا بكبرياء الانسان العربي وبان المستقبل لا بد آت ، لقد تحدث هنا في سيئون البعيدة تحدث عن فلسطين وقال لكم « انتم اليمنيون قادرون على ان تسهموا في خنق اعداء الامة العربية لانكم تمسكون بباب المندب وليس هذا فقط بل انكم تمسكون بارادة المستقبل فانتم هنا تواجهون تحديات هائلة جدا وتنتصرون عليها في كل يوم تبنون وتعيدون البناء وترممون ما تقدم من حضارة » .

ولقد شاهدت اليوم ايضا في هذه المدينة مشاهد من الغناء والفن فيها المسرح اذا لم استغرب ان يبدع علي احمد باكثير في المسرح وانني لادهش اذا تساءل احد كيف له ان يبدأ في المسرح وهو العربي اليمني الذي لا توجد في بلاده نهضة مسرحية ، ان المسرح موجود هنا في سيئون موجود في اليمن بل انني احسست وانا انتقل من شمال الوطن اليمني الى جنوبه ومن جنوبه الى شماله احسست بانني ارى الانسان العربي اليمني يقف على رقعة من الارض تشبه خشبة المسرح وانه يتحرك ببساطة ولكن بارادة وبروح قوية وعميقة وحيثما تحركت اذا ما حركت رمالا قليلة التقيت بتراث وحضارة قديمة من سد مأرب الى شبام الى غيرها وغيرها من هذه الاماكن التي تدل على العمق والبعد الحضاريين للانسان العربي في اليمن . . لست اريد ان اتحدث عن مسرح علي احمد باكثير ولكنني اريد ان أقول لكم باحتفالكم اليوم هنا بهذه الرقعة من الوطن العربي الكبير تكرمون كاتبا وشاعرا واديبا وتكرمون الكلمة . . الكلمة التي ستظل الروح . . الكلمة التي تجعل الانسان يقف شامخا ويمتلك كرامته .

اني باسم الادباء والكتاب العرب الذين شرفوني بان اقف امامكم احييكم من القلب واقول لكم انني سأعـود اكثر امتـلاكا لـلايمان بـدور الاديب والكاتب لانني رأيـت انكـم تحتفلون ببساطة ولكن بنبل بدور الكلمة، ورأيت وهذا ما ادهشني كم انكم تمتلئون بـالشعر وليس هـذا بغريب فعلى ارض هذا الوطن وفي هذا الجزء من هذا الوطن وقف الانسان على الرمـال وتطلع الى السماء وقلّب الاسئلة ، فامتلك الشعـر وامتلك الحكمة وامتلك الغناء وبهذا انتصر على كل شيء وبهذا تنتصرون .

شكرا لكم واحييكم

كلمة الاخ محمد علي باشماخ عضو اللجنة المركزية . . رئيس المكتب التنفيـذي لمجلس الشعب المحلي بمحـافـظة حضرموت

الرفيق العزيز المناضـل المهندس حيـدر ابو بكـر العطاس عضـو المكتب السياسي ورئيس مجلس الوزراء
الرفاق اعضاء اللجنة المركزية والوزراء
الرفاق الحاضرون جميعا . .

اسعدتم مساءً . . اسمحوا لي في بداية هذه الكلمة ان ارحب بكم في سيئون الادب والثقافة . . سيئون موطن الاديب الكبير علي احمد باكثير في هذا اللقاء الـذي جمع هـذا العدد الكبـير من الادباء والمهتمـين بالادب والثقافة والفنون من مختلف المناطق العربية . .

حقيقة ان اقامة هذا المهرجان بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين لوفاة الاديب الشاعر المسرحي علي احمد باكثير لدليل جديد يوكـد من خلالـه الحزب الاشتراكي اليمني وحكومة الثورة على الاهتمام المتزايـد بالادب والثقافة ودورهما في مرحلة النضال الهادف الى بناء المجتمع الجديد وتأكيدٌ جديدٌ على الدور الذي اضطلع به ويضطلع به الادباء والمثقفون في اليمن بشكل خاص في قضايا الثورة حيث كان الادب والادباء باستمرار في طليعة المناضلين من اجل التحرر من اجل تغيير الاوضاع الاجتمـاعية . . من اجل الغد الافضل وبناء اليمن المـوحد المزدهر المتـطور ذي العلاقـات

الاجتماعية الثورية الهادفة الى بناء المجتمع الاشتراكي .

ان لجنة منظمة حزبنا ومجلس الشعب المحلي في اطار اهتماماتها بالادب والثقافة قد اعطيا الكثير من الاهتمام بالتراث الادبي الثقافي في محافظتنا وبهذا الاتجاه كان القرار الصادر من لجنة منظمة الحزب والمكتب التنفيذي والذي كان مقدمة لفكرة احياء هذا المهرجان فكرة تنظيم المنزل الذي كان يسكنه علي احمد باكثير ليكون بيتا يحتوي على ادبه وتراثه وليكون منبرا جديدا للاشعاع الادبي والثقافي في محافظتنا وفي هذه المدينة بالذات .

لتجدد وتوكد باستمرار لجنة منظمة حزبنا ومجلس الشعب المحلي على الاهتمام والرعاية بكل الادباء وما التكريمات التي سبقت وستظل ايضا في خطط وبرامج حزبنا ومجلس الشعب المحلي الا تأكيد على هذا الاهتمام بالادباء ودورهم في هذه المرحلة .

حقيقة لا يمكنني ان اتحدث اكثر مما تحدث الرفيق الدكتور سالم بكير وسيتحدث من سيأتي بعدي عن المآثر الادبية والمواقف النضالية لاديبنا الكبير علي احمد باكثير .

واستغل هذه الفرصة لارحب بكم ولاجدد لكم اهتمام لجنة منظمة الحزب ومجلس الشعب المحلي بالمحافظة بالادباء والكتاب والتراث الادبي والثقافي بما يؤكد دور الادب والمثقفين في اداء رسالتهم التاريخية في النضال الجاري تحت القيادة الحكيمة للحزب الاشتراكي اليمني .

وشكرا . . . . . .

محمد علي باشماخ

عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني

رئيس المكتب التنفيذي لمجلس الشعب المحلي بمحافظة حضرموت

نص الخطاب الذي ألقاه الاخ
المهندس حيدر أبو بكر العطاس / عضو المكتب السياسي
رئيس مجلس الوزراء في الحفل التدشيني
لمهرجان باكثير الاول في سيئون يوم ٢١ ديسمبر ٨٥ م

أيها الاخوة

يشرفنا ويسعدنا ان نشارك هذا اليوم بافتتاح هذا المهرجان الثقافي الوطني الكبير الذي ينظمه اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين ، احياء للذكرى الخامسة والسبعين لميلاد فقيد الادب اليمني والادب العربي الشاعر والكاتب الاديب الكبير علي احمد باكثير .

وتأتي مشاركتنا في افتتاح هذا المهرجان كتجسيد للرعاية والاهتمام اللذين يقدمهما الحزب الاشتراكي اليمني وحكومة الثورة للادباء والكتاب والمثقفين وكل المبدعين في مختلف حقول الثقافة والاداب والفنون ، وذلك في اطار الجهد الجماعي الذي يبذله شعبنا اليمني وطلائعه الواعية باتجاه بناء وتطوير الحياة المادية والروحية الجديدة لشعبنا وتجاوز كافة المعوقات والعوامل التي اعترضت طريق التطور الحضاري لبلادنا طيلة عقود طويلة من الزمن ، عانى شعبنا خلالها الكثير من ويلات الظلم والتخلف والعزلة والقهر والاستغلال تحت نير الظلم الاستعماري والاستبداد الامامي الكهنوتي والحكم السلاطيني الرجعي .

وأود بهذه المناسبة ان انقل اليكم تحيات قيادة الحزب والدولة ، مؤكدين لكم دعمنا التام واللامحدود لكل حملة الاقلام الشريفة الذين يناضلون في سبيل سعادة وازدهار الانسان في ربوع بلادنا الطيبة . كما أود في الوقت نفسه ان ارحب ترحيبا حارا بكل الاشقاء العرب الذين حرصوا على المشاركة في هذا المهرجان متمنيا لهم طيب الاقامة بين اخوتهم واصدقائهم اليمنيين ، كما اتمنى لهذا المهرجان النجاح في اعماله وتحقيق اهدافه النبيلة .

ايها الاخوة

اذا كنا اليوم نشعر بالفخر والاعتزاز للشوط الكبير الذي قطعه شعبنا المناضل على طريق تطوير وتحديث الهياكل الاقتصادية الحيوية للمجتمع الجديد ، وبناء الثقافة الوطنية اليمنية والتفاعل الخلاق مع الثقافة الانسانية التقدمية ، جنبا الى جنب مع الجهود المتواصلة والمثابرة التي نبذلها في جبهة النضال من اجل اعادة وحدة الوطن اليمني ارضا وشعبا ، واعادة بناء الحضارة اليمنية ، فاننا لا ننسى في غمرة هذه النجاحات والانتصارات التي تحققها المسيرة الثورية لشعبنا اسهامات وعطاءات ومعاناة الطلائع الاولى من مناضلي ومفكري شعبنا الذين عبروا عن رفضهم للواقع المرير الذي كرسته عهود الظلم والظلام وتحملوا مشقة الريادة في ايقاظ الوعي الوطني لشعبنا والتبشير بقيم ومبادىء الحرية والعدالة والتقدم ، وتعريف الرأي العام العربي والعالمي بقضية شعبنا الوطنية وعدالة نضاله المشروع في سبيل بناء حياته الجديدة الخالية من كل صور الظلم والقهر والتخلف .

ذلك ان نضال شعبنا مترابط الحلقات والمراحل ولا يمكن فصل نضال شعبنا في الحاضر والمستقبل عن منابع النضال الوطني الذي خاضه في

الماضي وكان له الاثر الكبير في بلورة اهدافه وشعاراتـه الاستراتيجيـة ، وانضاج اساليب واشكال كفاحه الوطني والاجتماعي ، وتحقيق العديد من الانتصارات الثورية التقدمية في مختلف مراحل نشوء وتطور الحركة الوطنية اليمنية التي توجت نضالها التاريخي المعاصر بقيام ثورتي ٢٦ سبتمبر و ١٤ اكتـوبـر المجيـدتـين . وانهاء النـظام الملكي المستبـد في شمـال الـوطن والاستعمار البريطاني والنظام السلاطيني في جنوب الوطن ، وتعزيز السير على طريق التقدم والوحدة .

وما من شك في ان مسيرة شعبنا التي تتجه اليوم بثبات صوب التجديد الديموقراطي الشامل للمجتمع وبناء الحياة الجديدة والانسان الجديـد ، تستنـد الى خبرة ضخمـة وغنية من التقـاليد الـوطنية والقيم النبيلة التي تتوارثها الاجيال وتتغلغل في اعماق وعينا الوطني الجماعي الذي نستشرف به افاق المستقبل المشرق .

وفي هذا السياق الحي والمتجدد والمتواصـل سنظل نتـذكر بـاجلال واعتزاز عظيمين ، ابداعات ومعاناة اولئك الرواد الأوائل من المناضلين والمقاتلين الادباء والكتاب والمثقفين الذين اشعلوا شموعهم المضيئة وسط دياجير الظلم والتخلف في العهود البائدة ، وخاضوا ببنادقهم واقلامهم وافكارهم معارك التبشير بمبادىء الحرية والعدالة والتقـدم وتعرضـوا في سبيل ذلك للموت والتضحيات الجسيمة في ساحات الشرف ، والعذاب والالام في السجون والمنافي والمهاجر وخلفوا لجيل ثورتي ٢٦ سبتمبر و ١٤ اكتوبر المجيدتين ، وللجيل الثوري الفتي الذي ينعم بالحياة الجديدة في ربوع بلادنا تراثا زاخرا بالامجاد الوطنية العظيمة والمشرقة . . هذا التراث الذي يعد جزءا اصيلا من التاريخ الوطني الحديث لشعبنا اليمني والحركة الثورية اليمنية المعاصرة .

وهكذا يكتسب تنظيم هذا المهرجان الثقافي الوطني الكبير والمكرس لاحياء ذكرى الاديب اليمني والعربي الكبير علي احمد باكثير ، اهمية حيوية اذ يتم في اطار النشاط الواسع الذي تقوم به المؤسسات والهيئات العلمية والثقافية والابداعية باتجاه كتابة وتأصيل التاريخ الوطني المعاصر للشعب اليمني ، والذي تحتل فيه اسهامات الادباء والكتاب مكانا حيويا باعتبارهم جزءا لا يتجزأ من هذا الشعب وكتجسيد لارتباطهم بهمومه وآلامه واشواقه وقضاياه الوطنية والاجتماعية .

ايها الاخوة

لقد خلف لنا الفقيد علي احمد باكثير سيرة ادبية ووطنية مشرقة وتراثا ادبيا وفكريا غنيا بالخصوبة والتنوع والابداع . . وقد تجلت في اعماله الادبية والفكرية الواسعة نزعته المحبة للتجديد ومواقفه المؤمنة بقيم الوطنية والحرية وهو الامر الذي يساعدنا كثيرا في تحليل مسار التطور السياسي والفكري والاجتماعي لحركة المجتمع اليمني والعربي وانعكاساتها على بنية الوعي الاجتماعي للمجتمع والتي يلعب الادب والفن دورا هاما في التأثير عليها والمساهمة في اعادة صياغتها ، وذلك في مجرى تعاظم النضال الوطني والاجتماعي لشعوبنا العربية ضد الاستعمار والرجعية ومن اجل الحرية والتقدم والوحدة .

ويزيد من اهمية التجربة الابداعية الخلاقة للاديب اليمني الكبير علي احمد باكثير انها احتلت مكانا بارزا في حركة الادب العربي والثقافة العربية الحديثة ، مما يجسد ـ بحق ـ وحدة المجرى العام لحركة الادب العربي والثقافة العربية في سياق عملية الانبعاث الوطني والقومي والحضاري لشعوب امتنا العربية وبالانضباط الوثيق بالقيم والمثل والمبادىء السامية

التي نشأت وترسخت في مختلفَ مراحل نشوء وتطور حركة التحرر الوطني العربية بمختلف تياراتها السياسية والفكرية والاجتماعية .

ونحن واثقون من ان هذا المهرجان والفعاليات التي سيشتمل عليها سوف يسهم في احياء ودراسة التراث الادبي والفكري للاديب اليمني الكبير علي احمد باكثير بما يخدم تأصيل عملية كتابة التاريخ السياسي والفكري لتراث شعبنا الابداعي الحديث وترسيخ دعائم النقد العلمي والتحليل التاريخي للموضوعات والاشكالات التي يتضمنها تراثنا القديم والحديث على طريق بناء وتطوير ثقافتنا الوطنية اليمنية وتعميق تفاعلها مع الثقافة العربية والانسانية .

وبوسعنا القول ان مبادرة اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين بتنظيم هذا المهرجان الذي نعبر من خلاله عن وفائنا لفقيدنا الكبير علي احمد باكثير في ذكرى ميلاده الخامسة والسبعين تشكل مؤشرا ايجابيا لتنامي دور الاتحاد في حياتنا الثقافية ، الأمر الذي يستلزم مواصلة تعزيز نشاط الاتحاد وتطوير اوضاعه وتحسين اساليب عمله باتجاه المساهمة في توحيد وتنظيم النشاط الابداعي للادباء والكتاب اليمنيين ، وزيادة مساهمتهم في تدعيم صرح الثقافة الوطنية اليمنية والادب اليمني الحديث ، ومضاعفة مشاركتهم الواعية في النضال الذي يخوضه شعبنا على طريق بناء المجتمع الجديد الموحد والمزدهر . وسوف يجد ادباء وكتاب اليمن من خلال اتحادهم الواحد كل الدعم والرعاية من قبل قيادة الحزب والدولة بما يمكنهم من اداء الواجبات الوطنية الكبيرة التي يضطلعون بها ،ويتواصلون من خلالها مع افضل التقاليد والقيم والخبرات الابداعية النبيلة التي يزخر بها تراثنا الادبي والفكري .

ويشرفني بهذه المناسبة العزيزة على قلوبنا جميعاً ان انقل اليكم قرار هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى بمنح الاديب اليمني والعربي الكبير الفقيد علي احمد باكثير وسام الاداب والفنون كتعبير عن الاعتراف بـاسهامـاته الادبية الكبيرة ، وتقديرا لدوره في بناء وتطوير الادب اليمني والعربي ، واعتزازا بالمكانة البارزة التي احتلها في الحياة الثقافية اليمنية والعربية .

وتغمرنا الثقـة الكبيرة في ان الـوسام سـوف يغدو حـافزا لمـواصلة الاهتمام باحياء التراث الادبي لعلي احمد باكثير ومواصلة نشره وصيـانته باعتباره ملكا للمجتمع والشعب ، وجزءا من تاريخنا الادبي الحديث .

مرة اخرى احييكم واتمنى لهذا المهرجان التوفيق في اعماله .

وشكرا . . .

قرار هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى القاضي
بمنح الفقيد الشاعر الاديب اليمني
علي احمد باكثير « وسام الآداب والفنون »

الاخ / المهندس حيدر ابو بكر العطاس عضو المكتب السياسي لحزبنا ورئيس مجلس الوزراء .

الاخوة الحاضرون جميعا . .

اسمحوا لي باسم هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى ان اقرأ عليكم . نص قرارها القاضي بمنح الفقيد الشاعر الاديب اليمني علي احمد باكثير وسام « الآداب والفنون » رقم « ١٩٨ » لعام ١٩٨٥ م

باسم الشعب . . هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى
بعد الاطلاع على المواد « ٩١ » و « ٩٤ » و « ٩٦ » من الدستور . وعلى قانون الاوسمة والنياشين والقاب الشرف رقم « ٤٥ » لعام ١٩٧٨ م . . وعلى قرار هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى بشأن استحداث وسام « الاداب والفنون » - رقم « ٥٤ » لعام ١٩٨٠ م . . وبناءً على ما اقترحه مجلس الوزراء . . اقرت هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى

اصدار القرار التالي :

المادة (١) : ـ يمنح الفقيد الشاعر الاديب علي أحمد باكثير
وسام « الاداب والفنون »
بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين
لميلاده .

المادة (٢) : ـ يعمل بهذا القرار من تاريخ صدوره .

المادة (٣) : ـ ينشر هذا القرار في الجريدة الرسمية .

العميد الركن
علي احمد ناصر عنتر
نائب رئيس هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى
صادر بتاريخ : ٩ ربيع ثاني / ١٤٠٦ هـ
الموافق : ٢١ ديسمبر / ١٩٨٥ م

كلمة أسرة الاديب اليمني الكبير علي أحمد باكثير

ألقى الكلمة الاستاذ سعيد باكثير

الاخ / عضو المكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمني ورئيس مجلس الوزراء

الاخوان اعضاء اللجنة المركزية .

الاخوان / اعضاء الوفود المشاركة في المهرجان الاول للاديب علي احمد باكثير المقام بمدينة سيئون التي تعلم فيها ونهض وعاش فترة طويلة حتى تزوج - وقام بدور بارز في نشر الوعي الثقافي والسياسي واصدر « مجلة التهذيب » وديوان شعر سماه « زهور الربى » . .

وباسم اسرة الفقيد المرحوم علي احمد باكثير الاديب العربي اللامع نرحب بكل الحاضرين لا سيما الاخوة الذين وصلوا من البلدان العربية الشقيقة واخواننا من الشطر الشمالي من الوطن على تحملهم المشاق والوصول الى مدينة سيئون للحضور والمساهمة في فعاليات المهرجان . . وقبل كل شيء نشكر الحزب والدولة على قيام هذا المهرجان والبذل السخي ماديا وادبيا ومعنويا ، وعلى هذا التقدير الكبير للمبدعين في مجال الادب وشتى المجالات الاخرى ، فهي سباقة ورائدة ولها طموحات في سبيل التقدم والنهوض بالبلاد الى الامام في كل المجالات .

ان علي باكثير ليس مفخرة اليمن فحسب بل هو مفخرة للعرب في كل مكان وملك للجميع .

ونأمل ان يكرم كل المبدعين والنوابغ والافذاذ حتى يكون هذا التكريم حافزاً للجميع . ولا داعي الان للحديث عن ما قدمه اديبنا الكبير لوطنه وللعروبة والاسلام من اعمال مجيدة تمثلت في كتاباته وقصصه وشعره ، فالمجال واسع وفي ما سيقدمه الادباء من دراسات وبحوث في هذه الايـام والايام القادمة ما يغني .

وختاما نكرر شكرنا للحزب والدولة وجميع الوفود والمواطنين ونتمنى لهم طيب الاقامة ودوام الصحة . . .

وشكرا . . . .

نص كلمة الرفيق حيدر أبو بكر العطاس
عضو المكتب السياسي ، رئيس مجلس الوزراء . .
التي سجلها في سجل التشريفات
بدار الاديب علي أحمد باكثير

تشرفت هذا اليوم بزيارة دار الاديب اليمني والعربي الكبير علي احمد باكثير ، والذي اصبح متحفا يعبر في محتوياته عن جوانب مختلفة من حياة الفقيد ونشاطه الابداعي .

وقد سرني ما شاهدته في الدار من محتويات وحسن تنظيم ، مما يدل على مدى الجهد الذي بذلته الجهات المعنية في منظمة الحزب والسلطة المحلية واتحاد الادباء والكتاب اليمنيين .

وانني اذ أشكر كل الذين اسهموا في تنظيم هذه الدار تخليدا لذكرى الفقيد الكبير علي احمد باكثير ، أؤكد على ضرورة مضاعفة الجهود المبذولة في مجال احياء التراث الادبي والفكري للفقيد باكثير ، وصيانته تكريما للمكانة البارزة التي احتلها في الحياة الثقافية اليمنية والعربية واعتزازا باسهاماته الثرة في الادب اليمني والعربي الحديث .

وأود أن أشير بهذا الصدد الى أن الحزب الاشتراكي اليمني وحكومة الثورة ، سيواصلان تقديم كل الدعم والرعاية لحملة الاقلام الشريفة ،

وجميع الادباء والكتاب والمبدعين بما يمكنهم من تعزيز دورهم في المجتمع ، وتعميق ارتباطهم بقضايا الوطن والشعب .

المهندس / حيدر ابو بكر العطاس
عضو المكتب السياسي
رئيس مجلس الوزراء

٢١ / ديسمبر ١٩٨٥ م

ندوة عن الأديب

حديث الدكتور سالم عمر بكير عضو اللجنة المركزية رئيس جامعة عدن . . رئيس اللجنة التحضيرية للمهرجان في الندوة التي أقيمت عصر يوم الاحد ٢٢/١٢/١٩٨٥ م

لا شك ان علي احمد باكثير عملاق فذ ولا يمكن ان يفتح المرء كتابا في تاريخ العرب الادبي الحديث والمعاصر الا ويجد اسم علي احمد باكثير مكتوبا فيه واستطيع ان اذكر لكم منها كثيرا من هذه الكتب والمراجع التي دائما تشير الى علي احمد باكثير كعملاق نذكر منها هلدار (المسرح والسينما عند العرب) قد اشار الى مسرحية همام واكد ان هذه المسرحية قد اثارت ضجة في بلاده وان كان قد غلط وحسب ان علي احمد باكثير من السعودية واشار الى مسرحه السياسي وخاصة مسرحية (شيلوكَ الجديد) واشاد بها .

ويمكن ان نجد اسم علي احمد باكثير اذا فتحت كتاب الاستاذ الدكتور محمد يوسف نجم (المسرحية في الادب العربي الحديث) فقد اشار محمد يوسف نجم الى ان العرب المحدثين يميلون الى التقليد وان فلتت عبقريات فذة وذكر من هذه العبقريات علي احمد باكثير . ونستطيع ايضا ان نجد اسم علي احمد باكثير في كتاب انيس الخوري المقدسي لدوره في الترجمة من اللغات الاجنبية الى العربية واشار الى دوره في ترجمة (الليلة الثانية عشرة) لشكسبير وروميو وجولييت وقد كان سباقا ورائدا في الترجمة بالشعر المرسل (كما اشار اليه بعض الاخوة المساهين في هذه الندوة) وأنا ارى ان مساهمة

باكثير في تأسيس الشعر المرسل تحتاج الى اضاءة والى دراسة لانها مجهولة عند الكثير من مؤرخي الشعر المعاصر يرجعون ان الشعر المعاصر الحر (التفعيلة) الى الاربعينات .

اشعر شعورا عميقا ان الكاتب المسرحي الشاعر الاديب علي احمد باكثير لم يدرس دراسة كافية وانه اهمل وقد اشار الى ذلك الاستاذ الدكتور عبده بدوي في بعض مقالاته وهذا الاهمال بكل اسف كان في بعض الأحيان ناجم عن عدم معرفة بمكانة وموقع علي احمد باكثير في المسرح العربي .

الا انني في هذه العجالة ولا اريد ان اطيل ولا اتدخل اقول إن علي احمد باكثير من بين المسرحيين والشعراء العرب الذين لديهم وعي عميق بلقايهم فهو من الادباء القلائل الذين ادخلوا الى معمل التحميض كيف يصوغون الشعر وكيف يصوغون المسرح . وهذا واضح في كتابه العجيب (الفن المسرحي من خلال تجاربي الشخصية) وهو الذي القاه محاضرات في معهد الدراسات العربية كتاب عجيب لانه ادخلنا فيه الى معمله الخاص كيف تأتيه الفكرة وكيف يأتيه الموضوع والحبكة وكيف يصوغها في عمل ادبي متكامل فيما بعد . ويُعدُّ أيضا علي أحمد باكثير من الأدباء العظام القلائل الذين ينقدون انفسهم وبقسوة بعض الاحيان مثلا سنجده في كتاب (الفن لمسرحي من خلال تجاربي الشخصية) نجد انه يقول ان (همام) ليست مسرحية وانما مجموعة من القصائد جمعت ولفقت بعضها الى بعض والان من الادباء من يقول مثل هذا النقد نفسه ومثلا في مسرحية (الدكتور حازم) عقدتان الاولى الدكتور حازم مع زوجته وصراعه مع حماته ويقول ان هاتين العقدتين قد افسدتا المسرحية وان هذا من الخطأ . . انه هو الذي يقول هذا وليس ناقد آخر . ان وجود عقدتين في مسرحية خطأ .

ويقدم نقداً حول صلاحية هذا الشعر المرسل للمسرح وعدم صلاحية الشعر المقفى من وجهة نظره للمسرح ويقدم آراء وحججاً في هذا الصدد ثم يحل بعض الالغاز والمفاتيح لمسرحياته كما لا يفعل بعض المسرحيين يقول عقدة اوديب مغزاها كذا وعقدتها كذا وان اوديب عن القضية الفلسطينية ويعطي لها تفسيرا آخر وان اوديب وقع ضحية مؤامرة والمؤامرة هنا من قبل الاستعماريين والامبرياليين واوديب بطل ومعاند فوقع في هذا الخطأ نتيجة لمؤامرة مبيتة عليه ويرى ان قضية فلسطين ايضا دفعت لمؤامرة الامبرياليين ودفعت العرب دفعا لتحصل القضية كما حصلت وكما ان الكاهن هذا دفع اوديب دفعا يحقق غرضاً في نفسه من المؤامرة . وكذلك عندما يتحدث عن (قصر الهودج) او عن المسرحيات العربية والمسرحيات الاسلامية . أحس أنا عندما اقرأ ان علي باكثير ان هذا العمل وحي والهام وطبع ولكن علي باكثير يعرف ان العمل المسرحي عمل وجهد وكد انها في استبطان النفس في المجتمع وليس الزبد الصافي على سطح المجتمع لذلك فهو كد ذهني وكد يستخدم فيه كافة ملكاته العقلية والجسدية والعصبية والعاطفية ليخرج مثل هذا العمل الفني ورغم اني لم اقرأ حتى في كتابه هذا ولكني أرى أن باكثير يجهد كثيرا ليضفي الجهد فيأتي عمله مستويا وكاملا فاذا اردت اشبهه لربما شبهته بما قال عميد الادب العربي بعميد الشعر الذي يقول الشعر الحولي المنقح فيأتي القارىء بعد ان يفرغ منه بلغة عربية صافية لا توجد بها اخطاء ويجهد المرء ولا يجد بها اخطاء وله ايضا افكار فمثلا ما هي اللغة التي تصلح للمسرح ويرى باكثير ان اللغة التي تصلح للمسرح هي اللغة العربية الفصيحة وان اللغة العامية سوف تمزقنا الى امم وشعوب شتى وحتى في القطر الواحد فسوف تقسمها الى جهات واقاليم فهو يرى ان الفن والادب ليسا نقلا فونوغرافياً ولا فوتوغرافيا وانما هو ايحاء بالواقع واعادة تشكيل

الواقع وخلقه لهذا لقد نادى وبدون شك بكتابة المسرح باللغة العربية الفصحى ورأى بأن الذين يريدون ان يكتبوا بالعامية (وقد كانت هنا حقيقة معركة في مصر ومعركة في لبنان وما تزال بعض آثارها) يضمرون الكيد وسوء النية للامة العربية لهذا فنحن نحتفل بالعبقري الفذ المعاند الذي شق طريقه واستمر فيه من بداية حياته الى وفاته ونحن ندعو الادباء اليمنيين والادباء العرب ان يهتموا بهذا العبقري الفذ وينتقدوه ونحن لا نريد نسأله أحداً ينتقدوه اذا كانت هناك مطاعن وآراء لديهم وينتقدون من خلالها علي أحمد باكثير .

كذلك انا أحسست أن علي احمد باكثير كان يتغير . مثلا قرأت مؤخرا الكتاب الذي الفه عمر محمد باكثير (مع علي احمد باكثير) كتاب مطبوع بالاستنسل قدم لي قبيل المهرجان بفترة بسيطة عمر محمد باكثير يقر حقيقة ان علي احمد باكثير تغير . . هذا صحيح . . عندما عاد علي احمد باكثير الى سيئون قال عنه عمر محمد باكثير انه ليس هو فهو آخر ليس علي باكثير الذي اعهده . . فقد تربيا تربية واحدة ونهلا من كتب التراث المؤثل الاصيل الفقه والمتون والزبد والألفية والمنهاج وكتبوا اشعاراً ومساجلة ثم جاء علي احمد باكثير فتناقشا في بعض القضايا الدينية فوجد ان لديه افكارا مختلفة عن الافكار القديمة وعن عمر محمد باكثير لهذا (واني لاقول من منهم المخطىء او المصيب) ولكن هذا يؤكد الاختلاف بين علي باكثير عندما نشأ نشأته الاولى وعندما جاء من مصر وبهذا الاختلاف تشبع باكثير بنزعة حضرمية وباجتهادية في الدين الاسلامي وفي كثير من المسائل التي تطرح مثلا علي احمد باكثير يؤيد اباذر بدون تحفظ على اساس انه دعا الى العدالة الاجتماعية والمساواة والاخرون قد يتحفظون مثلا نجد ان علي احمد باكثير قد يثور ضد الاراء وعلى بعض الاحاديث التي رأى انها لا تتطابق مع العقل

والمنطق يقول ان هذه الاحاديث باطلة وموضوعة على الرسول مثل حديث الذبابة (اذا سقط الذباب على اناء احدكم فليغمسه فانه في جناحه الاول داء وفي الاخر شفاء) لان المحدثين . . حتى القدماء الاسلاميين كان لديهم (الجرح والتعديل) وهو علم كبير وكل مؤلفات البيلوقرافيا (السير) نشأت في علم الجرح والتعديل في الحديث ولان المسلمين القدماء كانوا يناقشون المتون بعد مناقشة الاساليب كذلك فقد لا ترتبط المتون مع منطق العقل كانوا يرجعونها . . الجاحظ يناقش احد المحدثين عندما قال ان الرسول قال رأيت القمر بين حراء فقال له كذبت . . الجاحظ لقول المتحدث انك كذبت لان ذلك لا يمكن ان يحدث (الجاحظ مسلم وموحد وامام الموحدين المعتزلة) .

فاذن وجد باكثير على تمسكه الشديد بدينه الاسلامي وعروبته كان مجتهدا وقد تغير في فكره كثيرا عما كان عليه في سيئون وهذا شي طبيعي والا ما الذي يدعو هذا الاصولي ان يدرس اللغة الانجليزية لانه وجد في هذه حضارةً وشعراً وفناً وأراد أن يعد نفسه ليكون أديباً كبيراً وبالفعل استطاع أن يصل بتصميمه الى أن يجعل من نفسه أديباً كبيراً . .

نحن في ذكراه نحيي هذا الاديب الكبير ونحن فقط نؤدي بعض حقه ولا بد اننا في المستقبل سنجمع نتاجه ونعمل على نشره ودراسته دراسة حقيقية جادة واشكر كافة المتحدثين .

وشكرا . . .

حديث الاستاذ عبد الله البردوني في الندوة التي أقيمت ضمن فعـاليـات « مهـرجـان بـاكثـير الاول » يـوم الاحـد ١٩٨٥/١٢/٢٢ م بسيئون

ليس من السهل التحدث عن علي احمد باكثير في هذه الدقائق المعدودة وفي هذا الظرف بالذات لان قراءتنا عن علي احمد باكثير كانت متقطعة فبعض كتبه قرئت بعد ان ألفها بسنوات عشر أوخمس عشرة سنة وبالتالي ان مؤلفاته الى الان لم تجمع كسائر المؤلفات في مجلدات .

وبهذا سيكون الحديث عن علي احمد باكثير مجرد لمحات ويمكن ان الفترة التي ألف فيها علي احمد باكثير وهي من مطلع الثلاثينات الى وفاته في آخر الستينات كانت من اهم الفترات واكثرها انتاجا في الرواية التاريخية وفي المسرح التاريخي وفي الاشعار حول التاريخ . في تلك الفترُة نشر لجرجي زيدان رواياته « تاريخ الاسلام » ومحمد فريد ابو حديد كتب عن « الوعاء المرمري » كرم ملحم كرم كتب عن « صقر قريش » فقد كانت المسرحية التاريخية من اهم المؤلفات التي انتجها في الثلاثينات ، ولعل توفيق الحكيم هو اول من استهل التراث في مسرحيته « أهل الكهف » « شهرزاد » .

فجاء علي احمد باكثير المولود سنة ١٩١٠ م الى مصر وهي زاخرة بالمؤلفات التاريخية وهذه تستدعي الملاحظة لماذا رجعت الثقافة العربية

اربـع مرات الى التـاريخ وجعلت من المـاضويـة استمرارا في الحاضر . فبالحقيقة ظهرت في مطلع الثلاثينات المسرحيات التاريخية وفي الاربعينات تزايدت الكتب عن محمد وابي بكر في مصر بشكل معين كذلك من مطلع السبعينات الى الان نلاحظ التفاتاً الى التراث بشكل متـزايد وبشكل غزير جدا ، ولا شك ان المؤلفات عن الماضي في السبعينات اكثر منهجية واكثر رؤية عن المؤلفات المعاصرة . كأن يبقى التساؤل ان هناك فترات مفلسة ترجع الى الماضي ويصبح الماضي اكثر وجوداً في الحاضر .

ولعل علي احمد باكثير لم يتأثر بالثقافة المصرية او بالنتاج العربي في ذلك الحين وانما بدأ وهو في اليمن عندما كتب « همام اوفي عاصمة الاحقاف » وكما اشار الاخ / المحاضر ان باكثير تأثر بمسرحيات شوقي « مجنون ليلى » و « اميرة الاندلس » و « عنترة » .

لا شك ان علي احمد باكثير في اول عمل من اعماله « همام اوفي بلاد الاحقاف » كتب مسرحية واقعية كان بطلها ليس تاريخياً وانما كان يجعل من الفترة التفاتاً الى التاريخ ويجعل من التاريخ تفسيراًللحاضر اما في بقية مسرحياته مثل « وأ إسلاماه » « سيرة شجاع » ومثل « ابو دلامـة » ومثل « اخناتون ونفرتيتي » . فقد كان يلجأ الى التاريخ . فلماذا لجأ علي احمد بـاكثير هـذا اللجوء المستمـر الى التاريـخ ؟ . لعل الغـربـة كـانت اهم الاسباب ، فلم يجد وطنا يستقر عليه ، فاستقر في التاريخ او في ماضي الناس الذين كانوا يعتبـرون رجال الامجـاد ، او كانت تسمى العصـور الذهبية ، فقد كان هناك اعتبار بعد الاحتلال التركي للتاريخ العربي بانه تاريخ الفتوح وتاريخ الانجازات الكبيرة . فاذا لاحظنا الفترات التي يرجع عليها علي احمد باكثير لم تكن فترات الخصب ، ولم تكن فترات التفجر ،

وإنما كانت هناك فترات شعبية ولم يشر اليها علي احمد باكثير .

فمثلا عندما كتب روايته التي صارت مسرحية « سيرة شجاع » كانت تؤرخ آخر العهد الفاطمي واوائل العهد الايوبي ، ولم يشر الى ماضي تلك الفترة من بطولات الفتيان والاحداث الذين كانوا يزعزعون السلطة وكانوا احيانا يكونـون سلطة بـدلا عن السلطة . وثبت ان هؤلاء الذين كـانوا يسمون الاحداث والفتيان او الفتوات في مصر هم الذي دافعوا امر الدفاع عن مصر وايضا في فلسطين عن فلسطين في ايام الحملة الصليبية في القرن الحادي عشر الميلادي .

فلم يشر علي احمد باكثير الى هـذه الحركـات الهامـة وهي حركـات الاحداث والفتيان والفتوات في مصر والشام ، او الشطار والعيارين الذين كانوا يحكمون الحكم في فترات في بغداد وفي الحجاز وفي كثير من المناطق .

كانت اكثر مسرحياته التاريخية هي رسمية مثلا « وا إسلاماه » سيف الدين قطر ، كذلك « سيرة شجاع » اسد الدين الايوبي وصلاح الدين الايوبي كذلك روايته « ابو دلامة » تمحور فيها المهدي واضحاك ابي دلامة للمهدي اكثر ما تناول ابادلامة الشاعر البـائس والضاحـك المضحك ، فلماذا لجأ الى التاريخ ؟ لجأ لان الاثارة الثقافية كانت في الكتابة التاريخية كما اشرت مثل « اهل الكهف » ومثل « سليمان الحكيم » و « شهرزاد » لتوفيق الحكيم .

وقد وفقت هذه المسرحيات كمسرح ذهني ولكنها لم تـوفق مسرحيـا اجتماعيا ، اذ هناك سبب هو غربة علي احمد باكثير عن وطنه فلجأ الى التاريخ ، وهناك اثاره ثقافية هي التي سببت التجاءه الى التاريخ ، لكن ماذا يمكن ان يقول الناقد او الدارس العادي عن الرواية التاريخية ؟ لا شك

ان التاريخ يصبح عن المعاصر مادة واقعية لكن لا يمكن ان يبدع المؤلف المسرحي في مسرحية تاريخية او في رواية تاريخية كما يبدع في رواية واقعية بسبب واحد هو ان التاريخ مادة جاهزة . فالابطال معروفون بالاسماء وفي كتب التواريخ والاحداث مدونة في كتب التواريخ وكلما سيبدع الذي يكتب المسرحية التاريخية . . . للمبدع في شيء من صنعه بل انه يتناول مادته مصنوعة وانما ممكن ان يغير جوانبها . على حين ممكن للمبدع ان يكتب الرواية الواقعية او القصة الواقعية وتعتبر خلقاً لان في البطل الواقعي او في الابطال الواقعيين نوعاً من الاختيار لصورة ايديولوجية الكاتب ثم ان هناك مجالاً للابداع تحت تأثير العلاقات بين البطل والاحداث وبين الاحداث والموضوع التاريخي ، اما الموضوع التاريخي فهو موضوع جاهز وكل ما يمكن للمرء ان يلاحظه ان المسرحي التاريخي يعتمد على ثلاث نقاط :

أولا : انه يعتمد على اقرب القصص مثلا نلاحظ عند شوقي « مجنون ليلى » اعتمد على اساطير البوادي ، كذلك علي احمد باكثير اعتمد على الاساطير في حضرموت ولكنه دخل من الاشارة للخرافات بنقدها وليس باتخاذها فنيا ، وانما ادرجها باعتبار ان في البلد تطاحناً قبلياً وصراعاً اجتماعياً وتعصباً دينياً فهو يقول : وليس كل من نقد هذه الاوضاع وهذه التقاليد البالية باغض لاهل البيت فليس بالضرورة ان المرء يبغض اهل البيت وكل الناس يحبون اهل البيت وقد كانوا قادة اصلاح ، وهذا اشارة الى ما كان يعتلج في حضرموت من الصراع المذهبي ، اما مسرحيته السياسية فقد كان يسطع فيها من وجهتين : الوجهة الاولى قومية . الوجهة التي يرتكز عليها هي الوجهة الناصرية كما يلاحظ في مسرحيته « شيلوك الجديد » ، « شعب الله المختار » ، « اله اسرائيل » فهذه المسرحيات مسرحيات سياسية .

أما اشعاره التي كان يكتبها بالشعر العمودي باستمرار وان كان كتب شعراً عمودياً متطوراً في ترجمته لـ « روميو وجوليت » وكذلك تأليفه لـ « اخناتون ونفرتيتي » كتب هاتين المسرحيتين بالشعر العمودي المتطور . الذي يقرب تقريبا شعر الخمسينات او بداية الخمسينات لكنه لم يطبق هذه الطريقة على قصائده ، فقد كانت كل قصائده من « همام او في بلاد الاحقاف » الى قصيدته التي غنيت له بعد نكسة حزيران ٦٧ م « اما نكون ابدا او لا نكون ابدا » كذلك كانت كل قصائده في الخمسينات وفي الستينات من وجهة نظر ناصرية خالصة حتى انه كان يعادي الانظمة العربية التي تعادي الوجهة الناصرية او التيار الثوري الذي انتهجته مصر ، مثل قصيدته الشهيرة :

ايها المسلمون كونوا يهودا قد اتاكم من هاشم حاخام
يدعي انه النبي وان الدين ما يدعيه لا الاسلام
فاتبعوا دينه الحقيق والا ان ابقاءكم عليه حرام

كل قصائده كانت تنتهج سياسيا من وجهة ناصرية . اما كتابته التاريخية فكانت تصدر من قاعدة ايمانية ، نلاحظ مثلا قصة « أوديب » الذي أول من كتبها سوفوكلير ثم كتبها شكسبير ثم كتبها بورنارد شو ثم كتبها توفيق الحكيم ، فقد كتب علي احمد باكثير هذه الرواية « مأساة اوديب » ورد الاحداث من القتل الوحشي الى زواج اوديب من امه الى انجابه من امه الى عماه بيديه رد هذه كلها الى القضاء والقدر الالهي الذي ليس لاوديب فيه دخل ولا للحياة العامة فيه دخل ولا لجور الملوك كما اشار سوفوكليز اي دخل ، فقد كان علي احمد باكثير يسطر في الرواية التاريخية من ناحية ايمانية حتى كتابته « الثائر الاحمر » أو « حمدان قرمط » لم يشر الى

الفكرة السياسية والى الاطوار السياسية وانما تكلم عن هذا الرجل كفلاح وكيف جاء من اواسط العراق ، وكيف نشأ نشأة فلاحية وعلمته هذه النشأة الثورة . اما « وا إسلاماه » فكانت في الحقيقة اكثر تحريراً للمسلمين ، ولكنه كان يقصد بتحريض المسلمين للجهاد في سبيل تحرير فلسطين . فلعلي احمد باكثير في الحقيقة نظرات متعددة النظرية التاريخية التي تعتمد على القاعدة الايمانية ، المسرحيات السياسية او القصائد السياسية كانت تعتمد على الوجهة الناصرية .

كذلك دعواته الاصلاحية ومنذ الخصام والتحاب بين الناس بدون ان نشير الى انه محقاً ومبطل وان هناك مبادىء يدافع الانسان عنها ولم يفرق بين وجه دفاعي ووجه هجومي وانما كان ينتقد الاختلافات والخصومات بالتقاليد التي اورثت هذه الخصومات ولم يستغل التقاليد والعادات للعناصر الفنية لإبداع عناصر فنية أخرى .

في الحقيقة علي احمد باكثير ظاهرة ادبية كبيرة تستحق الدراسة وتستحق ان تؤلف فيها الكتب من عدة مناظير ، وقد افادنا الاخوان وبالاخص الاخوة الحضارمة عن جوانب كثيرة من حياته كنا نجهلها اثناء حياته في حضرموت ، وكان يعاني في الحقيقة من مرارة هامة واهمها الغربة ، واهمها عدم الانجاب ، فيقال انه يعاني من عقدة عدم الانجاب معاناة مريرة .

أما ايامه الاخيرة في القاهرة فقد كان يعاني غربتين او اكثر من غربتين لان المسرح القومي اغلق بابه دونه . طرق باب الصحافة لم يلق صحافة كذلك اراد ان يصل الى اليمن وظنَّ انه سيلاقي احتضان ، وعندما وصل عام ١٩٦٨ م لم يجد الذي كان ينتظره فحتى انه قال كما رواه الدكتور عبده

بدوي : « عندما قتلت في مصر قتلت في كل مكان » .

القضية لا يمكن ان نحسب هذا الحديث يؤدي مسؤوليته على ما ينبغي الا بعد اعادة قراءة آثار باكثير كلها ، ويكفي الان هذه الاثارة .

وشكرا . . .

علي أحمد باكثير
سنوات في جاوه وحضرموت
١٩١٠ - ١٩٣٢ م

بقلم الاستاذ : أحمد عوض باوزير

صدرت مسرحية (همام او في عاصمة الاحقاف) للاديب علي احمد باكثير عام (١٣٥٣ هـ / ١٩٣٤ م) لاول مرة في المطبعة السلفية بالقاهرة لصاحبها محب الدين الخطيب . وقد ألفها وهو في الطائف بعد انحداره اليها من حضرموت . فقد قال عنها في بعض مراسلاته : انها في موضوع الاصلاح الديني وانكار البدع والخرافات الفاشية في البلاد الاسلامية عامة ونقد عادات السوء في حضرموت خاصة وهي على نمط روايات امير الشعراء شوقي بك .

وهذه المسرحية ، تعتبر اول تجربة لباكثير في الكتابة الشعرية المسرحية اذ لم يسبق له الاطلاع على شيء من المسرحيات الشعرية الا بعد رحيله عن حضرموت ، واقامته لفترة قصيرة في الحجاز . وكانت مسرحيات شوقي إذّاك هي اول ما عرف في هذا الفن المسرحي . ويحدثنا باكثير عن الاثر الذي تركته في نفسه هذه المسرحيات فيقول . . لقد علمتني تلك المسرحيات كيف يمكن للشعر ان يكون ذا مجال واسع في الحياة حين يخرج عن نطاق ذاتية قائليه الى عالم فسيح يتسع لكل قصة في التاريخ أو حدث

من الاحداث . وفي القاهرة حيث كانت قبلته أو محطته الاخيرة ، ورحلته التي بدأها من حضرموت وطوف فيها ببعض البلدان المجاورة عزم على دراسة الادب الانجليزي بعد ان علم انه غني بالشعر الرفيع . وكان انتدابه الى المسرحية اكثر من انتدابه الى غيرها من الفنون الادبية الاخرى كالقصة والملاحم والشعر القصصي وكانت تستهويه في الادب الانجليزي بوجه خاص اعمال شكسبير لانها كما قال . . تجمع بين الفن القديم الذي يحبه وهو الشعر وبين هذا الفن الذي بدأ يكتشف في نفسه الاستجابة له وهو المسرح .

كانت امنية باكثير عندما هبط مصر ١٩٣٤ م هي الالتحاق بالازهر او دار العلوم ولكن رغبته قد تغيرت فالتحق بكلية الاداب قسم اللغة الانجليزية وامضى بها اربع سنوات وتخرج بعدها عام ١٩٣٩ م وقد نمت لديه خلال دراسته للادب الانجليزي تجربة جديدة ليست بالنسبة له فقط بل بالنسبة للشعر العربي الحديث ايضا وقد قدر لتلك التجربة ان تكون التجربة الام لما شاع تسميته فيما بعد بالشعر التفعيلي او بالشعر الحر وبعد دراسة باكثير للمسرح في القاهرة واطلاعه على المسرحيات الاخرى لكبار الادباء في مصر اعاد النظر في مسرحيته الشعرية واعترف بانه قد كتبها دون سابق المام بفن المسرحية بل بأصول التأليف المسرحي وانها ليست سوى قصائد ومقطوعات شعرية بين رقيق وجزل يجمعها موضوع واحد وينظمها اطار واحد ولذلك لا يمكن تسميتها بالمسرحية الا على سبيل التجوز لافتقادها المقومات الاساسية للمسرحية من بناء وحركة وحوار ورسم وشخصيات .

ولقد نمت من دراسته للادب الانجليزي الموهبة الشعرية وجعلته يصقل تلك الموهبة ويعد نفسه ليكون شاعرا كبيرا وقد كان له من ثقافته

العربية الاولى ومعرفته بالشعر العربي وامتلاكه لخصائصه وادواته الفنية اكبر معين ومساعد له ولم يمنع اختلاف وجهات النظر مع أديب مصري كبير وهو الاستاذ محمود امين العالم من ان يعترف بان باكثير كان فنانا جادا له تاريخ اصيل في المسرح والشعر والنثر على حد سواء . ومنشأ الخلاف بينهما هو مسرحية (حبل الغسيل) لباكثير الذي يرى فيها محمود العالم انها كتبت بروح غير روح الفن بل بروح العاطفة لم يوجهها العقل ولم يصقلها الاتزان ولذلك فهي من وجهة نظره تعتبر انزلاقا خطيرا الى مستويات غير لائقة بحكمته ووقاره وثقافته .

ونحن لا يعنينا من مسرحية همام ان تكون قد كتبت بغير معرفة باصول التأليف المسرحي او انها كانت عبارة عن قصائد ومقطوعات لا تمت الى الفن المسرحي بصلة او أن بناءها الفني مضطرب وغير موزون فهذا كله لا يشغل بالنا أو يثير اهتمامنا من قريب او بعيد بل ان الذي يعنينا بدرجة اساسية هو ذلك البعد الاجتماعي والفكري الذي تمثله المسرحية وتسعى الى ادراجه من خلال الحركة بين شخصيات الرواية . لقد كان الزميل علي محمد الصبان امينا وصادقا مع نفسه حين اعتبر تلك المسرحية وقفة ادبية تمثل مرحلة من مراحل تطور المجتمع الحضرمي ولم يكن هذا الهدف بعيدا عنه وهو يتصدى لاعادة طباعة هذه المسرحية وغيرها من الاعمال الادبية الاخرى . فهو يهدف كما قال الى تعريف الجيل الجديد في الوطن العربي كله على اهم النتاجات الادبية اليمنية ، بشكل عام والتي كانت قد صدرت منذ زمن بعيد .

لقد استوحى باكثير صور مسرحيته همام من واقع الحياة في حضرموت ، في النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجري (١٣٠٠ / ١٣٥٠ هـ) ولمعرفة هذا الواقع لا بد وأن نستشهد ببعض مما كتبه بعض

المؤرخين الثقات ممن اتصفوا بالنزاهة والامانة التاريخية . يقول بيان لجمعية الاخوة والمعاونة بتريم في الديباجة . . ان حضرموت في نصف القرن الرابع عشر الهجري قد بلغت منتهى درجات التأخر والانحطاط والفوضى في جميع نواحيها سياسيا وثقافيا واجتماعيا حيث منيت بسلاطين مستبدين وعشائر حضرية وبدوية تثير الفتن والقلاقل لاتفه الاسباب . وليس لها من شغل سوى قطع الطرق ونهب الاموال وارهاب العزل وقتل الانفس وارساء الخوف والرعب والقلق . وفي المدن لا توجد عدالة تحمي حقوق الناس ولا محاكم شرعية او مدنية للفصل في قضايا المظلومين وهم يبقون تحت رحمة السلاطين وزعماء المماليك ورؤساء القبائل وارباب المناصب الروحية والمال . اما المدارس فلا تعدو في ندرتها ان تكون في نطاق ضيق وغير منظم وهي في حالة تدعو للاسف .

وفي رحلة الثغرين للكاتب الالمعي محمد بن هاشم : حضرموت كلها ليس بها للمعارف سوق ولا رواج وان وجدت بها كتاتيب للاطفال فانما هي امكنة حقيرة وظيفتها اخراج من يؤمها من عمق الامية الى طرفها وفي أمهات المدن كتريم وسيئون وغيرهما معاهد مبعثرة تقتصر على تدريس الفقه والنحو وسرد من التفسير والحديث وكلام السلف .

وفي نحلة الوطن لحسن بن علوي بن شهاب احد اساتذة رباط تريم واحد المنادين باصلاح التعليم آنذاك : ان امر التعليم في حضرموت قد صار عند الكثيرين من الرسوم والتقاليد التي تؤدى فقط . وغالب تلك الطرق المتبعة في طرق التدريس والارشاد مفوتة للغرض مضيعة للزمن . وهي ان طلب العلم بتلك الديار مخصوص لفريق من الناس دون غيرهم ، فالسوقة والزراع ونحوهم والموالي ومن شاكلهم لا يحسن بهم ان يكونوا من العلماء .

واما في المهجر باندونوسيا حيث ولد الاديب علي احمد باكثير وحيث كانت تعيش هناك جالية حضرمية كبيرة فلم تكن لهم لما قبل عام ١٩٠٠ م جمعيات او مدارس سوى كتاتيب صغيرة قليلة لتعليم الكتابة والقراءة والقرآن العظيم وجزء يسير من الفقه اما اللغة العربية فلا تدرس لهم ولذلك فكل مواليد العرب في اندنوسيا يجهلون لغتهم العربية كل الجهل اللهم الا اولئك الذين اسعدهم الحظ بزيارة وطنهم حضرموت وكانت الدراسة مقصورة على الذكور دون الاناث ، لانهم كانوا يحرمون تعليم البنات حتى عام ١٩١٥ م وكان الاقبال على تلك الكتاتيب ضئيلا جدا ولذلك فقد كانت الامية منتشرة بينهم انتشارا هائلا ، وهناك افراد نالوا من تجارتهم ثروات عظيمة وهم اميون لا يعرفون الكتابة او القراءة ولم تكن هناك لهم نواد ولا جمعيات رياضية لان الاباء لا يتركون لابنائهم فرصة لتكوين جمعيات لهم وكل همهم هو تدريس ابنائهم على التجارة حينما يبلغون سن الرشد . أما الصحف العربية فليس لها أثر البتة على أن هناك أفراداً وهم قليلون جدا كانوا يطالعون بعض الصحف المصرية كالاهرام ومجلتي الهلال والمنار .

ولكن مع طغيان الانقلاب الفكري الذي سرى من الغرب الى الشرق ظهرت في المهجر جماعة مستنيرة اتصلت بالصحف العربية في مصر وسوريا وفي مقدمتها مجلة المنار واغلب هؤلاء من العلويين ويعد أن رأوا ما حل بمواطنيهم من جمود فكري وتعصب للبدع والخرافات والتقاليد البالية القديمة بدأوا بتأسيس الجمعيات وانشاء الصحف وكانت أول جمعية اقاموها هي جمعية (خير) بجاكرتا عام ١٩٠٣ م وأول مدرسة أسسوها كانت عام ١٩٠٥ م واسندوا ادارتها الى الشيخ احمد محمد السوركتي الذي تلقى العلم بمصر الى ان نال بها الشهادة العالية وأرسل من هناك مع

معلمين غيره الى جاوه بواسطة بعض العلويين ، وفي ١٩١٤ م استقال من جمعية خير وتأسست بارشاده جمعية الاصلاح والارشاد وانشأت لها اول مدرسة في اوائل عام ١٩١٥ م كما انشأت لها فروعا ومدارس اخرى على مبدأ الارشاد . وبالمقابل نشط العلويون وأسسوا لهم مدارس وجمعيات كان أكبرها الرابطة العلوية ومقرها جاكرتا وقدانضم اليها كثير من العلويين ثم اشتد الخلاف بين الجماعتين العلوية والارشادية وصار لكل منهما صحفه الناطقة باسمه فكانت جريدة الاقبال هي لسان حال العلويين بينما كانت الارشاد لسان حال الجماعة المناوئة لها . واخذت كل منهما تشن على الاخرى حملات قاسية وقد صدرت فيها بعد صحف اخرى كانت اما مؤيدة او معارضة . وقد اوجد الخلاف بين الجماعتين حماسا وتنافسا في انشاء المدارس وارسال البعثات الطلابية الى الاقطار العربية الشقيقة ولولا الغلو والاسراف والتطرف في مواقف كل منهما وما رافق ذلك من حملات السباب والشتائم والتعرض للانساب في الصحف والمجلات التابعة لهما لادى ذلك الى تحقيق التقدم والنهضة التي كان يصبو اليها الكثيرون من المخلصين لأمتهم ووطنهم . ومما يؤسف له حقا هو ان التنافس بين الجماعتين في انشاء المدارس ظل مقصورا على المهجر ولم يكن نصيب حضرموت منه سوى القليل من المدارس التي تعد باصابع اليد الواحدة ، ولعل اهمها واكبرها كانت مدرسة النهضة العلمية بسيئون التي تلقى بها الاديب علي احمد باكثير تحصيله العلمي في فترة صباه .

ولقد التحق باكثير وهو في اند نوسيا بالمدرسة الخيرية التي انشأها العرب في سربايا عام ١٣٢٩ هـ . وكان من أوائل الخريجين بها وبعد ان قدم الى سيئون بمعية والده التحق بمدرسة النهضة العلمية التي كانت تدرس العلوم الدينية والعربية ، وارتقى في دراسته الى الصفوف

العليـا ، ثم قـرأ عـلى عمـه الشيـخ محمـد بن محمـد بـاكثـير ١٣٥٥ هـ) في زاويته في كتب الفقه والنحو والادب وكان له ولع شديد بالشعر القديم والحديث وخاصة شعر ابي تمام والبحتري وابي الطيب المتنبي وشوقي وحافظ والبارودي وغيرهم . وقد قرأ مع رفيق صباه وزميل دراسته الشيخ عمر بن محمد باكثير في كتابي نيل الاوطار للشوكاني وسبل السلام للصنعاني وادركا فيهما الفوائد الكثيرة وتبين لهما جمود بعض الفقهاء في كثير من المسائل العلمية . كما كانت توجد بمكتبته الخاصة بسيئون مجلدات المنار والهلال وكان يعكف على قراءتها في اوقات فراغه .

ولا يعرف شيء عن حياة علي احمد باكثير في المهجر عدا ما اوردناه آنفا عن دراسته في المدرسة الخيرية بسربايا والا ما جاء في قصائده التي عالج فيها الشقاق الذي حدث في المهجر بين بني وطنه . وكانت قصائده تلك قد لاقت استحسانا وقبولا لانه لم يكن منحازا الى فئة دون اخرى وظل محتفظا بعلاقات طيبة وودية مع زعماء الجماعتين الى آخر ايام حياته .

ولا ينكر علي احمد باكثير اعتناقه لمبادىء الارشاد فهي في نظره مبادىء قويمة ومطابقة لروح العصر . ولـولا غلو بعض اعضاء جماعة الارشـاد وتطرفهم وخروجهم عن حدود الدعوة الى التعرض للانساب لأنضم اليهم كثيرون من رجالات الادب والعلم غير انهم لذلك السبب كانوا يتحرجون من الانتساب اليهم على الرغم من موافقتهم لهم في مبادئهم .

وفي سيئون تولى ادارة مدرسة النهضة العلمية التي كان طالبا بها ، واصدر مع نخبة من ادباء سيئون صحيفة التهذيب التي صدرت منها عشرة اعداد بين عامي ١٣٤٩/ ١٣٥٠ هـ ثم توقفت نتيجة لمعارضة بعض ذوي الاغراض والتحزبات ، وكانت اهداف الصحيفة كما جاء في افتتاحية

عددها الاول : خدمة الوطن وتهذيب الشعب الحضرمي وتنوير افكار الناشئة وبث روح العلم والادب فيهم ، وندب الامة الى الاخلاق الفاضلة ونقد العادات السيئة التي نخرت في جسم الامة الحضرمية وفتت في ساعدها واوهنت قواها وقضت على رجالها بمبارحة الاوطان مبتعدة كل البعد عن كل ما يمس الشخصيات متجنبة جرح العواطف بذكر الخصوصيات ، وقد قامت ضد الصحيفة ضجة مفتعلة لنشرها مقالا حول العمق وطبيعة التذكير التي ينفي ان يختار لها المتأهلون من العلماء العاديين ، الفاهمين بروح الاسلام وحقائقه . واعتبروا ذلك المقال تحريضا ضد دعوة السلف واشاعوا عن كاتبه انكاره لزيارة القبور والتوسل بالاولياء واضطر الكاتب الى توضيح مذهبه في ذلك وكان يتلخص في ان الزيارة على وجهها المشروع مما ندب لها الشارع وان التوسل جائز للمسلم شريطة الا يتجاوز بذلك حد الجواز الى ما يفسد عليه عقيدته التوحيدية ، واما من الوجهة الاجتماعية فهو مع رأي العلماء والمصلحين امثال السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وهو ان غلو المسلمين في الاتكال على الموتى والاعتماد على شفاعاتهم في كل امر من امور دينهم ودنياهم كان من اكبر الاسباب التي نخرت في جسم سلطانهم وانزلتهم من قمة العز الى حضيض الذل ونزعت من ايديهم بلادهم واوطانهم والقتها في يد اعدائهم .

وتتكالب ضد باكثير في حضرموت قوى عديدة ، كان من مصلحتها القضاء على أفكاره التحررية . ولما داخله اليأس في التغيير الذي كان ينشده لوطنه ولم يجد امامه من سبيل الا ان يرحل ثانية ، ولكن ليس الى جاوه حيث قضى بها سنوات طفولته ، ولكن الى القاهرة منارة العلوم والآداب ويتوقف لفترة قصيرة في عدن والصومال والحبشة ثم يتجه الى الحجاز ويقضي بها عاما أو بعض العام ، ينشىء خلالها مسرحيته الشعرية

همام او في عاصمة الاحقاف التي تصور الحالة الاجتماعية في حضرموت اصدق تصوير .

ولم يعد باكثير الى حضرموت الا بعد ما يقارب الثلاثين عاما قضاها في القاهرة طالبا واستاذا وكاتبا واديبا مشهورا ، وبعد عودته من حضرموت بعام واحد الى مصر ادركته المنية في منزله (بالمنيل) في غرة رمضان عام ١٣٨٩ هـ الموافق العاشر من ديسمبر عام ١٩٦٩ م بعد اصابته بنوبة قلبية اسلم فيها الروح الى بارئها بعد حياة حافلة بالاعمال الخالدة .

أحمد عوض باوزير
سيئون ١٩٨٥/١٢/٢٢ م

مع بدايات رائد الشعر الحديث
في وطنه الاول

بقلم : سالم زين باحميد

من خلال متابعاتي الاخيرة في الاعداد والترتيب لمناسبة افتتاح مقر اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين شعبة سيئون ـ دار الاديب علي احمد باكثير عرفت ولمست من التساؤلات الحائرة التي تطل من عيون الكثير ممن لقيتهم والسؤالات التي يطرحونها استفسارا عن باكثير ؟ أين عاش ؟ وما يكون ؟ كم كان باكثير مجهولا ومطمورا وغير معروف لدى الكثير من مواطنيه . . وكم هي شاقة الجهود المطلوبة من اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين حتى يمكنهم اخراج هذا الاديب اليمني الفذ الى دائرة الضوء اللائقة بمكانته . . ونشر فكره القومي الثوري في ربوع اليمن السعيد . . والأقطارالعربية .

لهذا جئت بهذا التعريف السريع والخاطف عن هذا العبقري اليمني الفذ .

ولد اديبنا علي احمد باكثير بسورابايا اند نوسيا عام ١٩١٠ م وقيل عام ١٩٠٨ واتى بمعية والده احمد محمد باكثير المتوفي عام ١٩٢٣ م الى مدينة سيئون عام ١٩٢٠ م وتلقى تعليمه على يد عمه الشيخ العلامة محمد بن محمد باكثير قرأ عليه في الفقه والنحو والادب والتاريخ .

كتب الشعر مبكرا من قصائده الاولى قصيدة كتبها عام ١٩٢٣ م وصفها عمه محمد بانها قصيدة غراء .

وكتب عام ١٩٢٤ م قصيدة مطلعها :

بدر التمام على حمانا مشرق .
وعبير مسك الختم فينا يعبق

ولا يفوتنا اختياره لهذا البحر الكامل وهذه القافية المتينة الاسرة ولعله ينظر الى قصيدة المتنبي العظيم :

أرق على أرق ومثلي يأرق
وجوى يزيد وعبرة تترقرق

واذا عرفنا ان هذه القصيدة من شعر المتنبي في صباه ، وان باكثير كتب قصيدته وهو لم يتجاوز ربيعه الخامس عشر بعد ، واذا عرفنا ان اسرة باكثير ترجع بالنسب الى كنده تلك القبيلة التي ينتسب اليها المتنبي العظيم ، ادركنا اي طموح يحمله هذا الفتى اليمني باكثير بين جنبيه . وظل هذا الهاجس ملازما له طوال حياته . . لقد كان باكثير مسحورا بهجرات المتنبي المتعددة ، وبغضبه الزاعق وتأكيده على العروبة وبرفضه المتجدد لكثير من الناس ، وكثير من قيم المجتمع .

في حياة باكثير ظروف غامضة واحداث لا زالت في حاجة الى الايضاح والكتابة عنها بالتفصيل والدقة وبتاريخ الاحداث والوقائع ان خير من يكتب في ذلك الان : هو ـ اخونا الاديب احمد عبد القادر باكثير فهو خير من يكتب دراسة مفصلة عن حياة عمه علي احمد باكثير ابان وجوده بحضرموت . وظروف سفره الى اندنوسيا وعودته . وزواجه الاول وزواجه الثاني ، وما أثمر عنه الزواج الاول والزواج الثاني فالاستاذ باكثير

كما تعلمون اصبح ملكا للتاريخ وان اسرته وعلى راسها اخوه عمر بن احمد وابن اخيه احمد عبد القادر مسئولة عن كتابه دراسة مفصلة تكون مرجعا لمؤرخي حياة هذا العبقري ودارسيه، ان الدراسات التي كتبت عن الاستاذ باكثير حتى الان لا زالت معدودة وغير كاملة وانها تلقى اضطرابا كبيرا عندما تؤرخ له ابان وجوده بحضرموت لقلة المراجع المفصلة والمعتمدة .

غادر باكثير سيئون لاول مرة الى اند نوسيا عام ١٩٢٧ م وخلال اقامته باندنوسيا عاش الخلاف الحاد الذي وقع بين ابناء وطنه في مهجرهم : وظلت حالة بني وطنه في اندنوسيا مرتسمة في ذهنه تؤرقه وتذكي مشاعره .

عاد الى سيئون قادما من اندنوسيا عام ١٩٢٨ م وشارك في الحياة الادبية في سيئون وساهم في اصدار مجلة التهذيب بمدينة سيئون عام ١٩٣١ م وعالج امراض المجتمع باشعاره وكتاباته باسلوب قوي رصين سلس يمقت الجمود الفكري والعوائد الفاسدة ، ودعا الى انصاف المرأة والى العمل ونبذ الكسل والاتكالية ، ونجده في عدد التهذيب الصادر غرة صفر عام ١٣٥٠ هـ يكتب مقاله الرائع ـ حركة الماكينات الرافعة للماء بحضرموت افتتاحية لعدد التهذيب : هذا المقال القيم الذي يطرح وبشدة ووضوح في وقت مبكر من هذا القرن دور الزراعة في الاقتصاد الوطني والعناية بها ومالها من الاهمية ويدعو الى تطويرها وتحديث وسائلها . . . . يكتب هذا العبقري الفذ افتتاحية لمجلة فكرية رائدة في وسط محافظ بكل جرأة وشجاعة ، اثارت اراؤه ودعوته عليه ، اعتراضات ومضايقات كثيرة وطالب اعداء التقدم والحرية بايقاف التهذيب عن الصدور . عانى باكثير من واقعه ، ومن احبائه وأبيه ، وبعض اخوانه واصدقائه ثم زوجته التي هز موتها كيانه هزاً مخيفاً ، وأحس في داخل نفسه بالاغتراب والتمزق ،

ونسمعه في حزن شاعري عميق وقد مر على مقبرة جوهر بمدينة سيئون يقول :

مررت على تلك القبور بجوهر
وناديت يا أهل القبور أجيبوا
أجيبوا ندا من كان فيكم أب له
وجد وفيكم صاحب وقريب
فرجع صوتي في نواحي فنائها
كأن لم يكن اذ ذاك ثم مجيب

وتبدو سيئون وايامها في نظره كما صورها بقوله :

تجيش بها احزانها فكانها
مراجل تغلي بالحميم نوازيا
وسكانها تبدو عليهم كآبة
ترى آيها فوق الوجوه ببواديا
الا لكم الاعياد صارت مآتما
وتلكم مغاني الانس اضحت بواكيا

ولم يطل به المقام بسيئون فغادرها للمرة الثانية عام ١٩٣٢ م ولسان حاله يقول :

سلام على سيئون أنَّ تطوحت
بي الحال ان جاوا قصدت وان مصرا
سلام على دار السلام وفتية
بها من شباب العصر عاطوني الخمرا

بحيث يسود الود ضاحك جونا
وحيث كرام الكتب ما بيننا تقرا
فبين ضلوعي صاحب ليس بارحا
ينوح على عهد كريم بها مرا
سلام على قبر كريم لصاحب
نعمت به دهرا وتهت به عصرا
بنيت به قصرا مشيدا من المنى
فشلت أيادي الدهر هدمت القصرا
رزئت به رزءاً لوان عظيمه
على جبل لا ندوك او كوكب خرا
تلقته نفس في سمو فزادها
عزاء وجثماني فضاق به امرا

وطاف بعض اقطار افريقيا وفي الصومال نسمعه يقول :

في ربى هرقيا هواء وماء
ورياش ووابل ورذاذ
وطيور على الغصون تغني
ومراء جمالها أخاذ

أما في اثيوبيا وفي عاصمتها الجميلة اديس ابابا باللغة الامهرية الاثيوبية وترجمتها بالعربية - الزهرة الجديدة - في هذه الطبيعة الساحرة الخلابة التي نقلته الى ربى اندنوسيا وهذا الوفاق الذي يسود اليمنيين المقيمين باديس ابابا الذين يكونون الجالية اليمنية - تضم المغتربين من اليمن عامة - ابان كان الشمال والجنوب يرزحان تحت الحكم الإمامي

الانجلو سلاطيني تمثلت امامه حالة بين وطنه باندنوسيا وما عـاشه عـام ١٩٢٧ م هناك ، فأوحت اليه اديس ابابا رائعته الشهيرة :

على اخوانـنـا المتسديرينا
اديس ابابا سلام المخلصينا
سلام الشاكرين لما بنو من
عُليّ لبني العروبة اجمعينا
رأيتم سوء عاقبة التعادي
فكنتم بالاخاء متمسكينا
فهل لبني ابينا ان يروكم
بأقصى الشرق هل لبني ابينا ؟
لعلهمو بكم اما رأوكم
نهضتم بالتآخي يقتدونا
اديس ابابا الا تلقين درسا
على جاوا وجيراتها مبينا ؟

الى آخر قصيدته التي تبلغ أبياتها الـ ٤٦ بيتا .

ثم عاد من جولته الافريقية الى عدن ، وتفقد العربية واحدا من ابنائها العظام . . تفقد شاعر النيل حافظ ابراهيم عام ١٩٣٢ م فاذا بأديبنا باكثير يشارك امته هذا المصاب الجلل ويرسلها مدوية :

رفع الشعر وانطوى الالهام
اذ ثوى حافظ ، عليه السلام
شعراء الجزيرة ابكوا جميعا
انتم اليوم ويحكم أيتام

هـذه الضـاد في المدامـع غـرقى
نـشـبـت في فـواد هـا الآلام
تـنـدب ابـنـا لهـا كـريما عـليـهـا
وقـليـلـون في بـنـيهـا الـكـرام
تـنـدب ابـنـا لهـا عـزيـزا عـليـهـا
طـالمـا ذب مـنـه عـنهـا الحـسـام
كـم تـغـنى بمـجـدهـا وهـي تـعـبـى
وبـكـاهـا الـنـجـيـع وهـي تـضـام
حـافـظـا عـهـد ودهـا لم يخـنهـا
حـين خـانـت عـهـوده الايـام
شـاعـر الـنـيـل كـيـف أرثـيك قـل لي
ايـن مـن راحـتي ذاك المقام
غـير اني وانـت تـعـلـم اني
مـن مـريـديـك انهم اقـوام
قـد براني الاسى عـليـك ومـن الـبـشـعـر
عـزاء ، فـهـل عـليَّ ملام
يـا نـدامـاي خـنـضـوا مـن أمـسـاكـم
هـكـذا غـايـة الحـيـاة الحـمـام

وكان حافظ ابراهيم اثيراً لدى باكثير ويظهر ذلك من خلال هذا الرثاء الصادق العميق .

في أواخر عام ١٩٣٢ م (١٣٥٢ هـ) غادر عدن الى الحجاز وفي مكة المكرمة كتب قصيدته نظام البردة وطبعت بمصر عام ١٩٣٤ (مطبعة

الشباب) سجل فيها ما عاناه من فراق وطنه ؟ وفقد احبته حاملا حبه العنيف الصادق في طيات اعماقه ، وخيال الاحبة وطيف من أحب لا يفارقه فإذا هو ينوح :

والحب يقصر من خطوى وهل عرفت
معبودة الحب مثلي عابدا صنمي
اوفى واقوم في هجر وفي صلة
حتى بحفظ عهود الحب والذمم
بليت فيه بخطب لا عزاء له
الا اللقاء بدار الخلد والسلم
ولن يزال وطيس الحب في كبدي
يرمي بذي شرر كالقصر مضطرم
ويح الشباب وقد ندت اوائله
والحوض دوني واني لا ازال ظمي
خمس وعشرون لم ادرك بها غرضا
مرت عليّ كطيف مر في الحلم

ومن الطائف عام ١٩٣٣ م كتب أول كتاب له في سلسلة كتبه التي امتدت حتى اربت على الستين كتابا على مدى ٣٦ عاما . كتب مسرحية همام : او من عاصمة الاحقاف وقد نشرت للمرة الاولى عام ١٩٤٧ م بمصر بتصدير بقلم الاستاذ الشاعر المصري الكبير حسن كامل الصيرفي صاحب ديوان الابحاث الضائعة صدر عام ١٩٣٤ م وكتاب في النقد حافظ وشوقي صدر عام ١٩٤٨ م ، كتب هذا الاديب المصري تصدير مسرحية الشاب اليمني القادم الى مصر ،

وفي التوطئة التي كتبها الاستاذ باكثير لمسرحيته تصوير لـواقع حضرموت المتخلف في تلك الحقبة من الزمن وما تعانيه من الفوضى والانقسامات العشائرية والعادات السيئة .

وبعد ٢٦ عاما وبالتحديد في عام ١٩٥٨ م كتب باكثير عن تجربته الاولى تلك قائلا :

كتبت مسرحية همام . . دون اي المام سابق بفن المسرحية فكانت النتيجة قصائد ومقطوعات من الشعر بين رقيق وجزل يجمعها موضوع واحد وينظمها اطار واحد ، ولكن لا يمكن تسمينها مسرحية الا على سبيل التجوز لافتقارها الى المقترحات الاساسية للمسرحية من بناء وحركة وحوار ورسم شخصيات .

فهو يرى ان الموهبة لا تكفي وحدها . وهكذا يكون باكثير قد أدرك في وقت مبكر الوجه الاخر من الفن ، واذا كان الشكل في هذه المسرحية لم يبعد كثيرا عن شكل القصيدة المتوارث الا ان ما يحفظ له حقا وصدقاأنه كان اول من طرح باقتدار قضية وطنية معاصرة في المسرح الشعري العربي ، ويكون صاحب اول صوت حقيقي في الحث على الثورة ، وفي الاصلاح الاجتماعي ، وفي الدعوة المبكرة للمجتمع العربي في عالم الشعر .

ألقى باكثير عصا التسيار بمصر عام ١٩٣٤ م والتحق بالجامعة المصرية كلية الاداب ـ قسم اللغة الانجليزية وكان تخرجه عام ١٩٣٩ م ثم تخرج من المعهد العالي للتربية عام ١٩٤٠ م .

لقد كانت هذه الفترة خصبة في حياة باكثير فقد تميزت بالطموح والحب الجديد ، فمع ان ثقافته الماضية كانت عربية . الا انه بجسارة آثر دخول

قسم اللغة الانجليزية ـ لما علم ان هذا القسم يدرس بغزارة الشعر الانجليزي ، وما كاد يقضي في هذا القسم عاما حتى وجد نفسه في بلبلة نفسية من حيث النظر الى شعره الذي ينظمه وينشره في الصحف فقد تفتحت امامه افاق جديدة ، ولقد كان في مقدمة الفنون التي بهرته فن المسرحية ومن هنا نراه يقع بصفة خاصة في أسر شكسبير ذلك لانه يجمع بين فنه القديم وهو الشعر ، وبين هذا الفن الذي اكتشفه حديثاً وهو المسرح ، وفي هذه الفترة فترة البلبلة النفسية يصمت عن الشعر صمتاً طويلا .

ثم يكون ما يمس عبقريـة لغته العربية فاذا به يثور ويتحدى ومن خلال هذه الثورة وهذا التحدي يتحقق اكتشاف جديد هو ايجاد الشعر المرسل في اللغة العربية بصورة موضوعية . ذلك لان احد اساتذته الانجليز تحدث عن الشعر المرسل واكد ان الفرنسيين حاولوا محاكاتهم في هذا الفن ولكن نجاحهم كان محدودا ثم قال :

ومن المؤكد انه لا وجود له في اللغة العربية ـ ولا يمكن ان ينجح فيها .
من هنا رد باكثير معترضا اما انه لا وجود له في ادبنا العربي فهذا صحيح لان لكل أمة تقاليدها الفنية . ومن تقاليد الشعر العربي التزام القافية ؟ ولكن ليس ما يحول دون ايجاده في اللغة العربية فهي لغة طيعة تتسع لكل شكل من اشكال الادب والشعر ، فلما اعرض عنه استاذه أنمى عنده الدافع في التحدي واثبات ذلك بالبرهان العملي ومن ثم كان اكتشاف جديد في الشعر العربي .

وجاء التحدي من خلال مسرحية روميو وجولييت التي كانت مقررة عليه في كلية الادب ، وكان ان وقف عن مشهد من مشاهدها وهو يريد

نقله الى العربية شعرا ، وكان ان اخضع له البحر المتقارب : (فعولن فعولن فعولن فعول) ثم واصل الترجمة مرسلا نفسه على سجيتها في اختيار ما يناسب المقام من البحور والاوزان ومن ثم كان اكتشافه بعد هذه المعاناة ان البحور التي تصلح لهذا اللون الجديد من الشعر هي تلك التي تتكون من تفعيلة واحدة مكررة كالكامل والرجز والمتقارب والمتدارك والرمل ومن هنا يكون قد وصل الى سر البناء بالتفعيلة بمعنى ان تكون وحدة نغمية تتلاحق بتدفق ـ دون نظرة الى الحيز الذي تشغله .

ثم رأى باكثير ان يتكيء على نفسه بدلا من الاتكاء على غيره ومن ثم رأيناه يكتب بجسارة مسرحية اخناتون ونفرتيتي عام ١٩٣٨ م فيؤكد ريادته للشعر الجديد ولم تستقبل هذه التجربة بالحماس الا انه كان هناك صوت له قيمته في الوقوف الى جانب هذا الشكل الجديد ذاك صوت الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني . المتوفي عام ١٩٤٩ م . فقد كتب مقدمة للمسرحية . وهي مقدمة صادرة عن ناقد كبير له مكانته في عالم الادب العربي مع رفيقيه اصحاب مدرسة الديوان الشهيرة العقاد توفي عام ١٩٦٤ م وعبد الرحمن شكري توفي عام ١٩٥٨ م فقد تلمس ثلاثتهم اساليب التجديد المختلفة وقرعوا ابواب الشرق والغرب بحثا عن طرائق لتجديد الشكل دون جدوى ، ان المازني : يكاد يصرخ وهو يقدم للمسرحية : ان هذا هو الاسلوب الذي ظللنا نبحث عنه ثم ادركه هذا الشاب اليماني .

مرة اخرى يثبت الاستاذ باكثير ان ما صرح به في مطلع شبابه :

اذا لم اقلها فذة عبقرية
فلست لميراث امريء القيس حاويا

لم يكن فخر تعال بالانتهاء لامرىء القيس وانما طموح شاب يحس ان قبيلة كنده انجبت امـرأ القيس . والمتنبي لم تُصب بالعقم بعد..

ان باكثير هو رائد الشعر الحديث بكل المقاييس وتحت كل الشروط وظل باكثير فذاً ومفتخراً بتجربته الرائدة ، مغتبطا لما اصابت من الحظ العظيم اذ صارت نقطة انقلاب في تاريخ الشعر الحديث كله ، فقد قدر لها ان تكون التجربة الام في ما شاع اليوم وسميته انا قديما الشعر المرسل المنطلق ، تجربة انطلقت من منيل الروضة على ضفاف النيل بالقاهرة وثم ظهر صداها اول ما ظهر في العراق لدى الشاعرين المجددين الكبيرين بدر شاكر السياب توفي عام ١٩٦٤ م ونازك الملائكة ، بعد انطلاقتها بعشرة اعوام ثم ما لبث ان شاع هذا الشعر الجديد في العالم العربي كله . هكذا كتب باكثير في مقدمة الطبعة الثانية لمسرحيةاخناتون ونفرتيتي عام ١٩٦٨ م قبيل وفاته بشهور .

وكان الاستاذ باكثير وهو يرى من يحاول ابعاده عن ريادة الشعر الحديث وينكر عليه اكتشافه الخطير يردد في مرارة مؤلمة . . ان الشاعر السياب رحمه الله كان يذكر لي هذا السبق في كلمات الاهداء التي يخطها على كتبه المهداة الي .

ويعتبر باكثير بحق رائد قضية فلسطين في المسرح العربي ـ فان حسه السياسي المرهف قد جعله يضع قضية فلسطين قبل ان يتضح امرها في مقدمة القضايا العربية ، ولعل اتصاله المبكر بمحب الدين الخطيب توفي عام ١٩٦٨ م ومجلة الفتح جعله يدرك خطورة قضية فلسطين . وما يراد لفلسطين من الصهيونية وركائزها ، ففي سنة ١٩٤٤ م كتب مسرحية شيلوك الجديد وتنبأ فيها بنكبة فلسطين قبل حدوثها بثلاث سنوات ثم

توالت مسرحياته عن فلسطين فقد كتب عنها ست مسرحيات طويلة ، والعديد من المسرحيات القصيرة ومن اواخر اعماله مسرحية التوراة الضائعة كتبها بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ م ومات وهو يقول :

ما زالت قضية فلسطين تنتظر العمل الادبي الذي يتكافأ مع خطرها واهميتها .

كما أسلفت هذا حديث خاطف وسريع أحببت أن أشارك به ـ عله يسهم في القاء الضوء على هذه الشخصية اليمنية الفذة ، وخطوة على الدرب الطويل ، ذلك الدرب الذي يقودنا ولا شك الى اخراج الكاتب والشاعر والروائي والمسرحي اليمني علي احمد باكثير الى دائرة الضوء اللائقة بمكانته .

وأخيرا :

سأقرأعليكم ابياتامن قصيدة لاديبنا الكبيرعلي أحمدباكثير بعنوان على لسان البارودي القاها في مثل هذا الشهر منذ ثمانية وعشرين عاما . وبالتحديد في الخامس عشر من ديسمبر ١٩٥٧ م بالقاعة الذهبية بقصر النيل بالقاهرة في الاحتفال بذكرى الشاعر محمود سامي البارودي وحضره اعضاء وفود الدول العربية الى مؤتمر الادباء العرب الثالث ، وقد يكون فيكم من حضر ذاك الاحتفال على بعد السنين .

هذه الابيات التي سأقرأها من قصيدة الاستاذ باكثير تلك ابيات كأنما كتبها باكثير لمهرجاننا هذا بظهر الغيب .

مـــن المـــلأ الـعـــلوي في الـعـــالم الـثـــاني
الـيـكـــم تحـيـــاتي وشـــوقـــي وتحـنـــاني

تساءلت ما ذاك البناء الذي علا
على كل صرح في الزمان وايوان
تبحبح ما بين الخليج وطنجة
وما بين طوروس واكناف شمسان

فاطرب سمعي انه مجد امتي
واثلج صدري ان شعبي هو الباني

لاقرار بسلم في البسيطة شامل
وقسطاس عدل للشعوب وميزان

سلام عليكم اذ وفدتم لتحتفوا
بشعري . وتعلوا في نديكم شأني

عسى فيكموا من لا يقاس بشعره
قريضي - ومن في الفضل يرجح ميزاني

ولكن معنى للوفاء دعاكموا
لتمجيد شعر محكم النسج رنان

لئن قل جهدي فاقبلوا عذر رائد
بارض خلاء من نبوغ واحسان

وهل كنت الا الفجر ان قل نوره
فقد جاء من شمس النهار ببرهان

وددت لو إني عدت للارض بينكم
لتشهد محيا امة العرب اجفاني

ولست ابالي اذ اجاهد دونها
باي ثرى من ارضها الموت يلقاني

فـاحـيـا بـدار الخـلد جذلان راضـيـا
بـغـيـر رسـيس مـن هـموم واشـجـان
مـتى ظـفـرت بـالـعـز اقـطار يـعـرب
جمـيـعـا ، فـعـنـدي الخـلد والارض سـيـان
وشكرا . .

سالم زين باحميد
نوفمبر / ١٩٨٤ م

أدب باكثير
إيجابياته .. وسلبياته

بقلم : جعفر محمد السقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

انني لفي غاية السعادة والامتنان اذ حظيت بالمشاركة في هذه الندوة الادبية عن استاذنا وشاعرنا وكاتبنا المسرحي علي احمد باكثير وفي هذا المهرجان الاول لذكراه في بلده التي نشأ بها وترعرع ورضع لبان المعرفة سيئون م/حضرموت من ١٢/٢١ ـ ٢٣/١٢/٨٥ م .

يقول الشاعر :

ليس قول الانام في الشمس الا :
انها الشمس ليس فيها كلام

وهكذا فأن الحديث يكمل بالفعل عند ذكر استاذنا ونابغتنا علي باكثير لانه أديب من الطراز النادر ونسيج خاص لغزارة علمه وتمكنه من ترويض اللغة وانتقاء الاسلوب السهل الممتنع في كل اعماله . ولعلي غير قادر حتى لتقديم مقدمة لحديثي هذا تكون كلمة حق وصدق في حق استاذنا الجليل واديبنا النابغة الذي يعد من اعلام الادب العربي ورواده .

واذا كان الادب هو الحياة كما هو من اسباب الحضارة وإذ كان الادباء

هم حملة مشاعل الحضارة في مجتمعاتهم كما انهم ترجمان هذه المجتمعات . . فان اديبنا الكبير الاستاذ القدير علي باكثير هو الاديب المبدع والمناضل في سبيل خدمة امته ورفع مستوى مجتمعه شعرا وكتابة ومسرحيات وقصصاً وروايات ، ولذا كان ادب علي باكثير هو الادب الرفيع وادب الابداع والمبدعين لانه تميز بثلاث ميزات .

١) الاحساس بالحياة . ٢) سمو الروح . ٣) ملكة التعبير اي انه أحس بالحياة بمشاكلها واعبائها فاحس وشاهد المشاكل على وجوه البائسين واكتاف الكادحين .

وسمت روحه بايمانه العميق ونقاء ضميره فترجم ما يحسه المظلومون من آلام والمقهورون من احزان ينشد العدالة وملك التعبير بالاداة اللغة المتمكن منها وبحسه المرهف المعبر بصدق عن ما يعانيه البائسون والكادحون .

هذا اضافة الى مواجهته تيارات الجمود وتركيزه على نبذ العادات السيئة التي اثقلت كاهل مجتمعه وتشخيصه الامراض الاجتماعية التي تنخر في اجسام ابناء شعبه فشن عليها حملاته ، وتحمل متاعب جمة في سبيل ذلك الجهاد من اجل امته وقومه .

هذا من جهة ومن جهة اخرى فانه ابرز في اعماله ، ادب الاثارة اي ما يثير اهتمام الناس بما يكتب او ينظم وربما اطلق بعض افكاره كما يطلق القمر الصناعي ليختبر حالة الجو بين الادباء مستفيدا من ردود الفعل .

كما انه ربما غالى في عواطفه نحو القومية العربية او لغته العربية الامر الذي من شأنه اثارة جدل وجدال فيها بين رجال الفكر والادب . ومن خلال لقاءاتي برجال الفكر الحضارم هنا وفي بعض مهاجرهم لمست الآثار

التي تركها فكر علي باكثير وادبه بما طرحه من افكار عن قضية القومية العربية ولغتنا العربية حيث حرك افكارهم وهز مشاعرهم بتعمقه وما يشبه الغلو احيانا في قضايا العروبة .

وهنا اورد بعض هذه النقاط التي لفتت الانظار وثار حولها الجدل .

١) يقول علي باكثير :

لما كان الاسلام هو النظرية فقد كانت العروبة هي السلاح لان الله قد اختارها اول سيف للاسلام ثم ازداد هذا السيف متانة حتى انضمت الى عنصره العديد من السيوف من مختلف الامم .

وهنا يختلف معه الكثير حول النظرية والسلاح . ويرى البعض ان الثقافة الاسلامية والادب العربي هما المانعان الواقيان من الغزو الفكري*.

٢)يقول باكثير :

لم اجد في الشعوب كالعرب أخلا
قاً وفضلا وهمة واحتسابا
لا ولا في اللغات كالضاد حسنا
وكيا لا وروعة وشبابا

هي ام اللغات لا يذكر الدهر صباها وما تزال كعابا ويقول :

ثمانون مليونا يباهون كلهم
بخير لغات الارض والكل شاهد
الا كل شي ما خلا الله باطل
الا كل شي ما خلا العرب بائد

فيرى بعض الأدباء أن هذا افراط في الحماس لقومه ولغته أو كما يرى البعض شوفينية . ولا داعي ان يكون البقاء كل البقاء للعرب فقط وان تباد الامم الاخرى .

٣) وقال علي باكثير عن الشعر الفصيح والعامي بحضرموت :

انجبت حضرموت من شعراء العامة اضعاف من انجبته من الشعراء الفصحاء وكفاها فخرا ابن زامل وبوريا وعبد الحق فطرقوا ابواب الشعر السياسي والحكمي والغزلي والمديح لان الشعر العامي لم يصبه اضطهاد العلماء بل بقي حيا الى اليوم لان معظم قائليه من العامة الذين لم يختلطوا بالعلماء فانطلقوا فيه لا يخافون رقيباً ..

وانني ارى ان سبب انتشار الشعر الشعبي الحضرمي اكثر من الشعر الفصيح أن مجتمع القبيلة وحملة السلاح الذين بيدهم القوة هم الذين يقولون اشعارهم بالشعر الشعبي ويصنعون زواملهم وشعاراتهم ومحاوراتهم السياسية بالشعر الشعبي بينما لا نجد للشعر الفصيح أثرا في ذلك .

هذه ثلاث نقاط من ادب علي باكثير وهي غيض من فيض اوردتها في كلمتي هذه في الندوة لأفيد بها المستمعين وايضا لاستفيد من آرائهم حولها .

جعفر محمد السقاف

لمحات :
عن حياة وشعر علي باكثير

بقلم : أحمد عبد القادر باكثير

ان اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين على مستوى الساحة اليمنية عموما وبصورة خاصة شعبة سيئون ليعيش اسعد الايام بهذه المناسبة الكبيرة مناسبة الاحتفال بالذكرى الاولى لمرور ٧٥ عاما على ميلاد الاديب اليمني الكبير علي احمد باكثير في دار السلام الذي اصبح الان مقرا للاتحاد بسيئون ومتحفا لكتبه واثاره الخالدة كل ذلك تحت رعاية حكومتنا الفتية وحزبنا الرائد الحزب الاشتراكي اليمني وانا سعيد جدا بصفتي اولا عضوا في هذا الاتحاد وابن شقيق المرحوم علي باكثير ان اقدم لمحات عن حياته وشعره في هذه المناسبة العظيمة الكبرى التي يحضرها الادباء من كل مكان ومن البلدان العربية الشقيقة .

والحقيقة ان حياة علي باكثير كما قال احد الكتاب : مسرحية واقعية . لقد عاش حياة حافلة بالحب والصراع الفكري من اول حياته الى نهايتها فقد تجول في عدة اقطار باحثا عن الحقيقة وناقما على الاوضاع آنذاك كما صور ذلك كله في روايته همام او في بلاد الاحقاف وهمام يعني نفسه وكان الاسم الاول في هذه الرواية الشعرية الشاعر المصلح ولكنه عدل عنه الى اسم همام .

ولد كاتبنا الكبير بمدينة سربايا في ١٥ محرم ١٣١٨ هـ من أب وام عربيين فوالده المحسن الكبير احمد محمد باكثير وامه نور عبد الرحمن بوبسيط : هاجر والدها عبد الرحمن سعيد بوبسيط من هينين واستقر به المقام بمدينة سربايا باندنوسيا . ومن ضمن اولاده والدة ادبينا الكبير علي باكثير نور التي تزوجها والده احمد محمد باكثير بمدينة سربايا وانجبت له (٤) ذكور وهم بالترتيب عبد القادر وعلي وابو بكر وحسن وكلهم درسوا بالقاهرة و (٥) بنات وهؤلاء هم اشقاء علي باكثير اما ابنه محمد وبنت اخرى من مواليد اندنوسيا فهم غير اشقاء لعلي باكثير ومن مواليد حضرموت اثنان ـ ذكور عمر وعبد الرحمن و (٣) بنات سلمى ومهاني وشيخة تزوجت سلمى زميل علي باكثير وابن عمه الأديب عمر محمد باكثير الموجود حاليا بسيئون وصاحب كتاب مع علي احمد باكثير ومهاني تزوجت من الاديب محمد بن حسن بارجاء مدير تحرير مجلة التهذيب التي صدرت في سيئون خطية عام ١٣٤٩ هـ وطبعت بالقاهرة .

وشيخة تزوجت سالم محمد بامخرمة وانجبت له علي وحسين سالم بامخرمة وقد درس في القاهرة واقام بدار خالهما علي باكثير بمنيل الروضة شارع الملك عبدالعزيز آل سعود ولم يبق على قيد الحياة من اولاد الجد احمد محمد باكثير سوى اربعة هم : ـ عمر وشيخة بسيئون وفي اندنوسيا بنتان هما خديجة ورقية امد الله في عمرهم آمين . وعمر يكبر عليا بـ (٣) سنوات وهو اخوه وزميله وعاشا في بيت واحد وتزوجا في بيت واحد عند سعيد عوض باسلامه على شقيقتين . وساهم في تحرير مجلة التهذيب وكتب له علي من عدن والحبشة والحجاز والقاهرة مئات الرسائل وزاره في القاهرة ثلاث مرات واخرها عام ٦٩ م وهي السنة المشؤومة التي توفي فيها علي باكثير وحضر مراسيم الجنازة وتقبل التعازي من الناس في القاهرة وكان يوم

وفاته يوما مشهودا حضره عدد كبير من الادباء بصورة خاصة وغيرهم وارسل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مندوبا عنه في تشييع الجنازة والعزاء لاسرة الفقيد ولنعد الى المرحلة الاولى في حياة باكثير بحضرموت ففي سنة ١٣٤٣ هـ توفي والده احمد محمد باكثير فنظم قصيدته الشهيرة وقالها في حفلة التأبين التي اقيمت له ومطلع القصيدة :

عبثا تحاول ان تكف الادمعا
وابوك امسى راحلا متودعا
كيف السبيل وما مررت بمعدم
الا تجهش بالبكاء مرجعا
كيف العزاء وقد تغيب بدرنا
عنا فامسى الكون اسود اسفعا
يا عين جودي بالدموع على امرىء
جعل العصي من المكارم طيعا
ما زال مذ بلغ الفطام مشمرا
للمجد صبا بالمكارم مولعاً
ما مات حتى مات كل فضيلة
واهتز عرش سمائها وتزعزعا

وفيها يقول : ـ

ولقد سئمت العيش في الدنيا وسني لا يجاوز أربعاً

عدد ابيات هذه القصيدة (٧٩) .

وقد أعجب الحاضرون بها اي اعجاب واحتلت قصب السبق في المراثي الكثيرة التي قيلت في ذلك الحفل . وفي ٤٥ هـ تزوج زواجا غير

موفق وطلق هذه الزوجة بعد عام واحد وفي عام ٤٧ تزوج من الفتاة الجميلة التي احبها وهي في سن مبكر وقال فيها اشعار الحب قبل الزواج وبعده الا انها قامت عقبات كبيرة دونها اضافة الى صغر سنها وانتظاره الطويل فقد تدخل بعض رجال الدين واتباعهم في الحيلولة دون تحقيق هذا الزواج لعلاقتهم الودية بوالد هذه البنت التي خطبها واسمها نور سعيد باسلامة وهي شقيقة زوجة اخيه عمر وبنت خالته فاطمة عمر مهدمي وقد غلط بعض الكتاب الذين جعلوها من أسرة بعيدة وانها بادلته الحب فهي قريبة له وصغيرة جدا مما جعله ينتظر طويلا حتى يشتد عودها وتبلغ السن المناسب للزواج . وقد تدخل من اشرنا لهم في عرقلة هذا الزواج فكاد يفشل لولا تدخل بعض الاقارب الى والد الزوجة وتصحيح المفاهيم التي علقت بذهنه من تلك الجهات المغرضة والتي وصفته بانه يحمل افكارا جديدة وانه ينشر هذه الافكار على الشباب وانه على اتصال بالمجددين او الخارجين على طريق السلف كما يقولون وانه يقرأ كتب ابن تيمية وبن القيم ومحمد عبده ورشيد رضاء صاحب المنار متأثرين بما نشره صاحب جامع كرامات الاولياء الشيخ يوسف بن نبهان عن الامام محمد عبده وقد بذل جهودا ومالا واتصالات مكثفة باصدقاء والد خطيبته سعيد عوض باسلامه الموجود آنذاك بجاكرتا وفي مرحلة الانتظار تغنى شعراء الدان بالصوت المشهور .

الذي يقول : ـ

القبول به تصلح الا لبن خالد عمر
لي عامد الحول والغرفة ومشوى بامتين

والذي نظم عليها شعراء الدان المساجلة المشهورة التي اشترك فيها

(٣) من ابرز شعراء الدان بسيئون وهم اصدقاء علي باكثير عبيد قفزان ومستور حمادي ومحفوظ النجار . ومنها البيتان المشهوران .

حيدين متكاشمة والناس في زره وحر
اربع رحايا لقوهن ما يدقَقن الطحين
والجلجل الا غلي يا ويلبوكم بالعصر
والجلجل الا مصون تحت ملة بامتين

وقد سجن السلطان هؤلاء الشعراء الثلاثة المذكورين اعلاه بسبب هذه المساجلة التي جرت بينهم وغناها الناس في كل مكان .

فقال علي باكثير هذا البيت الذي يشير فيه الى انتظار وصول الوكالة بزواجه من خطيبته وحبيبته نور . قال : ـ

متاه يالقهوجي القادم ترد لي بالخبر
من اهل بندر بتاوي يا سرور العاشقين

في أبيات طويلة . وقد تغلب اخيرا على كل الصعاب فتم زواجه من فتاة احلامه نور سعيد عوض باسلامه وقال فيها الاشعار الرقيقة وعاش فترة سعيدة معها في مدينة سيئون غير ان القدر لم يمهلهما طويلا فلم تطل فترة الحياة الزوجية على (٣) اعوام فحملت زوجته الحبيبة وانجبت له بنتا سماها خديجة ولكنها مرضت فورا بعد الولادة ولزمت الفراش حوالي (٦) شهور وعجز الاطباء المحليون عن علاجها حتى وافتها المنية عام ١٣٥١ هـ وهو في مدينة القطن مكبا على مكتبة صديقه علي بن صلاح القعيطي وهاربا من الواقع المؤلم وشبح الموت الذي يخيم على زوجته الحبيبة حيث نصح ان يكون بعيدا عنها بل لم يستطع الصمود امام هذا المرض العضال فمرض هو واصبح هيكلا عظميا يخشى عليه من الموت قبلها ومن هناك من القطن

تحرك الى حريضه بعد ان بلغته وفاة حبيبته وشريكة حياته ثم واصل الرحلة الى المكلا في طريقه الى عدن وفي عدن وجد من الادباء المخلصين المعجبين بنبوغه وشعره من عطفوا عليه ولموا جراحه وفسحوا له مجالاً في عدن في المنتديات الادبية نادي الاصلاح مخيم ابو العلاء وعلى رأسهم الاستاذ علي محمد لقمان وعمر محيرز وعبده غانم وغيرهم . وقال عدة محاضرات في عدن وعدة قصائد سميت بالعدنيات ومنها قصيدته الشهيرة التي قالها في سيف عدن في فتاة فارسية ومنها : ـ

وجالسة بالرمل بين لداتها
وسيقانها مصقولة كالسجنجل
وقفت اليها وقفة فتداعصت
تداعص دعص الرملة المتهيل

الى ان قال : ـ

ولولا عفاف الريح عن رفع ذيلها
وقفت على سر الجمال المفصل
خرجت الى السيف ابتغاء نسيمة
ولم اتوقع ان في السيف مقتلي
فلا تعذلوني ان حييت وان امت
فما انا في صرعى الغرام بأول
ولي بعد بالضليل جدي اسوة
ومن يتقيل جده لم يظلل
سبته المها من يعرب وحفيده
سبته عيون الفارسي المكحل

وهو يعتبر فترة اقامته بعدن نقلة جديدة في حياته ومخرجا من البلد التي حاربته وتنكر له فيها اصدقاء كثيرون وفيها وقد ذكر ذلك في عام ١٩٦٤ م عندما زرته في القاهرة نزلت معه في شقته بمنيل الروضة فترة هي اسعد ايام حياتي وقال لي في رسالته المحررة ٩/شعبان/١٣٨٤ هـ الموافق ١٣/ديسمبر/١٩٦٤ م بالحرف الواحد : ـ

ولدي العزيز الاستاذ / احمد عبد القادر باكثير

تحياتي اليك والى عميك عمر وعبد الرحمن وسائر الاهل والاخوان وهذا الكتاب ارسله مع الاخ / الاديب الشاعر حسن بن عبد الرحمن بن عبيد اللاه وهو يعتزم العودة الى ارض الوطن الحبيب بصحبته السلامة ثم قال كيف انت يا احمد وكيف صحتك ولعلك تذكرنا بالخير وتغفر لي ما عسى ان يكون من تقصير وكثرة المشاغل كما رأيت وشاهدت على ان الايام التي قضيتها بيننا كانت واحة حضرمية آوينا الى ظلها من رمضاء الغربة والبعاد فاحييت في نفسي كثيرا من معاني الحنين وذكريات الطفولة ومن تضم من الاخوان والاصدقاء والاحباب لقد شعرنا نحن وكل اهل البيت بالفراغ الذي تركه سفرك من عندنا ولا نزال نذكر مسامراتك في رأس البر والصور التي لدينا تنطق بذلك حبذا لو تتكرم بارسال قصيدتك الرائية اذا اكملتها او نشرتها في صحيفة عندكم .

واني بعد لأجدد عهدي وميثاقي بزيارة حضرموت في اقرب فرصة ممكنة فالايام تمر والسن تتقدم والماضي لا يعود اسأل من الله ان يرزقنا وجميع احبابنا في حضرموت وعدن فسحة من العمر حتى يتاح لنا اللقاء بالجميع في اجمل الاوقات واسعدها قريبا إن شاء الله .

وقد حقق الله تلك الامنية فزار سيئون وعدن بعد اربع سنوات من

تاريخ الرسالة بعد ان تحررت بلدنا من الاستعمار واذنابه وفي رسالته المحررة ٢٣ /٦/ ١٩٦٥ م يقول فيها ولدي العزيز الشاعر المجيد احمد عبد القادر باكثير بعد التحية تمنيت لو كنت معنا ونحن نتجول في شوارع القاهرة ونغشى بعض منتدياتها انا وعمك عبد الرحمن اذن لكنت الهادي لنا والدليل .

وهذه مداعبة لطيفة له لي حيث كثيرا ما اضيع في شوارع القاهرة . ولنعـد الي ايامه في عدن ورسائله الكثيرة التي أرسـل منها الى اخيه عمر وغيره من اصدقائه .

ففي رسالته المحررة ٢٧ جماد الثاني / ١٣٥١ هـ الموجهة لاخيه عمر احمد باكثير امد الله في عمره يقول فيها بعد كـلام طويل رخصة مصر لم تجيء بعد واكبر ظني انها لم تتخلف عن الميل القادم ثم قال وصلني كتاب الامير شكيب ارسلان يشكرني على القصيدة ويعتذر عن تأخر كتابه الى اليوم ويعدني بأن يرسل لي بعض آثاره لتكون تذكارا عندي وسأرسل لكم نص كتابه في فرصة اخرى واعظم لكم الاجر في فقيد الشعر والادب والعرب والاسلام والشرق امير الشعراء احمد شوقي الى ان قال لم يجف دمع العربية على حافظ ابراهيم حتى تلاه الحادث الجلل بموت شوقي فكأنما كانا على ميعاد .

وفي هذه الرسالة يقول شغلني صديقي الاديب عمر محمد محيرز عن الدراسة الانجيلزية بكتاب « ديوان ابن زيدون » الذي طبع حديثا طبعا متقنا مع رسائله المنثورة واقترح علي ان اكتب ما يعن من الملاحظات على الكتاب ولم يسعني الا الاجابة لطلبه وقد كتبتها في نحو كراستين وسأرسلها لمجلة المعرفة لتنشرها بعنوان « ملاحظات سائح في ديوان ابن زيـدون »

وسأرسل لكم العدد الذي تنشر فيه إن شاء الله .ثم قال ارجوكم الاهتمام بارسال الكتب المطلوبة ولعلها تصلني وانا بعـدن . فلعنة الله عـلى دول الاستعمار التي تضع العراقيل في سبيل تعارف العرب وفي آخر رسالة يقول بلغوا سلامي للاخ / الاديب عمر محمد باكثير وجميع الاخوان وفيها يقول سررت بحلول الاخ / صالح بن عبد الرحمن باكثير « في دار السلام » وختم الرسالة بقوله واذكروني في مجالسكم عندهم وتذكروا عهودنا الاول وايامنا السوالف اذ العيش غض والزمان غلام .وانهى الرسالة بابيات من قصيدة ابن زيدون وهي : -

حـالـت لـبـيـنـكـمـو ايـامـنـا فـغـدت
سـودا وكـانـت بـكـم بـيـضـا لـيـالـيـنـا
والله مـا طـلـبـت اهـواؤنـا بـدلا
مـنـكـم ولا انـصـرفـت عـنـكـم امـانـيـنـا
يـا نـور ان عزفي الـدنـيـا الـلقـاء
فـفـي مـواقـف الحشر نـلقـاكـم ويـكـفـيـنـا

ونور اسم زوجته وام ابنته خديجة : فهو لم ينسهـا حتى اخـر ايام حياته . وعندما وصل الى سيئون عام ١٩٦٨ م . كان يزور قبرها كل يوم جمعة .

احمد عبد القادر باكثير
سيئون

الحب .. وشاعر الوطن

بقلم : محفوظ صالح باحشوان

انه لفخر كل الفخر ان ينتمي الينا هذا الرجل العظيم عبقرية الادب وشعاع العلم الاديب المسرحي والشاعر الكبير علي احمد باكثير .

لقد استطاع بذكائه المبكر ونبوغه المفرط وابداعه المتدفق ان يرقى الى أعلى سلالم المجد ومن خلاله تبرز في سماء الامجاد بلاد الاحقاف واليمن بكاملهاعلى قمة المجد تاجا على رأس هذا الاديب الشاعر الوطني القومي الغيور الذي لم يلتفت الى نفسه ابدا بالقدر الذي حمل هموم معاناة الظلم والاضطهاد اللذين ظل شعبنا اليمني يرزح تحت نيرهما ردحا من الزمن .

وكم كانت هذه الدنيا عجيبة فلقد حاصرته في حياته ايما محاصرة واقامت في طريقه كبريات العراقيل وحاولت مرارا ان توقف قلمه المعطاء وان تضغط على ينابيع فكره . ولكن هيهات ان يصعق مثل باكثير اويتراجع مهما كان الثمن لانه لا يحسب لهذه الدنيئة اي حساب فالحب الذي يملأ قلبه ويؤجج براكينه اقوى من كل القيود والعراقيل لقد ادرك في الوهلة الاولى انه ولد بعيدا عن داره وتراب اجداده وثقافة وحضارة قومه لقد ولد غريبا اذ فتح عينيه فوجد نفسه بعيدا عن مسؤولية ابائه لقد ولد ببلدة سورابايا باندونيسيا في عام ١٩١٠ م وقيل غير ذلك واتى بمعية والده الى

مدينة سيئون ليكمل تربيته ويتلقى العلم على عمه الشيخ محمد ابن احمد باكثير ولقد شب وترعرع في وسط متنور وثقافة مزدهرة وتمكن من ذلك ونبغ في ايام شبابه الاولى واعجب به الكثير من الادباء تلك شهادات يعتز بها ولنا ان نذكر مطلع قصيدة من قصائده الاولى : ـ

بــدر الــتــمــام عــلى حمــانــا مــشــرق
وعــبــيــر مــســك الخــتــم فــيــنــا يــعــبــق

ومن هذا البيت نستطيع ان نكتشف الحب الذي تفيض به مشاعره للحمى . والنسيج الشعري الجميل والايقاع الثابت ناهيك عن شهادة استاذه عمه محمد احمد باكثير الذي وصفها بـانها غراء وهي كـذلك من مطلعها .

واذا كان اديبنا الجليل قد صدم فأول ما صدم بـه الغربة فاذا به في بلاده سيئون يصاب بصدمة أكثر خطراً وتأثيراً لقد وجد نفسه في بلاد تداس من لندن عاصمة بريطانيا العظمى بواسطة مجموعة الهياكل التي لا تجد لديها حتى ٢٠٪ من الكفـاءة لادارة شئـون البـلاد ووسط قتال طبقي وتمـزق عشائري واستبداد عقائدي لابسا عمائم وجبب الاسلام وهو في الواقـع شر عليه فذلك ما يتناقض تماما مع فهم علي باكثير لاصول الدين الحنيف دين العدل والمساواة والتطور دين الوحدة ويبدو ان الوطن الذي يبحث عنه باكثير ليس الذي يسكنه اهله ولكنه يريد وطنا يستطيع ان يستوعب ما لديه من عطاء انساني اشعاع يخدم الحياة الحرة الكريمة وينير لها الطريق ونار تحرق الظلم والاستبدادوالقهر والعنصرية .

غادر سيئون في ١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٧ م فوجد الحال كما هي في بلاده واكثر فقد نقل الحضارمة نزاعاتهم الطائفية والعشائريـة الى اندنوسيا وشكلوا

الهيئات لنفوذ صراعات مريرة بين ابناء الوطن الواحد وفي الوقت الذي كان الوطن في امس الحاجة الى مساعدتهم لحل هذه المشاكل فصارت تغذي نشأت الفتن فساعدت على التمزق والانقسام وعند ما كان باثيوبيا وجد اليمنيين بها على احسن حال قائمين بواجباتهم الاخوية متحدين ابناء يمن واحد حيث أسسوا لهم نادياً اسموه بنادي الاتفاق ينظمون من خلاله شئونهم بل وفتحوا مدرسة لابنائهم فلقد احب كل الحب فعلهم هذا وسره ما وجدهم فيه من تعاون وانسجام فكتب قصيدته المشهورة ليعبر عن ما يجيش به صدره وتأثر عواطفه نختار منها هذه الابيات :

اديس ابابا الاتلقين درسا
على جاوى وجيرتها مبينا
فهل لبني ابينا ان يروكم
با قصى الشرق هل لبني ابينا
بنادي الاتفاق قد اتفقتم
وأنشأتم مدارس للبنينا
اتيتم تبتغون هناك رزقا
فعدتم تنشرون هناك دينا
مضى زمن الجمود فودعوه
ووافاكم زمان العاملينا
زمان ليس يعلو فيه الا
عصامي جرى في السابقينا
ولو ثقفت يوما حضرميا
لجاءك آية في النابغينا

لقد ساءه ما آل اليه اليمنيون في اندونسيا كان ذلك على غير ما يجب

فبذل قصارى جهده في حل النزاعات بينهم ورغم صغر سنه وحبه الجارف للوحدة ومنطقه الواعي استطاع ان يستقطب بعض افراد النزاع الى دائرة الوفاق وقد كتب في ذلك عدداً من القصائد .

عاد الى مدينة سيئون عام ١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٨ م ويبدو انه ارتاح لما وجد من وعي وتفهم من قبل بعض الشباب فاصدر مجلة التهذيب في سيئون حيث استطاع ان يطرز بعض صفحات باشعاره وكتاباته المؤثرة وان يمحق الجمود الفكري والعادات الضارة ودعا الى انصاف المرأة واعطائها حقوقها في الحياة الحرة الكريمة ولقد بدأ يعالج الامراض الاجتماعية المهيمنة على حضرموت وكان ذلك سببا في ايقاف مجلة التهذيب عن الصدور واغلق في وجهه الباب .

ولقد تزوج اديبنا خلال هذه الفترة الذي عاد فيها الى سيئون مرتين ورزق بنتين ولكنهما فارقتا الحياة قبله ويقال ان زواجه الاخير كان نقيا طاهرا عفيفا حيث بنى عشه السعيد على قاعدة صلبة ولكن الموت لا يرحم فهو عدو الحب الاول وشيطانه القوي اخذ منه حبيبة قلبه ومن قصيدة طويلة يتحدث عن عشقه لفتاة يقول انه خلفها خلفا واصطنعها على عينيه يقول : ـ

انت خلقي وارحمتاه لرب
صار يوما بخلقه مستجيرا
ما توقعت اذ جبلتك طينا
في يدي ان اصير هذا المصيرا

وفي مناسبة اخرى يتحدث عن فتاة مريضة فيقول : ـ

قل لي وانت على وسادك
اواه للملك الطريح
روحي يطوف على مهادك
افلا تحس بدفء روحي
صبرى يحوم على غديرك
تخشى عليه من النضوب
او كالفراشة حول نورك
تخشى عليه من الغروب

وهذه قصيدة اخرى :

عشقت خيالك يا نادية
وهمت بصوتك يا شادية
هما كل ما ظفرت مهجتي
به منك وهي به راضية
خيال من النور الفقه
سوى الشعر فهو من الداجية
وفصلته قطعة قطعة
كما أشتهيه من الواعية
ورحت اريق الطيوب عليه
واستقي منه في ثانية
واجرى قلبي بحورا عليه
يفوق الغوالي يا غالية

الى ان قال :

بمنتصف السفح كم ذا يدوم
وقوفك عندي يا سارية
شبابك يدعوك نحو الصعود
وعمري يمضي الى الهاوية
فياليت انا ولدنا معا
الى ملعب او الى ساقية
الى ان يعربد جن الشباب
وتعوي شياطينه الغافية

في هذه الابيات يتألق الشاعر ويصور كل ما يخزن فؤاده من لواعج وشجون وما يتلخص به وجد انه من حب ولكنه شعور بالاكتئاب ويبدو ان ارتباكا في الفترة الزمنية التي كتب فيها هذه الابيات قد حال بين الوصول الى الهدف وعدم الوصول اليه بل انه في آخر الابيات آنذاك جاء متأخرا بالنسبة له وان هناك تبايناً يحول دون تحقيق هذه الرغبة .

ونستمع اليه في هذا الموقف العاطفي الاخاذ في لحظات سعادة ونشوة :

هل ترى في قبلات طاهرات ما يعيب
وانا الطاهر لا تعرف اخلاقي العيوب
لي دون الاثم في نفسي على نفسي رقيب
ما انا الا عليل وبخديك الدبيب
ما انا الا نسيم شاقه الغصن الرطيب

وفي لحظة تأثر بالغ وترج ٍ..

انت من اعبد صبحا واناجيه مساء

لم يكن لولاك سعي للعلاء الا عناء
انت لولا انت لم اخلص الى الله الدعاء
فيك احببت بقائي فيك احببت الفناء.

والوطن الكبير له مكانة مرموقة في خارطة الحب والحظ الاوفر من الولاء ونرى مشاعره في ثورة عارمة وجحيم فؤاده تشتعل ذلك انعكاس لما عرفه عن انقسام الامة العربية وتقاعس حكامها وصلتهم بالهزيمة. فيرسل صرخته المدوية فيقول : -

يا بني الشام والعراق ولبنان ونجد أليس فيكم رشيد

اين انتم لادرًّ در ابيكم
هل لكم في الزمان بعد وجود
ليت شعري ما خطبه اين انتم
اقصور تضمكم ام لحود
عرب انتم ؟ كذبتم كذبتم
انما انتموا يهود يهود
أمن المسلمين انتم كذبتم
انما انتموا يهود يهود
لتمنيت لو نمينا الى الزنج
ومارحت بي اليكم جدود
يا مسوخ الرجال يا سبة الاجيال
موتوا على الهوان وبيدوا
اذهبوا للجحيم تطهر بلاد الضاد
منكم ويأت خلق جديد

لعنات من السماء عليكم
تستعرها صواعق ورعود
ان اصلاب يعرب لبراء
منكم ايها العبيد العبيد

فماذا يا ترى لو كان بيننا الان ويرى الامة العربية على ما هي عليه الان فما تراه فاعلاً بنفسه .

وباكثير الذي يتجسد فيه الكفاح العربي الفكري يغضب غضبا شديدا للسلوك المشين والخيانة الوطنية فلا يتردد ان يشير الى هذا السلوك ويحرض على فضحه وينادي ببتر العضو الفاسد من جسم العروبة القوي فيقول : -

يا ايها العرب لا تخفوا المصاب سدى
هيا إبتروا ذلك العضو الذي فسدا

وها هوذا يحرض شعب لبنان عندما جاهر بالعداء للأمة العربية العميل اميل اده .

عار على لبنان ان يحيا اللعين اميل اده
فليبرأن الارز منه بكل زاوية ووهدة
ولينقشن بجذعه لعن الاله اميل اده
حتى اليهود أحبهم ليغيظ امته المجده
ايضل هذا المسخ ينفث كيده في كل بلده
اين الشباب شباب لبنان الابي يشق كبده

لنتخيل حالة باكثير وهو يقول هذه الابيات والغيرة التي تشعل اوصاله والحب الذي يزلزل كيانه ويجعل منه عاصفة مدوية .

ولنتأمله في صورة وجدانية اخرى ووجهه يبتسم من الفرح ويهلل

عندما يعلم بسقوط طاغية من الطغاة كالامام يحيى مثلا .

انزاح عنك البلاء والداء فابتسمي للحياة صنعاء

ومطلع قصيدة اخرى :

ملك يموت وامه تحيا بشرى نكاد تكذب النعيا

وعندما يريد أن يصور لنا تأثير حبه للوطن العربي والأمة العربية فتأمل قصيدته التي يتخيل فيها رحلته الى السماء وهو يتمشى بين النجوم وما زال يسير حتى اقترب من السدرة وكيف ان الله أنعم عليه بالعطف ويستعد بدخول الجنة وبعد تجواله في حدائق الجنة ورياضها تغمره السعادة ويتملكه الفرح وهو في قمة النشوة يحس بداخله اضطراباً نفسياً كل ما هو فيه يتذكر حال امته العربية وحبه الاكبر فيقول : -

ولكن في جوانحي اضطراب
اكا بده وفي جفني بكاء
ذكرت العرب ابناء الدراري
تذل ومن خلائقها الاباء

بهذا يؤكد لنا انه لا يقيم لمثل هذه الاغراءات وزنا ولا يعيرها اهتماما اذا كانت على حساب الأمة العربية والشعب العربي وعلي باكثير يحب الأمةويناضل من أجلها بالقدر الذي يكره فيه اعداءها ويتحدث عن مثل هؤلاء الرجال باعتزاز بالغ تحمس للحديث عنهم دائما ولنأت الى قصيدته التي عنوانها صوت المتنبي

من الملأ العلوي من عالم الخلد
أهل عليكم بالتحيات والحمد

ومن مطولته في ابي تمام : -

احببت في ذكراك تذكرة
لبني ابيك اليوم اذ وثبوا
اعداؤنا هم كعهدك لا
تغيير الا الاسم واللقب
صهيون اذ صار اسما « لبابكم »
والغرب فيه الروم ما غربوا
من ألف عام ما تزال لنا
معهم ملامح ليس تنقضب
يبغون ان يمحوا رسالتنا
نحوا ويأبى الله والحسب

واذا كان قد حمل بين جنبيه هم الوطن العربي واعطاه الاهتمام الاكبر فانه يحمل وطنه الصغير في أعماقه يسافر معه اينما حل فلنقف لنستمع الى هذا النشيد الذي كتبه لليمن :

كفى كفى نوماً كفى كفى   اليوم يوم اليقظه
هذي بلادنا على شفا   فاين اين الحفظه
لبيك يا صوت اليمن   تحيا اليمن تحيا اليمن

وعلي باكثير لا يستسلم للنكبات والهزائم ورغم تأثره الشديد لنكسة ١٩٦٧ وتمزق اوصاله وانكسار نفسه الا انه لم يفقد الامل وانه واثق في ان الأجيال لقادرة بان تعد العدة لتهب لنصرة الوطن منها وهو يشعل فيها الثورة ويستفز فيها المشاعر العربية المجروحة ويثورها من جديد فيقول في آخر ما كتب من قصيدته المطولة .

قد وضح الصبح لذي عينين

لم يبق من شـك ولا من مـين
ايـن الخـلاص ايـن ايـن
لم يـبـق بـين بـين
اما نـحـوز الـغـايتين
أو تـتـحسر الـكـرامـتـين
أمـا نـكـون ابـدا
او لا تـكـون ابـدا
غدا وما ادنى غـدا لو تعلمـون
امـا نكـون ابـدا او لا نكـون

انها نار الكرامة العربية المهدورة تغلي في اعماقه فهو لا يريد مساومة ولا انصاف حلول اما نكون او لا نكون .

انه الحب في ابدع صوره واعظم كبريائه واروع معانيه لقد اعطى باكثير ما لم يعطه أديب مثله وتحمل في سبيل اداء الرسالة الوطنية مـا لم يتحمله غيره . فلقد عصر وجد انه وطيب به ثرى الوطن العربي ونثر مشاعره ورودا وزهورا في كل صحراء عطشي ووزع صيحات غضبه قنابل تزلزل كيان الاعداء وخلق من شخصه عملاقا يزمجر في وجه كل عربي ضعيف حاكم او محكوم يهز مضاجعهم وينغض عيشهم ويفسد سعادتهم المزيفة ان اقامة مثل هذا المهرجان لا يكفي لتكريمه واحياء ذكراه . ان تكريمه يكمن في بعثه من جـديـد بنشر كـل مـا كتب واغـراق المسارح بـأعمـالـه الـوطنيـة ولنجعـل روحـه تـرقص دائـماً عـلى نغمـات قـوافيـه وأهـازيجـه ونشـره ولتقلق اصوات المتمثلين مضاجع الاعداء واذ يا لهم ببارود مسـرحياتـه وبذلك نسددماندين له علينا ويكرمه الاجيال الذين نرسم لهم صوته

الحي في عالم الخلود والعظمة وبحق اقول انه شاعر الحب والوطن .

فلقد تشرفت وسعدت بمقابلته اثناء تواجده بيننا للمرة الاخيرة عندما أدى محاضرة اقيمت بمكتبة تريم حيث تنظمها الهيئات الوطنية بمدينة تريم ضمن احتفاء اقامته هذه الهيئات الوطنية بمناسبة عودته الى ارض الوطن ولقد كانت محاضرة رائعة هنأ الاديب فيها شعب اليمن بجمهوريته الفتية جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية .وتنبأ لها بشأن عظيم وانه ستكون رائدة في الوطن العربي . لانها انتزعت الاستقلال بالرغم من بريطانيا في الوقت الذي كان العرب ينؤون بنكبة حزيران الاسود ولما عرف عن اليمنيين من تمرس في النضال فانها ستحقق امال الشعب وطموحاته في الحرية والاشتراكية .والوحدة والسلام .

وفقنا الله جميعا لما فيه رضاه .

وشكرا . . .

محفوظ صالح باحشوان

١٨/١٢/١٩٨٥ م

قراءة في ديوان مخطوط

لعلي أحمد باكثير

الدكتور عبده محمد بدوي

بسم الله .. وشكرا لاتحاد الادباء الذي اتاح لنا فرصة لقائكم والسعادة بكم في بلد اديبنا العظيم على احمد باكثير وموضوعي بعنوان قراءة في ديوان مخطوط ديوان لم ينشر لعلي احمد باكثير وابتداء احب أن أشير الى الرسالة الاولى التي كتبتها عن علي احمد باكثير التي ورد ذكرها على لسان الكثيرين وذلك لاصحح مفهوماً بعينه هذا المفهوم هو انني لم أتحر فيها كل شعر علي احمد باكثير ولكنني بعد موته دخلت مكتبته فوجدت اوراقا متناثرة هنا وهناك وجدت قصيدة على ورقة كراسة مهملة .. ووجدت قصيدة على بطاقة التموين .. ووجدت قصيدة اخرى على أوراق متناثرة هنا وهناك منها ورقة قد جاءت اليه من الضرائب من مصلحة الضرائب وقد أردت أن أجمع كل هذه الاوراق التي تشبه أوراق الخريف بعد ان تساقطت الشجرة ولكن جذورها باقية وأدرت حوله الدراسة التي تعرفونها التي وصلت اليكم

---

* رئيس تحرير مجلة الشعر .
* له عشرة اعمال شعرية حصل بها على جائزة الدولة في الشعر .
* له عشرون مؤلفا حصل بها على جائزة التأليف الجامعي من جامعة عين شمس .

بعنوان (علي احمد باكثير شاعرا غنائيا) واذا كنت قد بـدأت حديثي او الكتابة عن علي احمد باكثير بالنظر في شعره عقب موته فأنني قد اردت من هذه الدراسة ان ابدأ معه من الجذور . . وكان ان توصلت الى مخطوطة احضرها لي تلميذ من تلاميذي وهذه المخطوطة مكتوب عليها (شعر علي احمد باكثير حتى عام ١٩٣٢ م) ومعنى هـذا انه كتبهـا وهو دون الثـانية والعشرين وارجح انه كتبها ابتداء من الخامسة عشرة وهو في هذه السن عجبت انه كان مسيطرا على الاداة الشعرية . . مسيطرا على العروض . . مسيطرا على القافية . . مسيطرا على اشياء شعرية كثيرة . . . ومن هنـا اردت ان اقيم دراسة حول هذا الموضوع ولا استطيع أن اقدم علي احمد باكثير بصفة عامة لاننا كجامعيين نحب التخصص ولا نجيد الا في هذا النوع ويخيل الي ان علي احمد باكثير لا يمكن ان يتناوله الا متخصصون فعلي احمد باكثير موسوعة كبيرة ذلك لانه كتب الاوبرا . . كتب الاوبريت . . كتب المسرحية . . وكتب الرواية وله فكر بعينه وهذا يتطلب متخصصين لا مجرد كلام عاطفي من هنا ومن هناك . . المهم انني قلبت هذه المخطوطة فوجدتها تسير في طريق عربي معروف ذلك انه كان يضـع في ذهنه كتب الحماسة المعروفة في الحضارة العربية ابتداء من حماسة ابي تمـام وحماسـة البحتري والحماسة البصرية والحماسة البغدادية وحماسة الظرفاء الى آخر هذا النوع من الحماسات والذي لم يتعرض للشعر كما كان يتعرض اليه البعض على انه شعر عربي يقال في مدح فلان او في رثاء فلان وفي اعطيات فلان ولكنه وضع على موضوعات جديدة بدأها ابو تمـام بباب الحمـاسة وثلث بباب الادب ورأيت علي احمد باكثير يبدأ بباب الادب اساسا . . المهم انـه سار في طـريق عربي مـرسـوم هـو طـريق يسمى طـرق كتابه الحماس . . حين نظرت الى هذا العمل لم انظر اليه من جهة الاغراض ان

هناك غرضاً للمراثي وغرضاً لكذا وكذا وانما نظرت اليه من منظور المحاور المعينة المحاور التي تدورعليها هذه المخطوطة وهو في هذه السن المبكرة وقد وجدت ان اول محور يدور حوله علي احمد باكثير كان هو محور الزمن ومحور الزمن هذا لا يلجأ اليه ولا يهتدي اليه الا الشعراء الكبار في كل الحضارة فالذي كان يعنيه اساسا في هذه المخطوطة هو الحديث عن الزمن ولكن اي زمن بالنسبة لعلي احمد باكثير . . بالنسبة لعلي احمد باكثير لم يكن يعنيه الا زمنان الزمن الاول هو الزمن الماضي والزمن الحاضر يعني في هذه الفترة بالذات كان الشعراء مشغولون بالزمن الماضي ولكنه اتى الى جانب الزمن الماضي والتعامل مع الزمن الماضي بالزمن الحاضر والحديث عن الزمن الحاضر بالنسبة لعلي أحمد باكثير يعني تكلم فيه عن أشياء كثيرة . . . في كثير من القصائد نراه يخلط ما يسميه الفلاسفة (بالزمكانية) أي انه يخلط الزمان بالمكان ثم يخلط بعد ذلك بين الزمن والنفس وهناك مصطلح حول هذا المعنى . . المهم انه كان مشغولا الى حد بعيد بقضية الزمن حاولت ان أتعرف على قضية الزمن عنده هل هي الزمنية الوجودية المعروفة في الفرنسية مثلا عند سارتر وغيره وعند عبد الرحمن بدوي في ما يسمى بالزمن الوجودي فوجدت انه لم يتأثر بهذا النوع من التأثيرات وانما وجدت الزمن عنده زمنا اسلاميا وقد بحثت عن النصوص التي كانت وراءه فوجدت ان الزمن عنده ان صح التعبير كان زمنا اشعريا باقلانيا ذلك لان الزمن الاشعري كما هو معروف يقول الاشعري : « الزمن هو توال غير مستمر للذرات الزمنية وان الله يخلق العالم في كل ذرة زمنية ويظل يخلق ابدا » وهذا المعنى وجدته متكررا في قصائد كثيرة لباكثير ووجدت الباقلاني يقول : (ان الكون يتحمل تطاول الاجل ولكن لا يتحمل باستمرار ، المهم ان علي احمد باكثير بذكائه قد حاول ان يتكلم من خلال مفهوم

الزمن ، وهو حريص على ان يتكلم بما يسميه بالزمن العربي وينتهي الى انه كان للعرب زمن عظيم ورائع ويحاجج ويرفض الزمن الخاص بالاوروبيين ويقول : (نحن الذين انشأنا الزمن) او ما معناه نحن الان خارج الزمن ، ولكننا كنا قبل ذلك الزمن . ويذكر القصة القديمة التي نعرفها عن قضية الساعة التي أهداها الى شرلمان الكبير هارون الـرشيد ويؤكـد على هـذه القضية بحب وفخر ، ويصل الى المعلومة التي يقولها انه قد كان لنا زمن وسيكون لنا زمن . ونحن نعرف انه هنا يعني بما يتصل بمفهوم الحضارة عند البعض ، ومفهوم الحضارة عن البعض هي الاحساس الذكي بالزمن . وانا اعتبر علي احمد باكثير من صغره متصلا بهذا المفهوم ، وهو الاحساس القوي بقضية الزمن ، وهناك استشهادات كثيرة حول هذه القضيـة ، ويمكن ان نتعرض لبعضها في بعض الاحيـان . بعد هـذا المحور المعني وجدته يدور حول محور اخر ، هذا المحور هو محور الموت . اول محور هو محور الزمن ، ثاني محور تدور حوله هذه المخطوطة هو محور الموت .

فكما يقال عن بعض الشعراء انهم المرزون ويضربون مثلا بالمرزا الاول وهو ابو تمام . ونحن اذا نظرنا الى علي احمد باكثير انه ينطبق عليه هـذا المفهوم او هذا المصطلح ، ذلك لاننا نعرف ان زوجتـه الاولى وان حبه الاول قد توفي او قد مرض ، والمرض جزء من الموت ثم توفي ثم كانت هناك فلذة من كبده ماتت هي الاخرى ، وهذا يؤثر على الشاعر ويضغط عليه ضغطا شديداً ، ثم بعد ذلك نرى ان والده مـات وهو في سن مبكرة . اقصد علي احمد باكثير كان في سن مبكرة ، وانه في رثائه له يحاول ان يضغط على الموت ويظهر حزنه الكبير . ثم نرى له رثائيين في اخوين له وهناك رثاء حار جدا في أخ له وقد وجدت انه يقول ان هذا الاخ مات في الغربة فأحسست انه يصر او يركز على قضية الموت في الغربة بطريقة ذكية

الى ابعد الحدود . ولكن علي احمد باكثير لم يقف عند قضية الموت كثيرا ، وانما اذا كان قد ركز على قضية الزمن ، واذا كان الزمن قد تعامل معه من اول المخطوطةالى آخر المخطوطة فانه سرعان ما تجاوز قضية الموت . فلماذا تجاوز قضية الموت ؟ نرى انه تجاوزها الى حد بعيد ذلك لانه قد دخل في ما يسمى باليقين الاسلامي ، واليقين الاسلامي يجعل الحياة الدنيا مزرعة للحياة الأخرى ، ويجعل الحياة الاولى كما يقال (بروفا) لما هو آت .

بعد ذلك ومن هنا لم نحس ان الموت كان ضاغطا عليه وكان حارقا بالنسبة له بل نجد شيئا غريبا وهو ان الشعراء في هذه الفترة بالذات كانوا اذا تكلموا او بدأوا القصائد يبدأونها بالثالوث المعروف او المثلث المعروف . فالشعر ابتدأ من عصر الجاهلية حتى هذا العصر حتى اوائل هذا القرن كان يبدأ الشاعر فيه اساسا بقضية الحديث عن الطلل ثم كمعادل للموت فعاد الموضوع للموت ثم بعد ذلك يثني بالحديث عن الحب كمعادل للموت فعاد الموضوع للموت ثم بعد ذلك يثني بالحديث عن الحب كمعادل للحياة ثم يتكلم بعد ذلك عن قضية الرحلة سواء أكانت رحلة يفسرها المحدثون على انها رحلة الانسان بين المهد وبين اللحد بالنسبة للبشر أو يصورها الأدباء على انها رحلة بين المقبرة والمحبرة فالكاتب له موت من نوع خاص الى آخر هذه القضية . . المهم ان علي احمد باكثير لم يقف عند قضية الموت كثيرا ولكن كما قلت قد اهتدى الى قضية خالف فيها شعراء هذه الفترة بالذات ليتعامل مع المثلث الذي تكلمنا عنه ، ذلك لانه لم يبدأ اطلاقا بالحديث عن الطلل وانما بدأ وهو يقصد موضوعات بعينها الى الحديث عن الغزل ومن هنا نراه اسقط قضية الطلل في العديد من قصائده وجعل الافتتاحية والبسمة الاولى التي تقابل الانسان في قصائده تتصل أساساً في قضية الفرح والمرح الى آخر هذه القضية . . بعد هذا المفهوم نرى ان

علي احمد باكثير يدخل في محور آخر هذا المحور هو محور الحب وقد وقف كثيرا عند هذا المحور وقلنا انه اهدر الغرض الاول وهو غرض الطلل من اجل قضية الحب . . وحين نقلب في محبوباته نجد انه احب كثيرا كما يقول احب من تسمى (نور) ومن تسمى (هند) ومن تسمى (أم هاني) الى اخر هذه الاسماء سواء أكانت على الحقيقة او كانت رموزا فان هذا لايعنينا . . المهم انه في بعض قصائده يذكر انه يحب الجمال للجمال ويحب الفن للفن ولم يكن يقف عند جميلات وطنه وانما رأيت له شعرا مثلا في يهودية وهو شعر جيد ويقول انه قالها في بائعة تفاح وبعد ان تكلم في هذه اليهودية أراه يتكلم في هذه السن في اندونوسية ثم بعد ذلك يتعرض للمسيحيات ولا أعرف من أين أتى بالمسيحيات لعله من السفر الى عدن ذلك لانه يذكر ويؤكد انه يحب كل المسيحيات أو بعبارة أخرى يحب كل عباد المسيح (طبعا هذه مفاهيم ستتغير بعد ذلك) فنحن نعرف انه حين تعرض لقضية اليهود صرح وكتب بانه لا يطيق اليهودية وكلما يتصل باليهود وحتى لو كان يدور بين العبقرية والجمال . . . الخ وبالنسبة للمسيحية كذلك ولا بأس من أن أقص عليكم قصة تختص (يعني الكلام المتابع فيما يتصل بعلي أحمد باكثير وبعض المسيحيين في العالم العربي) فنحن نعرف انه في فترة من الفترات في مصر كان كاتب المسرح الأول ولم يكن توفيق الحكيم هو الكاتب الاول عن المسرح بمعنى ان الذي تعرض اعماله على المسرح . . انما توفيق الحكيم كانت تعرض اعماله على صفحات الكتب وكان المسرح القومي وهو مسرح الدولة لا يفتتح مسرحه الا بعلي احمد باكثير كان من ضمن المخرجين الذين يحبهم علي احمد باكثير واحد اسمه فتوح نشاطي ومن عادة المخرج والمؤلف انهما يتقابلان كثيرا ويتحاوران كثيرا ويأكلان معا ويشربان

معا . . الخ وفي فترة من الفترات عاب فتوح نشاطي على احد المسيحيين العاملين معه وما كاد يقول فتوح نشاطي هذه الكلمة حتى تكلم علي احمد باكثير في المسيحيين وكيف انهم وبالٌ على العالم العربي ووبالٌ على مصر بالذات وافاض في هذه القضية الى حد بعيدوتواعدا على ان يتقابلا في اليوم الثاني . . وفي اليوم الثاني رد عليه فتوح نشاطي وقال له يا استاذ بـاكثير سأخلف موعدك غدا لان غداالاحد وسأذهب الى الكنيسة وهنا اسقط في يد علي احمد باكثير ماذا يفعل في هذه القضية ؟ علي احمد باكثير بعد هذه القضية وهو على التلفون قال له قضية الحجاج (قضية الاعرابي والحجاج) ذلك ان هناك الحجاج قابل اعرابياً وقـال له مـا رأيك في الحجـاج فقال سفاح . . قاتل . . كذا وكذا وبينها هما يتكلمان حضر الجند وعرف أنه الحجاج فقال يا حجاج ما بيني وبينك سر . . وكان ان قال علي احمـد باكثير له هذه القصة وقال له ما بيني وبينك سر . . ثم بعد ذلك ما كان يقابل علي احمد باكثير مخرجه المسرحي فتوح نشاطي وكثير ما كان يقابله اذكر في احد المرات اننا كنا نمشي معا فقابلنا فتوح نشاطـي وبعد ان قابلنا فتوح نشاطي حاول باكثير ان يأخذني وان نذهب الى مكان بعيد قلت له لماذا ؟ قال لان هناك شخصاً لا اريد ان اقابله . . . ولكنه كمخرج ممتاز أخرج تمثيلية ومر في جانب آخر ودخل شارعاً ثم قابلنا في نفس الطريق وقال له لماذا تتجنبني أنا اعرف ان ما بيني وبينك سر . . ولكنني اعرف ان هذا السر ستقوله لعبده بدوي الآن وبالفعل قاله لي الاستاذ علي احمد باكثير في هذه القضية والمهم انـه كان معـذبا من هـذا الجانب ولم يـرتح فؤاده ووجدانه الا بعد ان قلت له : انه هو الذي استدرجك وهو مسيحي لانه شتم مسيحيا ، على كل قلنا انه في هذه الفترة احب يهوديات واحب كذا وكذا ولكنه بعد ذلك ركز على قضايا كبيرة وجعل الحب مدخلا الى القضايا

الكبيرة . . وعندنا في النقد الادبي ما يسمى بتأكيد الشخصية ورسم الشخصية وما يسمى بالهروب من الشخصية . . وهناك بعض المدارس الادبية التي تقول انه لا بد من التعبير عن الشخصية ويقولون ان الذي لا يعرف ان يرسم ملامحه النفسية والخارجية فانه يكون اعجز حين يتعرض لملامح المجتمع وملامح الناس الى اخر هذه القضية . . ومن هنا نريد ان نتعرف عن علي احمد باكثير ما شخصيته هل استطاع في هذه الفترة المبكرة ان يرسم له ما يسمى بفن البورتري مثلا يضيء صورة جزئية لوجهه هل اراد ان يقدم نفسه . احلامه . . اشواقه الى اخره . . في الواقع في هذه المخطوطة المقدمة نراه قد رسم نفسه رسما جيدا ورسم عائلته وهو يبدأ اساسا من دائرة الفن الكبير فهو يفخر على الاخرين بانه سليل ملك كنده وبان اسرته من العلماء ، وبأن مدينته غاصة بانفاس العلماء الى اخر هذه القضية . المهم اننا حين تتكامل هذه القضية المسائل نجد انه رسم شخصيته واجاد في رسم هذه الشخصية بعد ذلك نأتي الى سؤال هام يرد الى الشبان دائما وهناك من قال لي الى اي شيء ينتسب علي احمد باكثير في هذه الفترة المبكرة من حياته . ومن قراءتي لشعره اعرف من بعض الابيات انه كان مع الناس كان مع البشر وكان مع العلم وكان مع التحضر وكان مع اشياء كثيرة . وقد قال لبعضهم : طيب وماذا تفعل ، هناك مشكلة امامك وهو انه مدح بعض السلاطين وبعض كذا وكذا فقلت له فليكن فليس المدح عيبا في ذاته وانما ننظر الى الدوافع . واذا كانت الدوافع جيدة وممتازة ومخلصة فانه لا بأس من المدح . اذا المدح ليس سبة وانما المدح قد يكون خديعة مثلا المدح قد يكون خديعة للحاكم قد يكون حبا حقيقيا لهذا الحاكم واملا فيه بانه سيفعل كذا . . وهناك بعض الشعراء اليمنيين مثلا الذين مدحوا الامام يحيي في فترة من الفترات ذلك لانه آمل الخير فيه

كزيد الموشكي ، محمد محمود الزبيري مثلا ومن هذا المنطلق نستطيع ان نتكلم عن المدائح التي ساقها باكثير في هذه القضية . فحين تكلم عن بعض السلاطين هنا ومدحهم ورثاهم بما يسمى بالمرثية الكبرى ، لا اجد مدحا لهذه الشخصية ولكن اجد مطالب شعبية وهذا يذكرنا بأن الملوك من فترة معينة لهم ما يسمى بخطاب العرش هو يقول اشياء معينة ، ولكننا بعد ذلك كنا نرى عدداًمن الشعراء الذين فيهم جسارة يقولـون ما يمكن ان يسمى بخطاب الشعب ذلك لانهم يطالبون هذا الملك او هذا الامير بما يطلبه الشعب من اشياء فماذا قال علي احمد باكثير ؟ ونظرا لحساسية هذه النقطة فانني احب ان اقف عندها بالنصوص الى حد ما . تعرض للسلطان علي بن منصور بن غالب في ٢٠ / سبتمبر / ١٩٢٨ م يقول :

يـا مليك البـلاد جمـعـيـة العهـد
لـ تحـيـيـك مـا استهـل الـغـمـام
محضـتـك الـود الـصـحـيـح ونـاطـت
بـك آمـالهـا وهـن عـظام .
تـتـمـنى تـقـدم الـوطـن المـحـبـوب
في عصر انـت فـيـه الامـام
مـالهـا غـير خـدمـة الـشـعـب قـصـد
وسـوى خـدمـة الـبـلاد حـرام
فـخـذ الحـذر « بـفـعـل الامـر »
فـخـذ الحـذر والـزم الحـزم وانـشـد
مـنـشـأ الـشـعـب فـهـو داء عـقـام
فـأنشر الـعـدل في الانـام وقـلـم
ظـفـر الاسـتـبـداد فـهـو الـسـام

ساوهم في الحقوق ان المساواة
أساس يبني عليه النظام
فبها لا بغيرها سبق الغرب
ومن قبله ارتقى الاسلام

هذا الكلام ليس مدحا وليس تملقا ، وانما الشاعر يحمل مطالب الشعب ويبعث بها الى الملك . وبفعل الامر يأمر الملك ان يفعل كذا وكذا او السلطان ان يفعل كذا وفي المؤبنة الكبرى لسلطان اخر يقول٬ :

مليك الوراء هذا اوانك فأبنها
قصورا من العلياء شم عواليا
مليك الورا انت المرجى لأمة
بها ضج سكان البلاد شكاويا
فأجر رسوم العدل فيهم فانه
هو العدل تلقاه الطبيب المداويا
وحقق لنا الامال فيك عظيمة
ولا تفعل الفعلات الا عذاريا

فما اسمج التقليد « يتكلم عن التقليد في هذه الفترة »

فما اسمج التقليد بالمرء قادرا
وما أحسن التجديد بالمرء واليا .
وشيد صروح العلم فالعلم وحده
تراه لادواء الجهالة شافيا
وذا قلم التاريخ مصغ بسمعه
يؤمل ان تملوا عليه المعاليا

فيكتبها بالنور في صحف العلا
أساطير بيض للخلود بواقيا
وما أنا اذ أدعوك للمجد والعلا
سوى شاعر غنا بمجدك شاديا

المهم اننا نرى ان الشعراء بالنسبة لبعض الحكام قد يحاولون ان يمدحوا وقد يحاولون ان ينافقوا ولكن قد تكون في هذا خديعة للشاعر وهذه ظاهرة وجدتها في عدد كبير من شعراء اليمن السعيد .

يبقى بعد ذلك الدراسة للعمل الفني من حيث الموسيقى ومن حيث الصورة ومن حيث الخيال ومن حيث العاطفة وهذه اشعار سأسلمها مع البحث للمسؤولين لكي تكون تحت عين الذي يجب ان يقرأ .

وشكرا . . . .

البعد القومي
للشعر المعاصر في اليمن

الدكتور / مصطفى احمد عبود

أود ان تسمحوا لي قبل ان ابدأ المحاضرة بكلمة اولها ان اقول حق الوفاء للزميل الفاضل الدكتور عبده بدوي فقد كان الدكتور عبده بدوي مدعوا بدعوة ملحة لحضور المؤتمر العالي للشعر في مانيلا وعندما تسلم دعوة الادباء والكتاب اليمنيين لمهرجان باكثير اعتذر مباشرة عن هذه الدعوة وفاء لصديق العمر الاديب علي احمد باكثير .

القضية الثانية ان عندي بعض الملاحظات اود ان اشير اليها فقد اشير في خطبة الامس ان الاديب باكثير كان غريبا او كالغريب في مصر في اواخر أيامه والحقيقة ان باكثير لم يكن غريبا او كالغريب في مصر فمصر هي اكثر اقطار العروبة الذي لا يحس فيه العربي بالاغتراب فهذه قضية اكيدة والحقيقة ان الاستاذ علي احمد باكثير تعرض لمضايقات فكرية وسياسية في اواخر ايامه وحوربت اعماله ولكنه ظل وفيا لمصر وللنيل وفي اواخر ايامه

* حصل على دكتوراة الدولة في العلوم السياسية عام ١٩٧٨ م من جامعة باريس
* مدرس بقسم العلوم السياسية بجامعة الكويت .

كتب قصيدة يتمنى من الله فيها ان يموت في مصر ويدفن بوادي النيل .

القضية الاخيرة اسمح لنفسي ان اشير اليها واثارت بعض الإنتباه وهي قضية الخصوصية يعني عندما يكون باكثير من حضرموت ويكون من سيئون فعندما يبالغ في هذا الكلام تصير هناك ردود فعل ، والمبالغة بطبعها ليست محمودة يعني سمعنا كثيرا ترديد هذا البيت :

ولو ثقفت يوما حضرميا لجاءك آيـة في النابغينـا

الاستاذ علي احمد باكثير كتب هذا في مطلع الثلاثينات اتصور في اسمرة وكانت حتى قضية وحدة اليمن ووحدة التراب اليمني غير مطروحة بهذا الشكل بالمبالغة في هذا النوع يعني . . كل بلد من بلدان اليمن وكل قرية نتمنى من الله ان تعطي كباراً وادباء عدن وبردون وصنعاء فلأبناء المنطقة ان يفاخروا بذلك ولكن عندما تتحول الى نوع من المبـالغة . . فـارجو ان يعذرني اخواني الحضارم قد يكون فيها ، بعض من ردود الفعل فارجو ان ينتبهوا الي .

* القضية الاخرى لماذا الحديث عن البعد القومي للشعر المعاصر في اليمن الحقيقة انى كنت أتصور ان يكون هذا اللقاء وهذه التظاهرة فيها العديد من الادباء والشعراء العرب ، وكان دائما يطرح السؤال :

وهل في اليمن شعر وشعراء ؟

وهل للشعر اليمني بعد عربي ؟

وقد طلب مني الاخوان في مجلة العلوم الانسانية التي تصدرها جامعة الكويت ان اكتب بحثا قصيرا عن البعد القومي للشعر المعاصر في اليمن ، ولم تكن في يدي الا بعض المراجع ، وانا اساسا لست متخصصا في الادب والشعر . فكتبت جانبا ولهذا ارجو ان يعذرني الكثير من الشعراء

والادباء في اليمن الذين لم اتعرف عليهم انما ما كان بيدي من كتب متوفرة اشرت الى هذا البعد .

* القضية الاخرى اننا في هذا الزمن العربي الرديء بحاجة لان نركز على ناحية البعد القومي والنفس القومي للأدب والشعر ولكل ما يتعلق بهذه النواحي ، يعني يكفينا غرابة في هذا الزمن ان الحديث عن الوحدة العربية التي هي الطريق للخلاص القومي والاجتماعي والاقتصادي للعرب حديث غريب وغير مقبول اصبح ، وربما محظور ولهذا فارتأيت ان من الواجب ان نركز على هذه القضايا الاساسية حتى لا تصبح القضايا الاساسية ثانوية ويصبح بالفعل في فترة تختلط فيها الالوان ونصاب فيها بنوع من اختلاط الرؤية .

وبعد ذلك اسمحوا لي ان القي هذه المحاضرة القصيرة عن البعد القومي للشعر اليمني المعاصر .

البعد القومي . . . للشعر المعاصر في اليمن

الملخص :

يهدف البحث الى توكيد النزعة القومية والنضالية في الشعر المعاصر باليمن وتركز المقدمة على الترابط الوثيق بين الحس الوطني والحس القومي لرواد ثورة ١٩٤٨ م في صنعاء ، مؤكدة ان معظم الثوار في اليمن كانوا من الشعراء مستعرضة شهادة الاديب العراقي هلال ناجي والشاعر اليماني عبد العزيز المقالح .

ولا ريب ان المعاني السخية للبعد القومي في الشعر المعاصر باليمن تتكثف في ادراكه المبكر لمركزية القضية الفلسطينية في الثورة العربية المعاصرة والعلاقة العضوية بين الوحدة والعودة . وتحاول الدراسة ان تبرز مجمل البعد القومي للشعر المعاصر في اليمن من خلال اربعة محاور :

١ = العرب والغرب الاستعماري .

٢ = مصر العروبة .

٣ = الوحدة والعودة .

٤ = عهد المقاومة .

ويستشهد البحث في مختلف المراحل بنماذج لكبار الشعراء في اليمن من امثال الزبيري والبردوني وباكثير والشامي والبار والشرفي .

وقد اخترنا ان يكون مسك الختام قصيدة الشاعر عبد الله البردوني

« ابو تمام وعروبة اليوم » تلك الرائعة الذائعة التي هزت مهرجان الموصل واثبتت للشعراء العرب أن في اليمن شعراء وشعرا رائعا في هذا المستوى الجديد القديم . . الجديد الذي لا يتنكر شكله للمضمون الجديد ولا يرفض الجديد ارتداء الشكل القديم .

في مقدمة كتابه « شعراء اليمن المعاصرون » يقف الاديب العراقي هلال ناجي باجلال امام فروسية شعراء اليمن الذين كانوا طليعة موكب التضحية والفداء في ثورة ١٩٤٨ م ، محييا استشهادهم بهذه الكلمات « ما اعرف بين اقطار العرب كافة قطرا قدم اغلى الضحايا من ادبائه على مذبح الحرية كالقطر اليمني في ثورته الرائدة على الملكية عام ١٩٤٨ م .

لقد اعدم جلاد اليمن (احمد حميد الدين) الشاعر زيد الموشكي والادباء الاحرار احمد المطاع ، واحمد الحورش وعبد الوهاب الشماحي والبراق . كما اودع في سجونه الرهيبة الشاعرين . . الحضراني والشامي وحكم بالاعدام غيابيا على الزبيري الشاعر الثائر .

ماذا اقول بل ان الثائر منهم كان يسير الى ساحة الاعدام وهو ينشد شعرا كله رجولة كما فعل العنسي رحمة الله حين انشد ساعة اعدامه .

كم تعذبت في سبيل بلادي وتعرضت للمنون مرارا
وانا اليوم في سبيل بلادي ابذل الروح راضيا مختارا

. . ثم صلاة على ارواح الادباء اليمنيين الذين تساقطوا انجما على درب الفداء وسلام على الادباء اليمنيين الذين ما برحوا عبيرا في الاحياء » « ناجي ، ١٩٦٦ : ٦ , ١٠ » ويشير الدكتور عبد العزيز المقالح في كتابه : « الابعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن » الى الترابط الوثيق بين الحس الوطني والحس القومي لثوار ١٩٤٨ م . : « كان معظم

الثوار في اليمن من الشعراء ، وكان احساسهم القومي لا يكاد ينفصل عن احساسهم الوطني . . كما تجسد هذا الاحساس عمليا باشراك عدد من الشخصيات العربية من اقطار مختلفة في قيادة الانقلاب : الفضيل الورتلاني الجزائري ، وجمال جميل العراقي ، وعبد الحكيم عابدين ومصطفى الشكعة المصريين » (المقالح ١٩٧٤ : ١٧٦) .

فلا غرابة اذن ان تكون الوطنية والقومية في اليمن صنوان ، الم يكن قائد ثورة ١٩٤٨ م وشهيدها العقيد جمال جميل عربيا من العراق فقد جاء شهيد العروبة من بغداد الى صنعاء ليعمل مدربا للجيش وكان احساسه القومي وشعوره بما كان يعانيه شعبه العربي في اليمن هو الدافع لانخراطه في حركة الاحرار اليمنيين وقيادة الثورة ضد الحكم الامامي العفن . فلما حدثت النكسة قدم دمه بشجاعة نادرة قربانا لليمن التي احبها وحاول ان يسهم في انتشالها من براثن التخلف والجهل . ولانه شهيد العروبة فوق « أرض الجنتين » فقد كان شعراء اليمن الذين صاغوا رثاءه الموجع يتوقعون ان تبكيه الديار العربية والاقلام العربية كلها فلما سكتت واحجمت فجر صمتها براكين اللوم الغاضب الذي عبر عنه ابلغ تعبير الشاعر الحضراني « ناجي : ١٩٦٦ : ٦٠ »

اجمال ما بال العروبة لم ترع	لما تحطم سيفها الصمصام ؟
سكتت اسود الرافدين واحجمت	حيث السكوت يعاب والاحجام
والنيل لم يظهر اساه تحسرا	مما عراك ولم يضج « الشام »
حقرت مصابك ويلها أم انها	حسبته جرحا ما له ايلام

ولعل ظروف العزلة الرهيبة التي كان يعيشها اليمن تحت قبضة الحكم الامامي قد حجبت عن ابناء العروبة رؤية الجرح العميق في مهاد قحطان .

واذا كان للشعر الوطني في اليمن من دلالة فهي ان الوطنية الكاملة هي « وطنية العروبة » كما يؤكد شاعر اليمن الكبير عبد الله البردوني :

« فالوطنية الكاملة هي وطنية العروبة تنشأ مع ميلاد كل ثورة وتنمو حتى تصبح وطنية كاملة . . تحقق انسانية كل قطر لتحقق انسانية الامة وتسهم بالتالي في صنع الانسانية وحماية حقوقها المشروعة » (البردوني ، ١٩٧٤ - ١٧٦ » .

بهذه المعاني الشخصية يكون الوطني الجيد هو القومي الجيد هو الانساني الجيد وما كان لشاعرنا الذي افقده الجدري نعمة البصر وهو في السابعة من عمره ان يقدم لنا هذه الخلاصة الرائعة ولو لم يكن مناضلا وطنيا صادقا عرف السجون الرهيبة وتحدى القيد والجرح مبشرا بالفجر وكان شعره وادبه معجونين باريج النضال الوطني اللاهب ، فها هو يصرخ في قيوده من اعماق السجن ابان العهد الامامي الاسود :

هدني السجن وادمى القيد ساقي فتعاييت بجرحي ووثاقي
واضعت الخطو في شوك الدجى والعمى والقيد والجرح رفاقي
سوف يفنى كل قيد وقوي كل سفاح وعطر الجرح باقي
سوف تهدي نار جرحي اخوتي واعير الانجم الوسنى احتراقي
فلنا شعب فمن ينكره ؟ وهو في دمعي وسهدي واشتياقي
أنا ألقاه شجونا ومنى فالاقيه هنا قبل التلاقي

ولا أرى مدخلا للحديث حول « البعد القومي للشعر المعاصر في اليمن » أروع من كلمات البردوني رفيق الثلاثي « العمى والقيد والجرح » وهو يربط ربطا مبدعا بين فلسطين والوحدة . . بين وحدة النضال ونضال الوحدة . . بين الوطنية والقومية والإنسانية :

« . . فقضية فلسطين مثلا تعتبر قضية كل عربي اولا ، وقضية كل انسان ثانيا لان العدوان الذي احتل فلسطين يمكنه احتلال صنعاء والرياض ، اذا لم يتوافر الاحساس بالنضال ويمتد جهد المقاومة . وعلى هذا فالوطنية الكاملة هي الاحساس بالمسؤولية عن قضايا الامة عموما من المحيط الى الخليج . . لان فقدان جزء من الامة يؤدي الى فقدان بقية الاجزاء والحرية لا تتجزأ كقضية »

« البردوني ، »

ان المعاني السخية للبعد القومي للشعر المعاصر باليمن تتركز في ادراكه المبكر لمركزية القضية الفلسطينية للثورة العربية المعاصرة والعلاقة العضوية بين الوحدة والعودة ، وسنحاول في هذه الدراسة ان نتتبع التطور التاريخي للشعر المعاصر في اليمن من خلال المراحل الاربع التي مر بها وسماتها البارزة .

العرب والغرب الاستعماري

كانت المرحلة الاولى التي سبقت عام النكبة ١٩٤٨ ، وهي « مرحلة الايقاظ » وكانت رسالة الشاعر تتركز في استنهاض الهمم والضمائر وايقاظ العرب من سباتهم لينتبهوا ويعوا ابعاد المشروع الجهنمي الذي اعدهاالغرب الاستعماري ، والذي دخل مرحلة التنفيذ مستهدفا اقتطاع فلسطين من جسم الوطن العربي ، وزرع جسم غريب في قلبه يكون رأس الحرية للاطماع الاستعمارية في الارض العربية ولم يكن غريبا ان يفجر شاعر اليمن وشهيدها ابو الاحرار محمد محمود الزبيزي براكين عضبته على رأس بريطانيا هذه الامبراطورية الاستعمارية العجوز المحنكة في فن اذلال

الشعوب وقهرها . صاحبة وعد بلفور المشؤوم ودولة الانتداب وحامية العصابات الصهيونية ، لهذا فان الزبيري يرفع صوته ليفضح حقيقة « الكتاب الابيض » الذي اصدرته بريطانيا حول قضية فلسطين . مؤكدا ان هذا الكتاب الابيض الاسود ليس سوى ثمن اقتطاع الارض والعزة القومية ، ولم يكن اجتماع الدول العربية بلندن سوى التسوية المذلة للمأساة ففي قصيدته « في سبيل فلسطين » التي كتبها عام ١٩٤٠ يقول الزبيري (الزبيري ١٩٦١ : ٢٥) :

فيابرطيانيا عودي بمخمصةٍ ... ان العروبة لا شاء ولا نعم

ان العروبة جسم ان يئن له ... عضو تداعت له الاعضاء تنتقم

ان يضطهد بعضه . فالكل مضطهد ... أو يهتضم جزؤه فالكل مهتضم

اتخرجون كماة العرب ويحكمو ... من ارضهم وهم الابطال والبهمُ

ان الكتاب الذي جدتم به ثمنا ... لارضهم ليس يكفيهم اذا اقتسموا

لم يحسبوه سوى اكفان عزتهم ... نسجتموه لهم ظلما وان زعموا

ان الدماء التي سالت بمديتكم ... لم يشفها منكم القرطاس والقلم

ان الخداع الذي دانت سياستكم ... به لاعظم ما تشقى به الامم

ويقف الزبيري مذهولا امام المفارقة الجارحة ، فالدول العربية تسعى لتختصم الى المستعمر الاثم في لندن الذي تآمر بشكل مفضوح على القضية وقدم فلسطين هدية للعصابات الصهيونية واوغل في جهالته وظلمه للعرب (الزبيري ، ١٩٦١ : ٢٥)

ما للظلوم الذي اشتدت ضراوته ... في ظلمنا نتلقاه ونبتسم

نرى مخالبه من جرح امتنا تدمي ... ونسعى اليه اليوم نختصم

وما اشبه الليلة بالبارحة، إفالامبراطورية العجوز قد سلمت عصاها الاستعمارية للامبريالية الاميركية واصبحت واشنطن هي الحامية الاولى للكيان الصهيوني الغاضب وغرزت مخالبها في جراح امتنا النازفة في فلسطين والجولان والضفة ولبنان .

واذا كان الزبيري قد اعتبر بريطانيا المسؤولة عن الفجيعة القومية ، فان الشاعر حسين محمد البار يؤكد ان الغرب الاستعماري كله ضالع في الجريمة ، وقد دفعه حقده التاريخي على العرب لهذا المشروع الجهنمي الذي يحار فيه العقل (البار : ١٩٥٤ : ١٢٠) .

الى الله والتاريخ ما فعل الغرب
فهل من مجيب يا بني يعرب هبوا .
أغار على ارض البراق يسومها
عذابا مذاق الموت في جنبه عذب
قضي ان شعبا انشأتها دماؤه
يموت لكي يحيا على اثره شعب
قضاء يحار العقل في فهم سره
ويعجب من مشروع تنفيذه العجب

نضال المغرب العربي :

ولكن تكالب الغرب الاستعماري على الامة العربية لم يقتصر على المشرق العربي وحده بل ان المغرب العربي قد عانى اشد المعاناة من العسف الاستعماري وحقده التاريخي على العروبة . ولم يكن الشعر المعاصر في اليمن بعيدا عن تحسس آلام المغرب الكبير .

وقد عبر عن ذلك ابلغ تعبير شاعر العروبة الاديب الكبير علي احمد

باكثير وهو يقيم جسرا يربط النضال العربي في مشرق الوطن ومغربه ، فلنستمع اليه وهو يحيي علال الفاسي في منفاه ، وكان الفاسي في ذلك الوقت يقود الحركة التحررية في المغرب الاقصى ضد الاحتلال الفرنسي الغاشم .

ذكرتك يا علال والناس هجع
وليس سوى جفني وجفنك ساهد
وللهم حز في فؤادي قاطع
ولليأس فتك في اماني حاصد
تكاد الدجى تقضي علي لانها
دجى العرب تاهت في عماها المقاصد
تداعت على قومي الشعوب فماونت
مصادرها عن حوضهم والموارد
اذا خاننا وغد من الغرب سافل
تحيفنا نغل من الشرق حاقد

ويصب الشاعر والاديب العملاق صاحب « واسلاماه » براكين غضبته العربية على الغرب الاستعماري وعواصمه باريس ولندن وروما متوعدا اياهم بالويل والقصاص بعد ان استيقظ العملاق العربي من نومه ليدحرهم « الى ما خلف طوروس » ويلفظهم من جوفه ليطهر ارض العروبة من فجورهم ودنسهم .

اذا استيقظ العملاق من طول نومه
وراع الورى منه نبي ومارد
فياويل باريس وروما ولندن
ويا ويل قزم بات فينا يعاند

رجوعا الى ما خلف طوروس وارحلوا
الى حيث القت رحلهن المكايد
خذوا معكم الحادكم وفجوركم
فليس بنام في ثرانا المفاسد
لنا ديننا الاسمى لنا مجدنا الذي
تتيه به الدنيا وتزهي المحامد
سنلفظكم من جوفنا ونقيئكم
كما قيء مسموم من الزاد فاسد

ويعود يناجي علال الفاسي ويبثه اساه لما يكابده من الام بعد ان نفته فرنسا الى (الجابون) ويسخر من الاستعمار الذي ظن ان الفاسي وحيدا في الميدان وما علم بان علال في صموده انما يمثل جماهير الامة العربية الرافضة للاحتلال والذل .

ذكرتك يا علال فانتابني الاسى -
اكابد من آلامه ما اكابد
كاني انا المنفي دونك فاصطبر
فهذا شعور في بني العرب سائد
صبورا على البلوى شديدا على العدى
تهون عليه في الجهاد الشدائد
نفتك الى (جابون) آلام دوله
لها عضد في المخزيات وساعد
لقد خالت العجفاء انك واحد
اجل انت في قدس البطولة واحد

ولم تعلم العجفاء انك امة
تجاهد في استقلالها ما تجاهد
ثمانون مليونا يباهون كلهم
بخير لغات الارض والذكر شاهد

ويشتد به الحماس والاعتزاز بأمته العربية فيطلق صيحته المدوية :

الا كل شيء ما خلا الله باطل
الا كل شعب ما خلا العرب بائد

ان باكثير هو شاعر العروبة بحق فدينه « دين يعرب » وفي دمه يعيش سعد وعمرو وخالد ، والبعد القومي في شعره يعانق كل ارض عربية ، ويود ان يكون حضوره فعالا في كل ساحات النضال ، فهو ثائر في فلسطين وحسام مشهور في الاسكندرونة ورواعد في برقة والجزائر ؛ فتلك بلاده التي لا يفرق بينها .

لقد نلت يا علال ما رمت في العلى
وجد نزار بالذي نلت صاعد
وشتان ما حالي وحالك حالم
صريع امانيه وقرم مجالد
فآه كلانا شاعر غير انني
مقيم على ضيم وانت مجاهد
ولكن كلانا دينه دين يعرب
وفي دمه سعد وعمرو وخالد
وددت لو اني في فلسطين ثائر
لاهلي تنعاني الظبي لا القصائد

ولــو أنــني في اسـكـنـدرونـة قـاصـم
ظـهـور الـعـدى والـبـاتـرات رواعـد
فـتـلـك بـلادي لا افـرق بـيـنـهـا
بهـا طـارف في مجـد قـومـي وتـالـد
عـلـيـك سـلام الله مـاثـار ثـائـر
ومـا ذاد عـن مجـد الـعـروبـة ذائـد

رحم الله علال الفاسي ابن المغرب والعروبة البار ، ورحم الله علي احمد باكثير ابن اليمن وحادي الركب العربي . ولا ريب ، ان للبعد القومي في الشعر المعاصر باليمن سمة بارزة ، فهو يتكشف ويتجسد حيث الثورة والمعاناة والالم ، انه في الشام حين يضرب المستعمر برلمان دمشق . وفي العراق حين تكون ارض الفراتين ثائرة ، ومع شعب اليمن حين ينتصر لاخوته في العروبة ، ومع الاردن حين يطاله اذى الاعداء وعدوانهم وهو يتكشف ويتجسد دوما في فلسطين . لقد عبر شهيد اليمن الشاعر محمد محمود الزبيري عن وجهة هذه المعاني السخية « في قصيدته » تحية الخروج من العزلة وهو يتوجه الى احد امراء اليمن الملكية هو « الامير عبد الله » بمناسبة اول رحلة يقوم بها خارج القطر ليحثه على الانفتاح على الوطن العربي الكبير ويذكره بمعاناته وجراحه النازفة في كل جزء من ارض العروبة .

ســال جـرح الـشـآم فـاضـطـربـت نـجـد
وسـحـت لـه عـيـون الـكـنـانـة
وتـنـزى الـعـراق غـضـبـان كـالـلـيـث
اذا سـامـه الـغـبـى المـهـانـة

واستفز الشعب اليماني حفاظا
فانتضى سيفه وهز لدانه
وشجى الاردن المصاب كأن قد
دمر المعتدي له عمانه
وفلسطين خبأت جرحها الدا
مي وهبت لجارها غضبانة
نكبة الشام وطدت برلمان الشام
رغم العدى واعلت كيانه
نكبة الشام وحدتنا فما من
عربي الا بكى برلمانه
صار قلبا يحرك العرب العربا
ويجري في ارضهم شريانه

وتنتهي « مرحلة الايقاظ » والعرب بين اليقظة والنعاس ليفتحوا عيونهم الفجيعة والنكبة عام ١٩٤٨ م ، وهنا استدار الشعراء صوب مصر اكبر اقطار العروبة آملين ان تكون ثورتها (١٩٥٢ م) وعدا باسترداد الارض والكرامة .

مصر العروبة :

كان عام ١٩٤٨ م هو عام النكبة القومية والوطنية على السواء ، ففيه ضاعت فلسطين وقام الكيان الصهيوني الغاصب ـ وفيه اغتيلت الثورة الاولى في تاريخ اليمن المعاصر . ولقد كان هناك شعور عميق بمرارة الفجيعة عبر عنه الشاعر ابراهيم الحضراني في قصيدته التي اشرنا اليها والتي تميزت بذلك اللوم والعتاب الصارم لاخوته في العروبة الذين لم يهزهم

جرح العروبة في اليمن واعدام قائد الثورة العقيد العراقي جميل جمال الذي مهر بدمائه الزكية قومية المعركة وارتفع بالبر لاسمى درجاته وهي الاستشهاد .

وبقي الشعراء يجترون الحسرة المريرة في انتظار الغيث الذي ينعش ارض العرب المجدبة ، فجاءت النجدة من مصر اكبر اقطار العروبة ، وكانت ثورة ١٩٥٢ م بمثابة الرد على النكبة والهزيمة ، فتوجه الشعراء بكل جوارحهم صوب « مصر العروبة » يتغنون بثورتها الرائدة ، مذكرين بدور مصر ومسؤلياتها القومية تجاه الامة العربية كلها ، كما فعل الشاعر احمد محمد الشامي في قصيدته « ثورة مصر » التي كتبها وهو نزيل السجن في صنعاء .

ايه يا ثورة اطلت على الدنيا
فكانت اشعة ووقودا
ارسلي من لهيبك الحر نفحا
نحو شعب قد عاف عيشا زهيدا
وابعثيه على الطغاة شواظا
جامحا يجعل الجبال صعيدا
ها هنا امة تئن وشعب
يقطع العمر موثقا مصفودا

ويتوجه الشاعر في ختام قصيدته الى اللواء محمد نجيب قائد الضباط الاحرار صانعي الثورة ، موجها اليه التحية العربية مقرونة بعهد الوفاء لثورة وادي النيل التي جاءت لتحنو على امة العروبة وتداوي جراحها وآلامها بعد ان ارهقتها الخطوب الثقال : (الشامي ١٩٣٧ : ٢٢٥)

واهد عنا الى نجيب التحيا
ت ولاء محضا وعهدا عهيدا
قل له امة العروبة حيرى
تقتل العمر غفلة وجمودا
رعشت خطوها الخطوب الثقيلات
فأحنت لها جبينا وجيدا
فأشف آلامها ... وسدد خطاها
واحد آمالها رشيدا .. حميدا

أما زعيم حركة الاحرار اليمنيين الشاعر الثائر محمد محمود الزبيري فانه يغادر منفاه في الباكستان ليحتضن التراب العربي ويضع حدا للاغتراب فينزل ضيفا عزيزا على مصر بعد سقوط الملكية ، ليشم فوق ثرى ارض الكنانة ماضي العروبة المجيد (الزبيري : ١٩٦١ : ١١٠)

اليوم وافي بوادي النيل ماضينا
نحس وقع خطاه في مغانينا
هبت له نسمات البعث وانطلقت
تهز كل دفين هاجع فينا
لما استهلت على الدنيا بشاشته
تلفتت افق الدنيا تحيينا
يوم من الدهر لم تبصنع اشعته
شمس الضحى بل صنعناه بايدينا
قد كونته الوف من جماجمنا
وجمعته قرون من مآسينا

نـسـيـج اضـوائـه الـبـيـضـا دم عـبـق
سـالـت بـه مـهـج الـطـهـر المـضـحـيـنـا
فـكـل ثـانـيـة مـنـه لـه انـتـسـبـت
عـدت سـلالـة اسـد مـن أوالـيـنـا
يـأوي الى كـل جـرح مـن جـوانـحـنـا
مـنـه شـعـاع يـعـزيـنـا ويـأسـيـنـا

ولقد اصاب المقالح في معرض مقارنته بين قصيدة الزبيري التي انشدها وهو ينزل ضيفا على مصر وتلك التي كتبها حينما نزل ضيفا على الباكستان .

« اعتقد ان صوت الزبيري وهو ينطق (اليوم وافي بوادي النيل) اكثر انطلاقا منه وهو يردد (وافي بباكستان) . . انه مع وادي النيل يشعر بانفاس الجماهير وهي تلاحظ الكلمات متنقلة معه من كلمة الى اخرى ومن بيت الى اخر وتلك ميزة اللغة المشتركة والشعور القومي الواحد » (المقالح ١٩٧٤ : ١٧٩ : ١٨٠)

الوحدة والعودة :

لعل النداء الحار الذي وجهه شعراء العروبة الى مصر الثورة ليضعوها امام مسؤولياتها التاريخية تجاه قضايا الامة ، ولعل التأييد العارم المفعم بالحب الذي منحته الجماهير العربية لعبد الناصر وهديرها المدوي بالوحدة طريق القوة والعزة والعودة ، كان في طليعة الاسباب التي حدت بالرئيس العربي الراحل لان يوقع بثقة واعتزاز وثيقة ميلاد الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨) اول تجربة وحدوية في تاريخ العرب الحديث . كان ميلاد الوحدة معينا ثرا لحماس الجماهير العربية وانتعاشها الذي لم يشهد له

التاريخ المعاصر مثيلا فقد كانت ترى في الجمهورية العربية المتحدة قاعدة النضال العربي وسبيل الخلاص القومي والاجتماعي والاقتصادي للامة العربية .

واخذت رؤى الحلم الكبير حلم « الوحدة والعودة » تتجسد حية فوق ارض الواقع . وكان الشعراء هم حداة الركب العربي الهادر بالوحدة والتحرير . فها هو « معري اليمن » الشاعر عبد الله البردوني يحتضن في تربة المعرة « معري الشام » ويعانق اجداده . بني غسان فوق روابي دمشق ، ويبث اهله في ارض الكنانة ما به من آلام وآمال) (البردوني ، ١٩٦٦ : ٤٣)

انا توحدنا هوى ومصائرا
وتلاقت الاحباب بالاحباب
أترى ديار العرب كيف تضافرت
فكان صنعا في دمشق روابي
لاقى الشقيق شقيقه فاسألها
كيف التلاقي بعد طول غياب ؟
اليوم ألقى في « دمشق » بني ابي
وأبث أهلي في الكنانة ما بي
وأبث أجدادي (بني غسان) في
ربوات « جلّق » محنتي وعذابي
وأهز في ترب المعرة شاعرا
مثلي : توحد خطبه ومصابي
واعود اسأل (جلقا) عن عهدها
بأمية وبفتحها الغلاب

صور من الماضي تهامس خاطري
كتهامس العشاق بالاهداب

واذا كان البردوني يقرأ في وحدة سوريا ومصر عراقة ماضي امته وامجادها ، فان الشاعر علي بن علي صبرة يستشرف في الوحدة الوليدة اطلالة المستقبل وافاقه المشرقة فهو يلمح من فوق جبال اليمن تلك الدار التي ستكون مقرا لسكناه في « جلق » العرب ، ويرى ملامح ابيه في السنحات العربية لشيوخ الشام ، وكأن يد ناحت جبار قد نقلتها واحكمت لمساتها فيمتزج الماضي بالحاضر بالمستقبل في هذه الصورة الساحرة : (صبرة ، مخطوط) .

اني لاعرف اين يرقد شارعي
من جلق بل اين يصحو داري
هذي الملامح من ابي هل يا ترى
نقلت بحكمة ناحت جبار
سمراء كالصحراء بكر كالحمى
عربية قدت من الاحجار
لكأنني بالفاتحين اخالهم
من كل اروع كالردى مغوار
يتقافزون الى الجهاد كأنهم
صبح يشق حواشي الاسحار
وصدى ' أمية لم يزل تهذي به
بردى فيا للمفتري المهذار
والداخل الاموي تلفح مسمعي
انفاسه . وتصيح كالاعصار

ما زال طعم الروم يصرخ في دمي
ودم الصليبيين في اظفاري

ولا ريب ان تحقيق الوحدة قد حرك في النفوس هاجس الحلم الكبير . . « التحرير والعودة » عبر ملامح التضحية والفداء التي يشكل طليعتها ابناء فلسطين وهنا نلتقي بالشاعر البردوني في « يوم المعاد » مبشرا بالعمل الفدائي الفلسطيني قبل ميلاده بحوالي عقد من السنين) (البردوني ١٩٧٠ : ٨٧) .

يا أخي يا ابن الفدى فيما التمادي
وفلسطين تنادي ، وتنادي
ضجت المعركة الحمراء - فقم
تلتهب ... فالنور من نار الجهاد
ودعا داعي الفدى ، فلنحترق
في الوغي ، او يحترق فيها الاعادي
يا اخي يا ابن فلسطين التي
لم تزل تدعوك من خلف الحداد
عد اليها لا تقل : لم يقترب
يوم عودي قل : أنا يوم المعاد

تلك هي رسالة الشاعر المبدع ، فهو ليس ديوان الامة فحسب بل ان شفافيته ترتفع به الى مستوى النبوة ليستشرف بامانة افاق المستقبل ، فلقد « ضجت المعارك الحمراء » ودخلت الامة العربية كلها مرحلة التحدي الرهيب فاما المقاومة او قبول الاحتلال والذل .

عهد المقاومة :

لم تطل فرحة الجماهير والشعراء بالوحدة ، فقد اغتالتها الايدي الاثيمة في ذلك اليوم الاسود من ايلول عام ١٩٦١ م وجاءت ثورة شعبنا العربي في اليمن ١٩٦٢ م بمثابة الرد على الانفصال والانفصاليين حيث كانت الوحدة نداء الثورة الاول وتعبيرها عن الوفاء . للقائد العربي جمال عبد الناصر . وهبت مصر الناصرية لمساعدة ثورة اليمن على مواجهة المؤامرات التي يدبرها بقايا الحكم الامامي المقبور والرجعية العربية . وفي ابريل ١٩٦٤ م زحفت جماهير الشعب اليمني من كافة القرى والارياف الى صنعاء لتحتضن عبد الناصر في اول زيارة له لليمن . كان الشعراء حداة المسيرة الهادرة الجذلى بلقاء الثورتين العربيتين .

وقد ترجم هذه المشاعر الفياضة الشاعر محمد الشرفي في قصيدته (فرحة اللقاء) (الشرفي : ١٩٧١ : ٩٦) .

أيا مصريا موطن الثائرين ... ومهبط احلامنا الوادعة
نلاقي بك اليوم في ناصر ... على اليمن الثورة الرائعة
فها نحن نرفع اسمى لواء ... من النصر فوق القوى الطامعة
ونقفز في خاطر الحاقدين ... عواصف امادها واسعة
تقود الزحوف الى غاية ... تلوح عليها المنى الضائعة
وتشرق من خلفها وحدة ... تسير الدنى حولها طائعة
تمد المواكب عبر الطريق ... وتفرشها قبلا ضارعة

ولكن شمس الوحدة لم تشرق كما اراد لها الشاعر . ورغم الانتعاش الذي احدثته ثورة اليمن ثم انتفاضة رمضان بالعراق وحركة آذار بسوريا ، الا ان اقتتال القوى الثورية وتمزقها على امتداد الساحة العربية كان النذير

بدخول العرب مرحلة النكسات حيث كانوا على موعد مع فجيعة حزيران ١٩٦٧ م ، وسقوط سيناء وغزة والجولان والضفة الغربية في قبضة العدو الصهيوني .

وتحت وطأة الاحتلال تبرز رسالة الشاعر التي تتلخص في كلمة واحدة « المقاومة » وفي ليل الهزيمة الدامس اتجهت انظار الشعراء وقلوبهم الى رمز الاباء والتضحية الى الفدائيين الذين مثلوا ضمير الامة ، وكانوا ردها الصارخ بالصمود والمقاومة . ولعل ديوان « الى الفدائيين الفلسطينيين » هو اخر العنقود في ما نشره المرحوم الشاعر لطفي جعفر امان . وقد قدم قصيدته « الفارس المدحور » بهذه الكلمات « في هذه القصيدة اتخذت من الفارس المدحور رمزا للرجعية المستحذية ، ومن موت الفارس العجوز تصعيدا للنضال الفدائي في فلسطين ، وانفتاحا لاستعادة الارض المغتصبة » (امان : ١٩٦٩ م ٢٩)

الفارس المدحور . . مات

الفارس المدحور

فهبت الحياة

تهز في قبائنا

نائم الضياء

تشق جبهة الجفاف والرواء

تجيش في البروق . . والرعود . . والانواء

تحمل من يافا لنا

زيتونة صغيرة

زيتونة من زرعنا

ريانة نضرة

تضيء في بسمتها النقية المثيرة
آمالنا الكبيرة
كرومنا . . . ديارنا
تاريخنا الجديد
أطفالنا
كل شعاع فجرنا الوليد
كفاحنا الموتور في ثورتنا الملتهبة
اصرارنا
لنستعيد ارضنا المغتصبة
فأندفع النضال
والعناد .
والفداء . .
من خندق لخندق يهدر شلال دماء
فلم تعد آمالنا
تحيا على الهبات
ولم تعد خيامنا
فـي عرضنا عاهات
ولم يعد صراعنا
افيوننا . . والقات
فالفارس المدحور مات
وانتفضت رياحنا
في رئة الحياة

رحم الله الشاعر لطفي جعفر امـان ، فلو أمتد بـه زمنه لادرك ان

الفارس المدحور لم يمت بل استعاد صباه وحيويته وانضمت اليه « فرسان مدحورة » اخرى تعاونه في قتل نبوغ الشعب واشاعة اجواء التخاذل والاستسلام .

على ان الواقع المأساوي الذي تعيشه الامة العربية اليوم « وعودة الروح » للفارس المدحور لا تقلل من القيمة التاريخية لهذه الصيغة المتفائلة لشاعرنا الراحل .

ولعل خير مسك للختام في هذا العقد النابض بالاصالة والصدق هي تلك القصيدة الرائعة الذائعة : (« أبو تمام وعروبة اليوم » تلك التي « هزت مهرجان الموصل واثبتت للشعراء العرب والنقاد ان في اليمن شعرا ، وشعرا رائعا في هذا المستوى الجديد القديم . . . الجديد الذي لا يتنكر شكله القديم للمضمون الجديد ، ولا يرفض الجديد ارتداء الشكل القديم .

لقد وقف الشاعر عبد الله البردوني في مهرجان الموسم مغنيا . . منشدا . . . باكيا وهو يخاطب أبا تمام ويبثه حديث الشجون حول : « عروبة اليوم » في هذه المفاتحة الصميمة الموجعة : « البردوني : ١٩٧٧ : ٧١ ـ ٧٢) .

ماذا ترى يا (أبا تمام) هل كذبت
أحسابنا ؟ أو تناسى عرقه الذهب
عروبة اليوم أخرى لا ينم على
وجودها اسم ولا لون .. ولا لقب
تسعون ألفا لعمورية اتقدوا
وللمنجم قالوا : اننا الشهب

قيل : انتظار قطاف الكرم ما أنتظروا
نضج العناقيد .. لكن قبلها التهبوا
واليوم تسعون مليونا وما بلغوا
نضجا ... وقد عصر الزيتون والعنب
تنسى الرؤوس العوالي نار نخوتها
اذا امتطاها الى اسياده الذنب

انها المفارقة الجارحة تسعون الفا في « عمورية ابو تمام » يتحدون المنجم والتنجيم ويلتهبون قبل نضج العناقيد ، وتسعون مليونا في : « عروبة اليوم » لم يبلغوا رشدا ولا نضجا وقد عصر العدو زيتون فلسطين وعنبها ولكن الشاعر لا يقف عند اعلان المفارقة بل انه يسمو فوق الواقع ويؤشر اسباب النكبة القومية تلك « الرؤوس » التي سمحت بأن يمتطيها « الاذناب » ويمضي الشاعر في قصيدته « الحزيرانية » في تشخيص عوامل النكسة وتعرية المسؤولين عن المأساة : « البردوني ، ١٩٧٧ : ٧١)

حكامنا ان تصدوا للحمى فتحوا
وان تصدى له المستعمر انسحبوا
هم يفرشون لجيش الغزو اعينهم
ويدعون وثوبا قبل ان يثبوا
الحاكمون « وواشنطن » حكومتهم
اللامعون .. وما شعوا ولا غربوا
القاتلون نبوغ الشعب ترضية
للمعتدين وما اجدتهم القرب

وفي غمرة تشخيصه لمأساة الوطن الكبير لا ينسى « معري اليمن »

معاناة وطنه الصغير فيخاطب أبا تمام بهذه الابيات التي تقطع نياط القلوب : (البردوني ١٩٧٧ ـ ٧٢ ـ ٧٣)

(حبيب) وافيت من صنعاء يحملني
نسر وخلف ضلوعي يلهث العرب

ماذا احدث عن صنعاء يا أبتي ؟
مليحة عاشقاها : السل والجرب

ماتت بصندوق « وضاح » بلا ثمن
ولم يمت في حشاها العشق والطرب

كانت تراقب فجر البعث .. فانبعثت
في الحلم ... ثم ارتمت تغفو وترتقب

لكنها رغم بخل الغيث ما برحت
حبلى وفي بطنها « قحطان » او كرب

وفي أسى مقلتيها يغتلي « يمن »
ثان كحلم الصبا .. ينأى ويقترب

انها ثقة الشاعر بشعبه ، فاليمن حبلى رغم بخل الغيث ، ولا بد ان تلد البطل الذي يحمل ارهاصات الخلاص . ولكن البردوني لا يعرف غير « وطنية العروبة » فهو يستمد ثقته بشعب اليمن من ايمانه وتفاؤله بجماهير امته العربية التي تحمل معاناتها الصامتة اعظم البشائر . أليس احتجاب السماء بشير بالغيث العميم ؟ (البردوني ، ١٩٧٧ : ٧٥ ـ ٧٦) .

« حبيب » ما زال في عينيك أسئلة
تبدو .. وتنسى حكاياها فتنتقب

وما تزال بحلقي الف مبكية
من رهبة البوح تستحي وتضطرب
يكفيك ان عدانا اهدروا دمنا
ونحن من دمنا نحسو ونحتلب
سحائب الغزو تشوينا وتحجبنا
يوما ستحبل من ارعادنا السحب
ألا· ترى يا « أبا تمام » بارقنا
(ان السماء ترجى حين تحتجب)

علي أحمد باكثير الرواية التاريخية
دراسة مقدمة للمهرجان الاول
لتكريم علي باكثير « سيئون »

د . عبد العزيز المقالح

يتضمن الحديث عن المسرح التاريخي عند باكثير اشارات الى موضوع الكاتب المسرحي والتاريخ . ويمكن لهذا الحديث وهو عن الرواية التاريخية عند باكثير أن يتضمن اشارات اخرى الى الروائي والتاريخ ، وقد ظهرت كتب بـاكملها تتحـدث عن « الروايـة التاريخيـة » وأشكالهـا المتعـددة ، فالتاريخ أو الحدث التاريخي كما هو وثيقة عن زمن بذاته يفيد منها المؤرخ لغايات تاريخية معينة فان مادته تشكل نصا أدبيا يمكن للاديب ان يستخدمه لغاية قد لا تكون لها أية علاقة بالتاريخ . وقد أغنى الآداب والفنون بما لا يمكن حصره من المواقف والشخصيات الخالدة .

واذا القينا نظرة سريعة عـلى الكتابـات التي صدرت عن مـوضوع « الرواية والتاريخ » فاننا لن نعثر على تصور معين يحدد للكاتب او يرسم له الى أي مـدى يحق له أن يقتحم عـالم التاريـخ وكيف يتعامـل مـع أهم شخصياته أو مع أقلها شـأناً، ولعل ما يلفت الانتباه في هذه الكتابات هو التركيز على الجوانب الفنية أو الجمالية في النص المستوحى من التاريخ والى

اي حد توفق الكاتب أو أخفق في خلق عمل ابداعي يستمد مادته الاساسية من حدث تاريخي قديم أو حديث ، وهل جاء العمل تلقائيا حارا أم متكلفاً فاتراً ، ومن المتفق عليه ـ والامر كذلك ـ ان يعود ضعف العمل الفني المستوحى من التاريخ الى الكاتب نفسه والى اسلوبه وعمق تعبيره لا الى الحدث وابعاده التاريخية .

ويثير الحديث عن الرواية التاريخية بخاصة والتاريخ والادب بعامة مجموعة من الملاحظات منها حاجة الكاتب روائيا كان أو مسرحيا أو شاعرا الى أن يتخفى في حديثه عن بعض الاوضاع الراهنة وراء أقنعة تاريخية تجعل حديثه عن تلك الاوضاع بطريقة غير مباشرة ، وفي ذلك نوع من المعادل التاريخي أو الزمني اذا صح التعبير ، فالكاتب من هذا النوع يستطيع أن يقول ما لا يستطيع أن يقوله مباشرة على لسان شخوص من التاريخ . وكأنه بمعنى من المعاني يتحدث عن الوضع القائم بصيغة الماضي وعن الانسان الحاضر بصفة الانسان الغائب . كما أن الكاتب قد يكون راغبا في ربط الماضي بالحاضر واستنطاق بعض المواقف دون حاجة الى التخفي أو الاسقاط . وقد يكون القصد من كتابة الرواية التاريخية عرض الوقائع والاحداث ذاتها بصيغة روائية كما فعل « جورجي زيدان » في رواياته المسماة (روايات تاريخ الاسلام) فهي تروي الوقائع التاريخية كما حدثت أو قريبا مما حدث وشخصياتها الرئيسية حقيقية بينما الشخصيات الثانوية من صنع الكاتب نفسه .

التاريخ والعمل الروائي

وهنا ينهض سؤال : أين تقف الأعمال الروائية التاريخية للكاتب علي أحمد باكثير من هذه الملاحظات ؟ وحتى تكون الاجابة موضوعية ومنصفة أو قريبة من الموضوعية والانصاف لا بد من الاعتراف بأن كل رواية تختلف عن الاخرى في القرب أو البعد عن جوهر التاريخ مع انها كلها تعتمد على الوقائع التاريخية ، وهي تحاول من خلال البناء الفني بعث حقبة تاريخية غامضة أو معروفة تصل في كثير من الاحيان الى درجة من الامانة والدقة لا يتوخاها المؤرخون أنفسهم كما في رواية « وإسلاماه » وفي بعضها الاخر يتوسل الكاتب بالتاريخ أو يستعين به لاجراء عملية اسقاط على الحاضر لا بغرض نقده وحسب وانما هي تعبير عن موقف نفسي وعقلي وثقافي ووليدة مفاهيم وجدت في الحياة المعاصرة فكان لا بد من التعبير عنها في سياق اجتماعي تاريخي معادل أو مشابه ، والا فما القيمة التاريخية التي يتوخاها كاتب ليس مؤرخا ، كاتب محسوب على التيار الاسلامي المستنير ، ما القيمة التاريخية التي يتوخاها من وراء الحديث عن القرامطة ان لم يكن يهدف الى اسقاط ذلك الحدث على واقعنا المعاصر الحافل بالتيارات المختلفة الهادفة ـ كما تدعي ـ الى تحرير الانسان من الاستغلال والعبودية .

وهناك رواية أخرى هي « سلامة القس » لا تعمد الى بعث التاريخ واحياء شخصياته الدينية أو الفنية بقدر ما تسعى الى ابراز قيمة اخرى واسقاطها على العصر تلك هي قيمة التسامح ازاء الحب والفن كما كان في صدر الاسلام وقبل أن يجف مداد التعاليم التي خرجت بانسان الصحراء الى ارحب ساحات الكون القديم بفضل الاسلام المتسامح الذي يسمو بغرائز الانسان ولا يقتلها أو يلغيها ، والذي لا يضيق بالحب والفن وانما

يضيق كل الضيق بالحقد والكراهية وبكل انواع الشرور والبغضاء .

وتبد رواية « الثائر الاحمر » نقطة ارتكاز مثلى لدراسة الرواية التاريخية عند باكثير ، فهي رواية بالغة الاهمية لاسباب كثيرة ، فقد كُتِبَتْ ونُشِرت في فترة اعقبت التغيرات السياسية في العالم بعد الحرب العالمية الثانية ، وما ترتب على تلك التغيرات من أوضاع اقتصادية وتناقضات وتدهور في العلاقات الاجتماعية على مستوى العالم وفي كل قطر على حدة . وكانت الرياح تهب على مصر أكثر الاقطار العربية تطورا في محاولة لاقتلاعها من الجذور ، وقد صاحبت تلك الفترة نزعة واعية من التحليل تركت أثرها على الكتابات الصحفية والادبية وعلى مناقشات البرلمان وظهرت تعابير جديدة «مثل « تحديد الملكية » و « القضاء على الاقطاع » و « تأميم وسائل الانتاج العامة » وترددت الفاظ جديدة مثل « الاشتراكية » و « الشيوعية » و « الرأسمالية » .

وفي هذه الفترة نفسها هب المفكرون الاسلاميون المستنيرون يجلون وجه الاسلام الحقيقي ويزيلون عن صفحته الذهبية ما علق بها من صدأ قرون الانحطاط والانقطاع ويبينون أنه ما كان الاسلام ولن يكون في يوم من الايام في موقف التضاد مع ظاهرة العدل الاجتماعي .

وفي ظروف هذا الواقع وفي زحمة الاشكاليات الاجتماعية والاقتصادية ظهر كتاب « العدالة الاجتماعية في الاسلام » للاستاذ سيد قطب وظهر كتاب « الاسلام والمناهج الاشتراكية » للشيخ محمد الغزالي ، وفي سياقهما ظهرت رواية (الثائر الاحمر حمدان قرمط ـ قصة الصراع بين الرأسمالية والشيوعية في الكوفة) للكاتب المسرحي الروائي علي أحمد باكثير ، وقد عاد باكثير في روايته ، كما عاد غيره من المحافظين المستنيرين الى استلهام

الجذور خوفاً من الاغتراب والوقوع في المحذور وقد وجد نفسه وجها لوجه مع نماذج واشكال عديدة للحركات والتيارات الاسلامية التي تعبر - صواباً أو خطأ - عن أشواق الانسان الى العدل الاجتماعي والتحرر من العبودية والاستغلال ، وقرأ عن حركات اجتماعية خاضت معارك دامية في سبيل اقامة نموذج خاص للملكية العامة مما في الدين الحنيف من الحض على تحقيق المساواة والعدل بين المسلمين حيث لا يصح ان يبيت مسلم شبعان وجاره جائع فشريعة الاسلام لم تتحقق من خلال وحدة الناس في صلاة الجماعة انما في وحدتهم ازاء كل الاخطار وفي مقدمة هذه الاخطار . خطر الحاجة والافتقار الى الغذاء والكساء . وكان على المفكرين والمبدعين الاسلاميين ان يتجهوا هذا الاتجاه حتى لا يفهم اعداء الاسلام أن الاسلام صورة من المسيحية بعد ذبولها وبعد ان تحولت الى اداة قمع في يد الكنيسة ورجال الاقطاع ، انه الدين الحق للعدل والمساواة والاشتراكية النابعة من قيم المحبة والتعاطف الروحي .

ومعجزة هذا الدين في وقفته الثابتة وصموده الشامخ في مواجهة انواع التغريب وفي تحديه الدائم لاهواء الطواغيت وفي انتصاره للمستضعفين وهم الغالبية الساحقة من سكان الارض .

وقد تناولت بكثير من القلق ، وبكثير من التهيب ، ومنذ ازبعة عشر عاماً ، أي بعد وفاة باكثير مباشرة ؛ تناولت بالتقديم رواية « الثائر الأحمر » وحاولت ان ألفت انتباه ابناء جيلي من الشباب الى قراءة تلك الرواية والاهتمام بما في تاريخهم من كنوز بدلاً من ان يديروا ظهورهم للماضي في جفاء منقطع النظير . وربما أكون قد نجحت بعض الشيء في شد الانتباه نحو تلك الرواية الا انني فوجئت بمواقف غريبة لاشخاص يدعون الحرص على التراث ثم يحاولون سد الطريق الوحيد المفتوح اليه ،

ويرفضون اعادة صياغته وتشكيله وتفسيره وتحويله الى اعمال ابداعية تجدد ارتباط الناس به ، ويمثل هؤلاء الاشخاص انماطا من التفكير المتأرجح بين التزمت المغلق والمعارضة الشكلية وما نشرته مجلة الارشاد اليمنية في عددها الاول السنة السادسة صادر عن الموقف الاول ، المتزمت الذي يصاب بالاغماء كلما قرأ مصطلحا حديثا أو تعبيراً شعرياً يخرج عن المألوف البلاغي .

وقد اتهمني ركام الزيف في المجلة عندما تساءل قائلا (والاغرب فيما كتب عن الاديب الاسلامي باكثير انه استوحى ثورته ضد الرأسمالية من تاريخنا الحافل ولا ندري من نحن حتى يكون تاريخنا حافلا بالصراع ضد الرأسمالية ؟!) ونسي ركام الزيف أو تناسى ان عنوان رواية باكثير الاديب الاسلامي هو بالحرف الواحد هكذا (الثائر الاحمر ، حمدان قرمط ـ قصة الصراع بين الرأسمالية والشيوعية في الكوفة) فمتى نقرأ ؟ ومتى نتعلم اولا حتى نعرف كيف نقرأ ؟!!! .

أما ما نشره الملحق الاسبوعي لصحيفة الرياض في العدد (٥٦٢٦) في مواقف نقدية تحت عنوان باكثير من زاوية يمنية ، بقلم الدكتور منصور الحازمي فقد صدر عن الموقف الاخر ، موقف المعارضة الشكلية التي تفرضها اعتبارات المكان وزمان المكان ، وقد جعلته تلك الاعتبارات يلتقي الى حد ما مع موقف مجلة الارشاد في بعض الاحكام ومنها اتهام الكاتب بأنه اكتفى بقراءة الكتاب من عنوانه وانه نظر الى الرواية من زاوية (أيديولوجية) أو متحيزة ولم يدرسها مقارنة بآثار الكاتب الاخرى : وفيما عدا هذه الاحكام القابلة ايضاً للحوار فانني لا أرى اي خلاف فيما ذهب اليه الدكتور الحازمي وما ذهبت اليه من قبل وسوف اورد فيما يلي قراءتي للرواية من خلال قراءته المبتسرة والمجتزئة لها .

مع قراءته هو للرواية دون أن أعمد الى الابتسار والاجتزاء كما فعل « اننا لا نتذكر باكثير بشعره التقليدي آلذي نظمه في حضر موت ولا بمسرحيته البدائية التي ألفها في الحجاز بل نتذكره باعماله الكبيرة الناضجة التي ألفها في مصر سواء في مجال القصة والرواية ، أم في مجال المسرحية والملحمة ، والناحية الثانية والاهم حقا - التي نريد ان نتوقف عندها هنا وقفة أطول هي حماسة الدكتور المقالح لرواية باكثير التاريخية « الثائر الاحمر » ونظرته اليها من زاوية « ايديولوجية » بحتة للوصول الى بعض النتائج السريعة دون محاولة دراسة النص أو مقارنته بآثار الكاتب الاخرى . ونحن لا نستطيع أن نقرأ الكتاب الابداعي من عنوانه . كما فعل المقالح ، اذ يقول « حقا اننا لنستطيع ان نقرأ الرواية كلها من هذا العنوان » « الثائر الاحمر حمدان قرمط - قصة الصراع بين الرأسمالية والشيوعية في الكوفة . . » ص ١٠٠ « هل حقا قرأت الرواية من عنوانها او أنني اكتفيت منها بالعنوان ؟! » .

« لقد أكد المقالح بأنه لن يهتم بالبناء الفني لرواية الثائر الاحمر » ولن يهتم كذلك بحقيقتها التاريخية ، بل ان همه سينصب في الدرجة الاولى على صورة البطل ، كما يسمه الكاتب ، ومدى تعاطف باكثير مع هذا البطل ، ومع ما يؤمن به من حب الثورة، ومن طموح الى تغيير اوضاع الفلاحين (ص ١٠١) ويذكر انه قد اختار للبطل ست صور (تبين الى حد كبير تعاطف الكاتب علي أحمد باكثير مع بطل روايته الثائر الاحمر ، رغم نفور الكاتب الواضح والشديد من الحركة الباطنية كمبدأ أساسي يستغل تمرد الفقراء والمضطهدين لتحقيق اهداف سياسية بحتة (ص ١٠١) .

(أما الصور الست التي اختارها المقالح لبطل باكثير فهي باختصار شديد كما يلي : مع ملاحظة أن عناوينها من وضع الكاتب :

١ ـ « حمدان الفلاح » : وفيها نرى حمدان قرمط الاجير في قرية من قرى الكوفة يمسك بخطام ثوره يحرث الارض يشعر بالاسى لان كدحه سيذهب معظمه لصاحب الارض ابن الـ حطيم الشاب العاطل المشغول بملذاته وملاهيه .

٢ ـ « حمدان العيار » : تزداد الثورة في نفس حمدان نتيجة ذلك الواقع الطبقي المؤلم فينضم الى عصابة من العيارين يحاربون الاغنياء بسرقة اموالهم انتقاماً للفقراء .

٣ ـ « حمدان الباحث عن نظرية » وفيها نرى البطل الفلاح يبحث عن نظرية تبرر « ثورته وحقده على الاغنياء » فيجدها عند ابن عبدان القرمطي الفقيه الذي يرى وجوب انصاف الفقراء من العمال والفلاحين والصناع ووجوب الثورة على الامام برفع الظلم والمفاسد عنهم .

٤ ـ « حمدان الثائر » : ونرى في هذه الصورة حمدان قرمط وقد رفع راية العصيان على الخليفة وتبعه الكثيرون من فقراء الكوفة . وقد اتخذ (مهيما باذ) دار هجرته (عاصمة الاشتراكية الاولى) التي لا يستأثر فيها احد دون احد بأرض أو مال فلا غني بينهم ولا فقير .

٥ ـ حمدان الاشتراكي : وفيها يقسم الارض بين الفلاحين ليزرعوها ويستثمروها لانفسهم ، وقد اوجب عليهم نظام (الالفة) وهو ان يؤدوا ما يفضل عن حاجتهم من الثمار والحبوب ثم يوجب عليهم في العام التالي التخلي عن الارض للدولة يزرعونها ويوزع محصولها عليهم حسب حاجتهم .

٦ ـ حمدان العيار : عود على بدء ـ وفي هذه الصورة نرى انهيار نظام حمدان

قـرمط نتيجة الفـراغ النظري لـلاتباع والتشتت الفكـري للثـوار ، بالاضافة الى خيانة معظم القادة والاداريين الذين اشتغلوا عن الثورة بالاثراء الفاحش وغير المشروع والمخالف للمبـادىء التي ينادي بهـا الثائر الاحمر ، ورجع حمدان الى عصابات العيارين مرة ثانية .

هذه اذن هي الصور الست التي اختارها الاستاذ المقالح لبطل الرواية (ليثبت اشتراكيته) أولا وليثبت ثانيا تعاطف باكثير مع هذه التجربة المبكرة التي حالت الظروف دون نجاحها وتطويرها . واقول ان هذه الصور التي اجتزأها الكاتب من رواية باكثير هي صـور متميزة لا تعبـر عن الصورة الحقيقية الكاملة للبطل كما لا تعبر عن موقف باكثير منه أو من تجربته (يا لله وهـل قلت ان هذه الصـور الست قـد استقصت كـل الصـورة أو حتى بعضها ؟ !) ومن الخطأ أن نختصر حياة البطل في الرواية في عدة صور أو مـواقف متتابعـة مركـزين على جـانب واحـد فقط لنثبت أمـرا أو ننفيـه فالشخصية في الرواية ، كما هو الشـأن في الحياة العـادية ـ مجمـوعة من الاحاسيس والمشاعر والعلاقات الاسريـة والاجتماعيـة . وليست قضية مجردة . . وهذا ما فعله باكثير في روايته ، فهو لم يصور حمدان قضية معاشية او فكرية بحتة بل صوره مع مجموعة من الناس يرتبط بها اسريا واجتماعيا وفي عدة مواقف يحتدم فيها الصـراع بين الـواقع والمثـال ، بين المـاضي والحاضر ، بين القيم الاخـلاقية وبـين التحلل والفساد بـل بين الـدين والالحاد . وهذا ما لم تفلح صور المقالح في توضيحه . فلا مناص اذن من الرجوع الى الاصل .) .

هكذا قرأ الدكتور الحازمي ما كتبته عن رواية باكثير ، واذا كنت قد اجتزأت الرواية ـ كما يقول ـ الى ست صور فقد اجتزأ الست الصور الى ست فقرات صغيرة ، ولا اعتب على صنيعه هذا ولا احتج فهو يريد ان

يقدم خلاصة الصور لا كل الصور لكني عاتب عليه,وهو الباحث المتخصص ان يلومني لانني لم انقل الرواية كلها في الست الصور . . !!

وقد قلت وكررت القول انها ست صور منتزعة من الرواية لتصور بطل الرواية في بعض مواقفه ، وربما اكون ـ كما يريد لي الباحث ـ قد قصدت الى تثبيت « اشتراكية » البطل لكنني بذلك قد حاولت ان اخفف مما ذهب اليه باكثير الذي اراد ان يثبت « شيوعيته » فباكثير في العنوان وسأظل متمسكا بأهمية العنوان ـ يقول أن روايته تحكي قصة الصراع بين الرأسمالية والشيوعية في الكوفة ، ولا بد أن يكون القائد الذي يقود الصراع في وجه الرأسمالية في ذلك الحين شيوعيا انطلاقا من الفهم الموضوعي للعنوان ومن سياق احداث الرواية ذاتها ، وقد أكون اخترت للبطل صفة الاشتراكية ولو على حساب الموضوعية لكي لا أصيب الدكتور الحازمي وأمثاله بالفزع الأكبر أو الاحمر ،لان كلمة الاشتراكية اخف وطأة وأقل خطرا لا سيما ونصف الوطن العربي ـ على الاقل يتداول الكلمة صباح مساء ، وبعض الدول العربية والاسلامية تجعله مع الشعبية او الديمقراطية مقترنا باسمها كما هو الحال مع جمهورية السودان الاشتراكية الديموقراطية وجمهورية الصومال الاشتراكية . . الخ .

أما عن التحيز فقد اوضحت سلفا انني سوف اختار من الرواية صورا ولم أقل انها كل الرواية أو بعض الرواية ، وفيما يلي الصورة التي اختارها الدكتور الحازمي نفسه من كل الرواية لننظر هل استطاع أن يتخلص من التحيز ؛ وهل استطاع ان يقلل من اعجاب باكثير بالبطل ، بل لقد نال اعجاب الاستاذ الحازمي نفسه الذي يقول (لقد صور باكثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي أدت الى ظهور الحركة القرمطية من خلال تأثيرها على اسرة حمدان القروية الفقيرة فنظام الاقطاع قد حول صغار

الملاك المزارعين الى مجرد فعلة لا تكاد تكفي اجورهم القليلة لسد حاجتهم الضرورية وحينما يقوم صاحب الارض الاقطاعي ابن الحطيم باختطاف اخت حمدان - اذ يجتمع الفقر والعار وهذا ما يدفعه وابن عمه عبدان - خطيب الفتاة المختطفة - وقد يئسا من تحقق العدل الاجتماعي - الى الاعتقاد بوجوب محاربة سلطان المال مجرد افراد معينين من امثال ابن الحطيم او ابن الهيصم ، ومن هنا ينضمان الى جماعة « القداحيين » وهي حركة سرية تعمل متخفية وراء واجهة دينية اجتذبت اليها آلاف الفقراء الفلاحين والعمال والصناع . . اذ وعدتهم بالعدل والمساواة والملكية المشاعة لجميع الممتلكات ويصبح حمدان فيها بعد بطلا وقائداً لهذه الحركة وينجح في احتلال مدينة مهيما باذ شرقي الكوفة بأن يجعلها « دار هجرة » لاتباعه ، وسرعان ما تمتلىء مملكة القرامطة بالاتباع والمريدين الذين قدموا من المدن الصغيرة والقرى المجاورة ليستمتعوا بجنة « البروليتاريا » . وعلى أي حال فان الفساد لا يلبث ان يصيب ايضا هذا المجتمع (الثوري) في مدينة « مهيما باذ » فان المبادىء المعلنة في المساواة والعدل لا تطبق عملياً ، وسرعان ما يدرك مجتمع مهيما باذ هذه الحقيقة ، كما يصاب بالغثيان من التدهور الاخلاقي نتيجة لتفكك الاسرة ومحاربة الدين ويحن الناس الى حياتهم السابقة لا سيما وان البرنامج الاصلاحي لمعارضيهم في بغداد قد بدأ يؤتي أكله ، وهو برنامج يستمد قوته من المبادىء الاسلامية العادلة التي تنظم العلاقة بين الغني والفقير .

ولا يلبث حمدان نفسه ان يصاب بخيبة الامل ، فيفقد ايمانه بالتعاليم الجديدة ويدرك التأثير المدمر لدعوة « القداحيين » الاباحية على اسرته ، وفشل هذه الدعوة في تحقيق اصلاحات اجتماعية حقيقية . ولم يكن في واقع الامر يعتقد بعصمة الامام ولا بوجوده وسرعان ما يتنصل من هذه

الدعوة الضالة ويعود تائبا ونادما الى الله ويدعو مجتمع «مهيبا باذ» الى العودة الى الشريعة السمحة . لقد كان باكثير اذن متعاطفاً حقا مع حمدان بطل روايته ولكنه لم يكن متعاطفاً معه قائدا وداعية بل انسانا ضعيفا يصيبه الظلم فاجتهد في تلمس وسائل الاصلاح فيخطيء ويعترف بخطئه ان حمدان كما صوره الكاتب رجل امي طيب السريرة بسيط التفكير عميق الجذور بالارض والعقيدة والتقاليد يندفع الى التمرد نتيجة الظلم المتأصل في المجتمع الاقطاعي وليس العامل الاقتصادي وحده هو الذي يدفعه الى الثورة بل أن يأسه في فك اسار اخته بالطرق النظامية هو الذي يدفعه الى الانتقام بطريقته الخاصة فحماية الاعراض أهم من حماية البطون وهذا ما ينسجم مع التقاليد العربية الاصيلة ومع طبقة المجتمع الزراعي المحافظ لقد حرص باكثير على ابراز الصراع النفسي في شخصية حمدان حتى في قمة عنفوانه وقوته فقاطع الطريق الثوري المتمرد في خلاف دائم مع الفلاح الطيب الامين المتدين انه يرفض ان يحارب الخليفة وهو يعجب بوزيره المتدين ابي البقاء وبرامجه الاصلاحية ، وهو يرفض عصمة الامام ، ويشعر بالقلق ازاء اباحية التعاليم الجديدة .

ان حمدان قد خدع بالشعارات الاصلاحية لحركة « الفلاحين » فلا ضير عليه بعد تأكده من فشلها ان يعود الى الحق ، ولو أن عودته هذه لا تخلو من شعور بالاحباط والندم .

الرياض الاسبوعي : العدد ٥٦٢٦ ، ١٨ نوفمبر ١٩٨٣ م وبعد ما الجديد الذي اكتشفه او اضافه الدكتور الحازمي في قراءته الجديدة للرواية ؟

وما المعيب في حماستي للرواية اذا كان هو يشاركني نفس الحماسة ،

واعترف ان حماسته في بعض السطور تفوق كل ما اظهرته صوري المفترى عليها من حماسة ، وقد حاول الدكتور الحازمي في البداية ان ينفي تعاطف باكثير مع بطل روايته الثائر الاحمر المتحمس للعدل والثأر من الجبابرة الطغاة ثم عاد ليعترف بالتعاطف وليؤكد ان باكثير كان متعاطفا حقا مع حمدان قرمط ، لكنه التعاطف الانساني مع رجل ضعيف مظلوم ، أما أنا فاعتقد ان باكثير كان متعاطفاً معه ، تعاطفه مع انسان وثائر ، انسان يرى حقوقه تسلب ويرى اخته تختطف وثائر ضد تلك الاوضاع غير السوية ضد الظلم الذي يجعل من ابن الحطيم مالكاً غير منازع للارض والبشر . ولا بد ان اذكر الدكتور الحازمي بأن حمدان الذي تعاطف معه باكثير واعطاه صورة رجل فلاح امي طيب السريرة بسيط التفكير هو نفسه حمدان قرمط الذي حمل القرامطة اسمه عبر العصور فقد تلاشى اسم القداحيين وبقي اسم ذلك الفلاح الامي الطيب علامة على حركة تاريخية عانت من الظلم كما عانى صاحبها وعندما جاء روائي عربي في منتصف القرن العشرين ليلقي ضوءاً على هذه الحركة من خلال عمل فني كان لا بد ان يكون جهد المبدع اكثر واوضح من جهد المؤرخ .

وكان لا بد ان يثور من الاشكالات حول ما قد يكتب عن هذا العمل اضعاف ما يثار حول هذا العمل الفني نفسه ، وان يراه كل دارس من زاوية خاصة وتلك هي ميزة كل عمل ابداعي جيد وجاد .

قراءة قديمة في رواية تاريخية

في نوفمبر عام ١٩٧٠ ، وفي الذكرى الاولى لرحيل باكثير عن هذا العالم الفاني ، حاولت ان أكتب شيئا ما في الذكرى ، قصيدة ، دراسة ، وكانت مكتبتي الصغيرة عامرة بما جمعته خلال عام الوفاة الاول من كتبه الكثيرة ، وكنت قد قرأت معظم ما جمعته منها وتوقفت عند بعضها طويلا وكانت أطول وقفاتي أمام رواية (الثائر الاحمر ، حمدان قرمط ، قصة الصراع بين الرأسمالية والشيوعية في الكوفة) عنوان الرواية طويل ، انه أطول عنوان لرواية ، وكما يوجز العنوان الموضوع فانه يجعل القارىء يتساءل : أية رأسمالية وأية شيوعية في كوفة القرن الثالث الهجري ؟ وقد يقوده التساؤل كما حدث معي - الى متابعة احداث الرواية باهتمام بحثاً عن الاجابة بين الصفحات أو بين السطور ، واذا لم يعثر على الاجابة الشافية - كما حدث معي ايضا - فانه لا بد ان يخرج من ذلك العمل الروائي التاريخي بادراك حقيقة ما يقال من أن الماضي هو الزمن الوحيد القابل للتذكر، ليس ذلك وحسب بل والقابل للتشابه . . اقول للتشابه لا للتكرار فالتاريخ لا يكرر نفسه أبدا ، لكن بعض فصوله قد تتشابه ، وهو ما أعتقد انه قد حدث في زمن الرواية وزمن قراءتها، الجو العام للرواية هو جو الثورة في منطقة الكوفة بما يشيعه من امل وما يبشر به من انعتاق بالنسبة للمستضعفين ورقيق الارض

لكن الـرياح لا تجـري دائما وفي كـل العصـور بمـا تشتهي السفن فقـد تفسخت الثـورة وتحولت من أمـل الى يـأس ومن انعتـاق الى احبـاط ، والصـراع المحتدم العنيف الـذي بـدأ في مـطلع الـروايـة بـين الفقـراء والعبيـد من جهة وبـين الاغنياء والقـوى المسيطرة من جهـة اخرى قـد تحول في نهاية الرواية الى انهيار واستسلام . . .

أعيد القول هنا ، انني قرأت الـرواية في نـوفمبر عـام ١٩٧٠ م . وحاولت الكتابة عنها في تلك الظروف وكانت الاوضاع العربيـة يومئـذ بعـد شهرين الا قليـلا من وفاة الـرئيس جمال عبـد الناصر تـوحي بـأن النكسـة القوميـة لن تقف عند حـد ، وان الاحتراب الـلامعقـول بـين الحكـام العرب سـوف يستمر ويتصـاعد ، وان انحسـار افكـار الثـورة العـربية الـذي بدأ غـداة النكسة سـوف يضع الثـوار العرب الحـالمين بوحدة الـوطن العربي الكبـير في موقف مشـابه لاتبـاع حمدان في روايـة باكثير فـاحوالهم قبـل النكسة كـانت تشبه ـ في التشـرذم والاختلافـات البيزنطيـة ـ حال حمـدان واتباعـه في مرحلة الاستعـداد لبناء مـا أسموه « العدل الشامل » ولأن باكثـير قد كـان من وقت مبكر يقـرأ الحاضر في الماضي فلم يغفل في زوايته اليهود ودور اسرائيل ، وفي الـرواية حـوار غـريب ومثـير يـدور بـين حمـدان قـرمط ورسـول الاغنيـاء اليهـود في البصـرة ، وقد اقتبست طـرفا منـه في الصور التي التقـطتها من الـرواية والتي ضمنتهـا دراسـة كتبتهـا يـومئـذ ونشـرتهـا بعـد فتـرة في مجلة « الحكمة » واعدت نشـرها في كتـابي (قراءة من ادب اليمن المعـاصر) وسببت لي وما تزال تسبب بعض المتاعب الناتجـة عن سوء الفهم حينـا وعن محاولة التشهير المتعمد احيانا أخرى .

ومـا أحوج القـارىء بعامـة والباحث بخـاصة ان يقف بـين حـين

وآخر لكي يراجع اسلوب فهمه لما يقرأ ولا سيما حين يكـون ما يقـرأ عملا أدبيا فنياً ، ولعل مـا ظهر حتى الان من اشكـالات حول روايـة باكثير (الثـائر الاحمـر) تدل عـلى عجز في فهم الكاتب وعلى النـظر الى عمله الادبي من خـلال رؤية محـددة مبـاشـرة ، وان اسـوأ مـا يمكن أن يـوصف به عمـل أدبي انه مبـاشر وانه « ذو بعـد واحد » شـأن المقـالـة والدراسة ، لا تسكنه سوى فكرة واحدة مبـاشرة ، واكبـر جنايـة يمكن أن تقع على أعمال باكثير الروائيـة أن تتم قراءتهـا من منظور تـاريخي كامـل ، ومن خـلال دلالة محـددة ساذجـة تتطابق مـع واقع محـدد ، في حين أن العمل الادبي العظيم هو ذلك العمل الذي يقـوم على الرمز لا التعبـير والذي تتعدد من حوله التفاسير وتلتقي وتختلف عليـه وجهات النـظر . وقـد بدأت منـذ أربعة عشر عاماً ـ قـراءة رواية (الثـائـر الاحمـر) من هـذا المنطلق ، وحـاولت أن لا يـأخـذني الانفعـال بعيـدا الى نـوع من الشطط فكانت هذه الصور التي ضـاق بها بعض المتـزمتين والمتحـذلقين وكأني صاحبها أو كاتبها ، وها أنذا أعيد وضعهـا أمام القـارىء في هذا السياق من القراءات الجديدة لاعمال باكثير الاخرى :

(١)
حمدان الفلاح

من هـو الثـائـر الاحمـر ؟ كيف نشـأ ؟ واين عـاش ؟ ومـا هي قضيتـه ؟ في الصـورة الاولى تجيب روايـة بـاكثـير عـلى هـذه الاسئلة ، وتقدم لنا الثائر حمدان القرمطي على هذا النحو :

« في ضـاحية من ضـواحي قريـة الدور ، احـدى القرى المنتشـرة

حول الكوفة مما يلي البطايح ، وعند الظهيرة من أحد أيام الصيف القائظة ، طفق حمدان يمسح بأطراف أصابعه العرق المتصبب من جبينه وهو يعمل في حقله ، واحدى رجليه على سنة المحراث والأخرى يرفعها عن الأرض حيناً ، ويلمس بها الأرض حيناً آخر، وقد أمسك بخطام الثور الذي يسير أمامه يجر خطوه جراً ثقيلا ، والسوط في يمينه ينكش به مترفقا على ظهر صاحبه الاعجم كلما توقف عن المسير أو تثاقل فيه . وكأن لسان حالة يقول : « أيها الثور الحبيب كلانا محكوم عليه أن يعيش في هذا الشقاء ، وهذا السوط في يميني ويعز علي أن يقع على ظهرك فلا تحوجني الى استعماله » .

ويبلغ حمدان نهاية الشوط فيدور الثور ويكر بالمحراث راجعاً فيتنفس الصعداء اذ تقع عينه على تلك الاخاديد التي خطها المحراث على وجه الارض صفوفاً مستقيمة مستوية كأنها سطور قلم صناع ، وترتاح نفسه لرؤية الصنع الذي قام به وجه يومه ذاك ، غداً يبذر فيها الحب ويرسل اليها الماء في فروع الرافد الغربي فترتوي تلك الارض العطشى ، ثم لا تلبث الا أياما حتى يكسوها النبت فتصبح جنة خضراء تسر الناظرين .

ولكنه ما لبث أن شعر بالاسى يعصر قلبه فترتعش له أوصاله حين يثب به خاطره الى يوم الحصاد ، فيتذكر ان ليس له من هذا العمل الدائب والجهد الناصب الذي يقوم به وأهل بيته طوال يومهم في لفح الهجير وتحت الشمس المحرقة ، وزلفاً من ليلهم متعرضين للبرد القارس في ذلك الجو القاري ، الا نصيب ضئيل لا يكاد يقوم بأودهم من خشن الطعام وخشن الملابس ، ولا يضمنون به أن يمر عامهم ذاك دون أن يرجعوا يوما لا يجدون فيه حتى ذلك العيش

الكفاف ، حين يلم بأحدهم ما يقعده عن العمل من مرض أو شغله .

على حين يذهب معظم ما ينتجه عملهم الى شاب قاعد عن العمل مشغول بملذاته وملاهيه في قصوره المتعددة في الكوفة وجواسقه المنتشرة في ضواحيها لا يدري كيف ينفق ماله من كثرته أو كيف ينفق وقته من فراغه ولا يحول عليه حول حتى ، يضيف الى أملاكه الواسعة أملاكا جديدة يعمل فيها عشرات من أمثال حمدان وأهله ليسدوا جوعهم ويضاعفوا ثروته اضعافاً مضاعفة ، ذلك هو سيدهم إبن الحطيم، مالك الارض التي يعمل فيها حمدان والارض الواسعة حولها التي تمتد من جهاتها اميالا حتى لا يكاد العاملون فيها يعرف بعضهم بعضا .

ان هذا الشاب الذي قضت الايام على حمدان أن يعمل في أرضه فصار بذلك سيده ، والذي لم ير حمدان له وجهاً الى يومه ذاك ، ولا يعرف عنه الا اسمه المشهور وسيرته الخليعة التي يتحدث بها أهل تلك المنطقة ويروونها فيما بينهم كما يروون أساطير الاقدمين ـ فهو انسان مثل حمدان قد خرج الى هذه الدنيا من صلب ادمي مثل والده وترائب انثى كأمه ، لا يمتاز عنه بشيء الا أن أباه « الحسن الحطيم » قد ترك له ضياعا واسعة في تلك الجهة فكفاه بها مشقة العمل وملكه رقاب عبيد الله المحتاجين الى العمل فيها ليقيموا به أصلابهم » .

« انه ليسائل نفسه احيانا : أحر هو أم رقيق ؟ » يدفع ثمنا له فهو كذلك حر في الناس ولكن ابن الحطيم يملك ناصيته ويتحكم في رزقه فجعله بذلك كأنه من رقيقه ، بل عسى أن يكون الرقيق أحسن

حالاً منه وأطيب بالاً أن يشعر أن مولاه لا بد أن يعني بشأنه لئلا يخسر قيمته حين يصيبه مكروه وليس الاجير الحر فما أكثر ما تخدع الاسماء » .(1)

(٢)
حمدان العيار

وفي الصورة الثانية تبلغ الثورة في نفس حمدان » أقصى مدى ممكن نتيجة ذلك الواقع الطبقي المؤلم . ونرى الكاتب باكثير يحدثنا عن انضمام حمدان الى عصابة العيارين الذين يقلقون راحة الاغنياء وذلك بعد لقاء مثمر يتم بين حمدان الناقم وبين الشيخ « بهلول » العيار في صورة واعظ . وبانضمام حمدان الى عصابة الشيخ سلام الشواف يتجسد البعد الاول للثورة في حياة الثائر الاحمر ـ البعد المادي وفيما يلي لقطة صغيرة من حوار باكثير على لسان كل من الشيخ « بهلول » وتلميذه الجديد « حمدان » :

الشيخ بهلول : كن عيارا ، حارب معنا طغيان المال ، كن حربا على الاغنياء . ننقص اموالهم فتنقص من قوتهم وطغيانهم . انتقم منهم لنفسك ولآلاف المظلومين امثالك .

اسلب منهم ما استطعت كما يسلبون الفلاح ثمرة كده ، والاجير جل أجره على جهده . والفقير معلوم حقه :

حمدان : ويل للمال . ويل للاغنياء . خذوني معكم أنا منكم . أنا منكم .(2)

(٣)
حمدان الباحث عن نظرية

وفي الصورة الثالثة ينضم « البعد الفكري أو النظري » الى البعد المادي السابق . . ويعثر حمدان على النظرية التي تمده بتصور كامل لما ينبغي أن يكون ، نظرية تبرر له كل ثورته وحقده على الاغنياء ويكون ذلك عندما يلتقي « حمدان » بابن عمه « عبدان القرمطي » الذي ترك عمله في القرية من وقت طويل وشعر بانجذاب قوي للتعليم . ومن خلال العلم ، ومن خلال قراءة الكتب الدينية قراءة واعية متفتحة عانق « عبدان » فكر الثورة ووجه هذا الاتجاه .

« انه ليقرأ اليوم في باب الزكاة وباب المزارعة والمساقاة أو باب الاجير أو باب الجعالة أو باب الاقراض ، وغير ذلك من الابواب التي تبحث في معايش الناس ومعاملاتهم وترشد الى تنظيمها على وجه يكفل العدل والخير لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم ويقطع دابر الظلم عنهم . فيرى وجه حمدان يطل من خلف السطور ويكاد يسمع أقواله وهو يشرح ما يلقي الفلاح من ظلم مالك الارض واستئثاره بثمرات كده ، والعامل أو الصانع الاجير وما يلقاه من ظلم صاحب العمل ، والفقير من قسوة الغني وامتناعه عن اداء حقه اليه وعندهم كتاب الله يأمر بالعدل والاحسان . فأين العدل والاحسان ؟ وقد التزم السلطان تنفيذ أحكام البغي والشر على الضعيف فأين ما التزمه ؟ وهل يبقى له حق الطاعة على الناس وضمانة حقوقهم ودرء الظلم والمفاسد عنهم ؟

ومـا كان حمـدان الا فلاحاً جاهلاً ولكنه فقـد معنى العـدل في مختلف صـوره فذهب يلتمسـه بين النـاس وبين الـراعي والرعيـة فلم يجـده ، فكيف بـه لـو قـدر لـه أن يتفقـه في الـدين ويقـرأ هـذه الابـواب التي تفصل العدل الذي يأمر الله به تفصيلا ؟

وكـان يقـول (مـالي ولأبواب الحيض والاستحـاضـة والـطلاق والعـدة أضيع فيهـا وقتي وأشغـل بهـا قلبي عن فهم القسـطاس الـذي عليه مدار حياة الناس ، وبه قوام سعادتهم) .[1]

(٤)

حمدان الثائر

« والله لا أدعكم تـأكلون لباب البـر ولحم الجداء وتعبـون رواقيـد الطلا وعامـة الناس يسفـون لحاء الشجـر ويأكلون القـطط والكلاب ، ويل لكم أين العدل ؟ »

نستهل هذه الصـورة ـ الرابعـة ـ بهذه الصـرخة الـداوية لحمـدان الثائر ، وفي هذه الصورة أيضا نشهد مع باكثير منطقـة السواد بـالكوفـة وقد غرقت بـأعلام الثـورة ، أجمل وأروع حلم بشـري حققه الانسـان في مكان وزمان واقعيـين . نحن في « مهيبا بـاذ » دار الهجرة في ذهـول لما حدث يقـول باكثير : « فهال المعتضـد ما رأى ومـا قضى العجب منـه ولا قطع فيـه بأمـر اذ جـاء نبـأ عـظيم فشغله عن ذلـك كله ، ان حمدان قد أعلن العصيان ، وان القرامطة بالسواد قد قاموا قـومة رجـل

واحد ، وان معهم من القوة والاسلحة ما لا يحصى كثرة وانهم هزموا جنود السلطان وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وانهم اتخذوا قاعدتهم « مهيما باذ » حيث قامت دار هجرتهم الاولى من البطايح ، وان الفلاحين منهم حتى الذين يقيمون في ضواحي الكوفة وارباضها اصبحوا لا يهابون السلطان ويجاهرونه بولائهم لحمدان ، ويترنمون بنشيد الثورة في اكواخهم وفي الطرقات :

نحن الداعون
لذي العظمه
من شرقها
حتى العتمه
الارض لنا
لا للظلمه
والويل لهم
اذنعصيهم في الملتحمه
ونؤويهم
نارا حطمه
لا نترك منهم
من نسمه

« وكان الناس لا حديث لهم الا عن قرمط ودار هجرته (مهيما باذ) وما انضم اليها من القرى والدساكر ، وعن ازدياد قوته يوماً فيوما . وانتشار مذهبه في البلاد وتسلل افواج المهاجرين اليه من الفلاحين والعمال والصناع وعن النظام العجيب الذي اجراه حمدان

في مملكتـه لا يستأثـر احد دون احـد بأرض أو مـال فـلا غني بينهم ولا فقير » .

وكانوا يعلمـون أن الهيصم وطبقة الاغنيـاء عامـة من أشد النـاس تخوفاً من خطر حمدان وأكثرهم اهتماما بأمر القضاء عليه .

وبعـد انتصـار الثـورة شعـر تجـار الكـوفـة ـ واليهـود منهم بصفـة خـاصة ـ شعـروا بالخـطر الذي يتهـددهم فـأرسـل اليهـود الى حمـدان بـرسول منهم يبلغ اليـه فرحهم الكـاذب ومطالبتهم لـه باعـلان الحرب على الدولة العباسيـة قبل أن تسـارع في اجراء اصـلاحات تقضي عـلى أسبـاب الثورة ، هكـذا شـأن اليهـود دائـما وفي كـل عصر فمـاذا كـان جواب حمدان الثائر ؟ يقـول باكثـير على لسـانه « إنا أصحاب مـذهب العدل الشـامل يسرنا أن يطبق نـظام « أبي البقاء »[٢] في البـلاد ما كـان فيـه انصاف للمـظلومين وحـد من طغيان المـال وسيكون ذلـك تمهيداً لشيوع نظامنا ، ان هؤلاء المظلومين حين يذوقون قليـلا من لذة العـدل لن يقنعوا بالقليل ولن يهدأ لهم بال حتى يفوزوا بالعدل كله » .

وحـين يلح عليـه ابن عمـه « عبـدان » في الانصيـاع الى نصيحـة اليهـود يصرخ حمـدان في وجهه قـائلا « ويحـك يا عبـدان اتـظن هؤلاء اليهود يريدون لنا خيراً ينفثون الفتنـة ليغنموا من ورائهـا ، وهل يقـوم سلطان المال الا على اكتافهم » .

« انهم قـد خانـوا السلطان قبل أن يفعـل بهم ما فعـل وانـه ليس من مصلحتهم أن يبـطل سلطان المال وهـو معبودهم ، فإنما أرادوا أن

يضرب بعضنا بعضا وهم ينظرون وينعمون ، انهم لا يعيشون الا حيث الهيصم وابن الحطيم وامثالهما » .

حمدان الاشتراكي

ما هي الملامح الاشتراكية قبل ألف ومئة عام ؟ كيف تمت أول عملية تطبيق للعدل الاجتماعي في ذلك الزمن ؟ كيف كان حمدان الاشتراكي اشتراكياً؟ للاجابة على هذه الاسئلة نقرأ ما كتبه باكثير « لما وثب حمدان وثبته الكبرى على ناحية القاسميات من أرض البطايح ، وتم تأسيس دار هجرته « مهيما باذ » قسم الارض التي استولى عليها بين الفلاحين ليزرعوها ويستثمروها لانفسهم . غير انه أوجب عليهم نظام « الالفة » الذي كان قد دعاهم اليه من قبل وهو ان يؤدي كل واحد منهم ما يفضل عن حاجته من الثمار والحبوب حتى يكونوا في ذلك اسرة واحدة لا يفضل واحد منهم صاحبه واخاه في ملك يملكه ، وقد عرفهم انه لا حاجة بهم الى اموال تكون معهم لان الارض بأسرها ستكون وشيكا لهم دون غيرهم ثم اعلن في العام الثاني انه قد جعل الارض ملكا للدولة أي للجميع ثم وزعها قرى ومناطق وخصص لكل منها جماعة من الفلاحين لا يتعدونها الى المناطق الاخرى الا بأمر منه وهؤلاء يعملون فيها تحت اشراف مديرين يراقبون عملهم ولكل منطقة امين يعينه حمدان بنفسه يجمع المحصول ويحفظه في مخزنها العام ولا يجوز للفلاح ان يأخذ من المحصول شيئا انما يعطيه الامين ما يراه كافيا لاهله وعياله والذين يعملون في الارض معه وكذلك حال الحدادين والنجارين والبنائين

والغزالات والنساجين وغيرهم من الصناع والعمال لكل منطقة كفايتها من هؤلاء ويجمع انتاج عملهم ويحفظ بالمخزن العام .

وقد أظهر الفلاحون والصناع وغيرهم ارتياحا لهذا النظام فأخلصوا واجتهدوا في اعمالهم في بداية الامر اذ كان بين هؤلاء كثير من الفلاحين الذين ذاقوا البؤس من ظلم ملاك الارض وجشعهم وكثير من العمال والصناع الذين عانوا الامرين من ظلم اصحاب العمل .

حمدان العيار (عود على بدء)

في الصورة السادسة والاخيرة نصل مع باكثير في روايته « الثائر الاحمر » الى لحظات الحزن الرهيب نصل معه الى حيث سجلت ريشته الحزينة الصورة النهائية للمحمة انسانية رائعة وفي غمرة الحزن لا ينسى باكثير أن يضع النقاط على الحروف ولا يغفل - وهو يسجل اسباب النكسة - ان يركز بشكل خاص على خطورة الفراغ النظري للاتباع والتشتت الفكري للثوار بالاضافة الى خيانة معظم القادة والاداريين الذين اشتغلوا عن الثورة بالاثراء الفاحش وغير المشروع والمخالف للمبادىء التي ينادي بها الثائر الاحمر .

وكانت النتيجة هذا الذي يقوله باكثير :

ولما ساد الظلام تفرقوا وارتحلوا ولم يبق مع حمدان الا « جبندي الرزاي » قال جبندي لحمدان وهما يسرجان جواديهما في مربد القصر « الى اين تمضي يا حمدان ! »

فأجابه حمدان بصوت حزين الى حيث لا أدري يا صاح » .

ـ هل لي ان اقترح عليك ؟

ـ افعل يا جبندي فانك لذو رأي .

فسكت « جبندي » قليلا كأنه يهاب ان يقول :

ـ ماذا بك ؟ قل .

ـ ولي الامان من غضبتك ؟

ـ كيف اغضب عليك وانت صفيي الوحيد .

ـ فهلم بنا الى الري نعيش هناك في خفض ونعيم .

ـ ويلك أين منا الري هلا اقترحت بلدا اقرب .

ـ فان فيها عشيرتي .

ـ أ أردتنا ان ننزل بها على اهلك المعدمين ؟

ـ إنهم ليسوا معدمين فقد ملكوا الضياع والقصور من نعمتك . فقد كنت ابعث اليهم الذهب والورق من فضل نعمتك علي .

ـ ويلك او قد فعلتها ؟

ـ حنانيك يا حمدان . فقد جعلت لي الامان من غضبك .

فزفر حمدان زفرة الغيظ والغضب وقال : حسنا يا خاين أفي هذا تأمن غضبي . فارتعد جبندي واعتمد بيديه على سرج الجواد ليخفي به ارتعاشها ثم قال بصوت مرتجف :

ـ اني ما فعلتها وحدي يا حمدان فقد فعلها كثيرون .

ـ من هم ويلك ؟

ـ اسحق الـوزاني وعكـرمـة البـابلي . وعـلي بن يعقـوب . . و . . . .

ـ ومن بعد ؟

ـ و . . . ذكرويه .

ـ ذكـرويـة الخـائن ! اذن فقـد كنتم جميعـا خـونـة ! اغـرب عن وجهي .

ـ اعف عني يا حمدان .

ـ لا سلطان لي عليك اليوم ولا على أحد غيرك فلا املك العقـوبة ولا العفو .

ـ فأين تذهب يا حمدان ؟

ـ لا شأن لك بي . فامض الى « الري » فاستمتع فيهـا بما سـرقت من حقوق العمال والفلاحين امض لعنة الله عليك .

وبعـد هذا الحـوار الساخن الـذي يسجـل بعمق وصـدق اسبـاب سقـوط ثورة حمـدان قرمط وهي كـما نرى نفس الاسبـاب التي تقود الى سقوط اية ثورة . بعد هـذا الحوار يلتقي حمـدان بشيخه العيـار السابق « سـلام الشواف » ويـدور حوار جـديـد ويبـدأ حمدان رحلة جـديدة : عود على بدء .

وا إسلاماه ..

رائعة باكثير التاريخية

« وا إسلاماه » . . لا يخالجني شك في ان صاحبة هذه الصرخة التي انطلقت لاثارة حماسة المسلمين في وجه التحالف التتاري الصليبي لوعادت في هذه الظروف الراهنة من تاريخ الاسلام والمسلمين لكان الصراخ بكاء ، ولما وجدت احداً يهتم به أو يلتفت نحوه مجرد التفات . واذا كانت تلك الصرخة الداوية « وأ إسلاماه » قد انطلقت يومئذ في وجه التحالف التتاري الصليبي والتتاري بالذات لانه كان يجتاح الارض الاسلامية كما تجتاح النار الهشيم ، فانه اليوم لا بد أن ينطلق في وجه المسلمين انفسهم ، في وجه هذا الغثاء الذي يتكاثر كتكاثر الارانب في حظائر التخصيب والتسمين ، فالاسلام اليوم ـ كما كان بالامس ـ لا يشكو من قوة اعدائه ولكنه يشكو من تخاذل انصاره ومعتنقيه ، من انشغالهم بمساجلات سطحية وتافهة ونابعة عن التنافس والصراع على المصالح الانية الضيقة .

وفي رواية « وأ إسلاماه » لباكثير صورة من الماضي ـ الحاضر، او بالأصح من الماضي الذي يشبه الحاضر مع فارق جوهري يتمثل في أن مسلمي الماضي كانت تحركهم صرخة فيتناسون خلافاتهم ويهبون من مضاجعهم قبل أن يذهب الاعداء بالاخضر واليابس ،

وقد شاء باكثير رحمه الله أن يضع بين عيون العرب والمسلمين ومن خلال عمل روائي فني تاريخ حقبة هي من أخطر الحقب في تاريخ المنطقة العربية ان لم تكن اخطرها بما حفلت به من تحديات غاشمة ، ومن تفكك في أمور القيادة والحكم ، بعد سقوط الخلافة الاسلامية في بغداد ، واشتغال ملوك الطوائف أو حكام المناطق المجزأة بقمع الثورات والفتن التي يقوم بها المظلومون والخارجون من الرعاية . وقيمة العمل الروائي التاريخي الاسلامي ـ عند باكثير بخاصة ـ تنبع من أن شخصياته غير مفتعلة وانها نماذج لأناس حقيقيين في الماضي نكاد نشهد لها صورا مطابقة في الواقع ، وقد ألمحنا في مكان سابق من هذه الدراسة الى ان باكثير قد كان يجهد نفسه ليخلق المعادل الموضوعي للحاضر من الماضي ولذلك فان اعماله الروائية التاريخية تثير التأمل في الواقع الراهن اكثر مما تثير التأمل في الواقع القديم ، وهي لم تأت عفو الخاطر ولكنها جاءت حصيلة احتدام معنوي في نفس الكاتب واجابة على تساؤلات مؤلمة تتعلق بالواقع العربي الاسلامي وبالتكالب الاستعماري الصهيوني الذي يذكر بتحالفات الامس البعيد وبالمحاولات التي تصدت لمواجهة ذلك الصراع واعادت الى الانسان العربي امتلاك مصيره .

عندما كتب علي احمد باكثير رواية « وا إسلاماه » مستوحيا ذلك الصراع الجليل لم يكن يفكر أنه يكتب رواية ذات صفة اسلامية مباشرة ، فلم يكن الادب باشكاله المختلفة في الثلاثينات والاربعينات والى اواخر الخمسينات وربما الى نهاية عقد الستينات لم يكن الادب قد انقسم الى ادب اسلامي واخر غير اسلامي ، والكتاب كذلك لم يكونوا قد انقسموا الى كتاب اسلاميين واخرين غير اسلاميين وفي

الثلاثينات والاربعينات كان الاسلام وتاريخ الاسلام وتاريخ الادب في العصور الاسلامية الزاهية هو الشغل الشاغل لمشاهير الكتاب، ولم يكن احد ينكر - على سبيل المثال - ان طه حسين الذي كتب « الفتنة الكبرى » و « الوعد الحق » و « على هامش السيرة » و « مرآة الاسلام » كاتب اسلامي متفرد، كان الكتاب كلهم بحكم الانتماء الى الاسلام كتاباً اسلاميين حتى ولو لم يتعرضوا لتاريخ الاسلام او لم يكتبوا عنه، كانت صفة الاسلام أو الكاتب المسلم تطلق للتفريق بين المسلم والمسيحي، أما الآن وبعد التطورات الاخيرة فقد اصبح للاسلامية معنى اخر، معنى خاص، معنى يضيق على المسلمين انفسهم حتى يقصرها على الوعاظ والمرشدين .

وقد كان باكثير في رأي نفسه وفي رأي قارئة كاتباً اسلامياً كبقية كتاب عصره من باحثين وروائيين ومسرحيين وشعراء، وكان الاسلام بالنسبة له عقيدة وموقفا ولم يكن شكلاً ادبيا او محاولة لخلق مفهوم اسلامي جديد في الادب أو لنيل صفة الاسلامية، وهؤلاء الذين يرون الادب الاسلامي هو ادب الدعاية المباشرة للاسلام لن يجدوا بمفهومهم الضيق اديباً اسلامياً واحدا وسيطردون من حظيرة الاسلام كل الادباء والشعراء بمن فيهم علي احمد باكثير نفسه، وسيطردون الاستاذ العقاد بدواوينه الشعرية التي تخلو من أية قصيدة تدعو مباشرة للاسلام، بل أن فيها قصائد فكرية خطيرة كقصيدة « الشيطان والرحمن » التي ترمز الى خلق الانسان والصراع الذي نما وترعرع في جو الثقافة الاسلامية وفي ظل السماحة التي كفلها الاسلام للفكر وللعقل وللقلب، وهو كاتب اسلامي بمجمل كتاباته لا بكتاب او بكتابين وهو كاتب اسلامي ايضا بمجمل مواقفه لا بموقف او بعدد

من المواقف ، وهكذا شأن كل كاتب يعتنق الاسلام دينا وينتمي الى الاسلام ثقافة وتراثا .

وكان الرسول العظيم محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي تلقى الاسلام بقلبه وبعقله وبعاطفته ، تلقاه من فم السماء واحتضنه بوجدانه ، كان لا يحاسب صحابته على الشك ، بل كان يعتبره بداية اليقين الحقيقي والطريق الى ذروة الايمان ، وبمثل ذلك السلوك العظيم بفضل تلك السماحة امتلأت الارض بالنور وبكنوز المعرفة المتنوعة من فلسفات وعلوم ومن مدارس كلامية أدبية ، وسيتضح ـ ولو بعد حين ـ أمر هؤلاء الذين يتشددون ويضيقون ما اتسع له صدر العقيدة ، وسيتضح الهدف من ملاحقة كل كاتب جمح به القلم او كل شاعر اخطأ معه الخيال ، سيتضح الهدف من وراء هذه المحكمات الكلامية والمزايدات اللفظية ، وأنه شيء آخر غير الاسلام ، شيء اخر ابعد ما يكون عن الدين ، فالاسلام اوسع من أن ترسم حدوده اقلام ناشئة ، اقلام كل حظ اصحابها ـ اذا احسنا الظن ـ عاطفة مشبوبة واندفاع غير مرتب ، ولنا في ادب باكثير ، في شعره وفي مسرحه وفي رواياته ؛ ولنا في ادب سيد قطب ، شعره وقصصه ونقده الادبي ، ولنا في غيرهما من الكتاب الاسلاميين القدماء والمعاصرين اسوة حسنة ، ولن ننساق وراء تلك النظرة الضيقة المنغلقه التي تقسم الادباء العرب الى اسلاميين وغير اسلاميين لما في ذلك من اساءة الى الثقافة الاسلامية التي فتحت ابوابها من اول يوم لتستقبل كل جديد ولتمد افاقها على ارجاء المعمورة مستقبلة شتى المعارف والتجارب .

واذا كان بعض الكتاب المتزمتين قد ضاقوا ذرعا برواية باكثير الاولى « الثائر الأحمر » لاندفاعها نحو الثورة الاجتماعية ولو في عنوانها المثير وحده

على حد تعبير بعضهم ، فان رواية واسلاماه لا تقل عن سابقتها ثورة على الاغنياء والذين يكنزون الذهب والفضة وديار الاسلام تعاني من الغزو والتسلط الاجنبي ، وذلك بالرغم من أن العنوان بريء كل البراءة من الاندفاع والشطط ، اذا ما وافقنا على ان العنوان الاول قد اشتمل على شيء من ذلك ، وتدور الرواية في اغلب حوادثها حول حياة الملك المظفر « قطز » القائد الذي وقف في وجه التحالف التتاري الصليبي ، وتبدأ من طفولته ثم تشرده وبيعه مملوكا وارتقائه وسط الحوادث الكبيرة الى ان صار ملكا على مصر في سلسلة طويلة من المماليك المتنافسين الذين يتلاقون في حب السلطة ويقتتلون من اجلها ، ويظل احدهم يقاتل الى ان يصل الى الحكم لكي يستعد للموت ، إنه اغرب العصور التي مرت بمصر ، وقد تخللت هذه الحوادث الغريبة حروب عظيمة من اجل الدفاع عن الارض العربية وكانت فترة الحروب اقلها احتشادا بالمؤامرات والمكايد لاشتغال القادة بالاعداء .

وقد بدأت سلسلة هذه الاغتيالات بعد مقتل السلطان توران شاه بتدبير من زوجه والدة « شجرة الدر » التي تولت الحكم بعد مصرعه وجلست على عرش مصر مستغلة الخلافات القائمة بين امراء المماليك ، وحدة التنافس فيما بينهم ، وقد نودي بها باسم سلطان الستر الرفيع ، لانها امراة محجبة وكانت المنابر تردد «اللهم أدم سلطان الستر الرفيع والحجاب المنيع ، ملكة المسلمين ، عصمة الدنيا والدين ام خليل المستعصمة ، صاحبة الملك الصالح . . الخ » ومع كل اشكال الاضطرابات الناتجة عن تغير القيادة فان النار لم تكن قد انطفأت ، كان الرماد يغطي وجه الواقع ثم تعود الى الاشتعال ، وفي اعقاب اغتيال السلطان توران شاه وتولي سلطانة الستر الرفيع حاولت فرنسا غزو مصر واحتلت دمياط لكن القوات

المصرية احبطت الاحتلال وتم اسر لويس التاسع ملك فرنسا واخويه وعدد من كبار القادة الفرنسيينن ، وقد اقتيد ملك فرنسا الى دار ابن لقمان في المنصورة ووضع تحت حراسة الطوشي صبيح المعظمي ، واهتزت مصر والعالم الاسلامي للنبأ المثير ، وسجل احد شعراء ذلك العصر هذه الواقعة التاريخية مخاطباً لويس التاسع السجين المهزوم :

أتيت مصر تبتغي ملكها
تحسب ان الزمر يا طبل ريح

فساقك الحين الى ادهم
ضاق به عن ناظريك الفسيح

وكل اصحابك اودعتهم
بحسن تدبيرك بطن الضريح

ألهمك الله الى مثلها
لعل عيسى منكم يستريح

دار ابن لقمان على حالها
والقيد باق والطوشي صبيح

وظل الملك الاسير يرسف في قيوده الى ان افتداه الفرنسيون بفدية قدرها اربعمائة الف دينار ، ولم يكن هذا النصر وسيلة لتحقيق الاستقرار بل كان وسيلة لاثارة التنافس بين امراء المماليك فضلا عن خلاف دمشق والقاهرة واستنكار دمشق الايوبية قيام امرأة بحكم مصر مع وجود حكام اكفاء من بني ايوب ، واتفاقاً قبلت السلطانة ان يقوم قائد جيوشها الامير « عز الدين أيبك » بأمور السلطنة ، ثم (عقد الامراء المماليك مجلساً قرروا فيه ان يقيموا صبياً من بني ايوب يكون له اسم الملك ، ويكونون هم

الذين يديرون الملك ويأكلون الدنيا باسمه ، فاختاروا الملك الاشرف موسى ابن الملك مسعود وله من العمر ست سنين فأقاموه سلطانا شريكا للملك عز الدين ايبك على ان يقوم عز الدين ايبك بتدبير الدولة . وقرروا ان يبرزو اسم الملكة (شجرة الدر) على التوقيعات والمراسيم وينقش على النقود وان يخطب لهما على المنابر . وبعد فترة (انفرد عز الدين بملك مصر ، وازيل اسم الملك الاشرف من الخطبة ، وقبض عليه فسجن بالقلعة ، والملك الصغير لا يدري لماذا اجلسوه على العرش ثم لماذا اودعوه السجن ، وهو لم يأت عملا استحق به العرش الاول ، ولم يقترف جرماً استحق به السجن في الاخر) !!!

هذه نماذج صغيرة من احداث تلك المرحلة التاريخية ، والحديث عنها في الرواية واسترجاعها كعناصر من الفكرة الاساسية كخلفية او أطار يشكل الجانب الجاف والمتكلف في هذا العمل الروائي ، وهو يقترب به من كتب التاريخ المدرسية . وقد اثبتت تلك التفاصيل الصغيرة اهمية الحاكم في مصر وسطوة القيادة على ضفاف النيل فبالرغم من انها قيادات مملوكية بلا جذور ، وان افرادها قد حملوا من اسواق الرقيق ودخلوا القصور من ابواب العبودية الا انهم لم يلبثوا ان تحملوا من المسؤوليات الجسام في مجال الادارة والحرب ما يثبت كفاءاتهم القيادية ويرتفع بهم الى اعلى المستويات ، وقد ساعدهم الفراغ وتعدد المؤامرات على تحقيق اهدافهم في الحكم . وقد حاولت (شجرة الدر) أن تحول بينهم وبين تلك الاحلام الا انها ذهبت ضحية تلك المحاولات وربما تكون بمكائدها قد فتحت الباب واسعاً امام سلسلة الاغتيالات والمنافسات التي ترتبت على اغتيال زوجها المملوكي المعز في الحمام بايدي جماعة من خدمها المخلصين ، فقد انتقم انصاره منها واقاموا ابنه نور الدين سلطانا وكان عمره خمسة عشر عاماً واقيم الامير

سيف الدين قطز نائبا للسلطنة وبذلك اقترب من السلطنة ولم يلبث أن تولاها لكي يستعد لمواجهة خطر التتار الذين بدأوا يتهددون بلاد الاسلام باشد مما كان في عهد جنكيز خان .

وقد سبق ان قلنا ان باكثير كان يشعر ازاء هذه الاحداث بالحاضر اكثر من شعوره بالماضي وان هذه الاحداث كانت تعكس بالنسبة لنا التناقض المرير الذي تعيشه الامة العربية وحكامها في القرن العشرين اكثر مماكانت تعكس ذلك التناقض في اطاره التاريخي ، وقد لجأ الى هذا الاسلوب غير المباشر فرارا من المباشرة الفنية ومن المباشرة في المواجهة ، وقد اختار تلك المرحلة العجيبة من تاريخ مصر ليسقطها على الواقع العربي الحديث في مصر وفي بقية الاقطار العربية ، ولعله اول من تنبه الى ذلك العصر المليء بالمؤامرات والمفاجآت وبالكثير من المضحكات المبكيات ، وقد تابعه بعد ذلك عدد من الكتاب الذين استوحوا منها اعمالاً ابداعية اخرى . ومن الضروري ان نشير هنا الى القدر العظيم من التفاؤل الذي كان يملأ روح الكاتب وهو يلتقط صور روايته من قبل تلك الاحداث المظلمة ، وهو تفاؤل نابع من النتائج التي اسفرت عنها في اللحظات الحاسمة فالخلافات المحتدمة والتنافس المرير على الحكم لم يمنع المتنافسين ان يوحدوا جهودهم في مواجهة الاعداء ، ولعل قصة التنافس بين الملك المظفر قطز وبين رفيقه الظاهر بيبرس تصلح مثالا رفيعاً على مستوى الخصومة من اجل العرش ، فقد كانا صديقين وفيين وحين اقترب احدهما من السلطنة غام وجه الصداقة وحل محله التربص والاستعداد للانقضاض وعندما تسلم المظفر زمام الحكم في مصر وبدأ صديقه التآمر عليه اقترب صهيل خيل التتار من ارض مصر بعد ان اجتاحت العراق وجزءاً كبيراً من الشام فاتفق الصديقان على تأجيل التنافس الى ما بعد المواجهة مع العدو ، وقد كان لهما ما ارادا

وبعد ان هزما جيش التتار في الشام وفي طريق عودتهما الى القاهرة احكم الظاهر بيبرس تدبيره للخلاص من زميلة المظفر قطز وانفرد به بحجة متابعة الصيد وارداه قتيلا ليأخذ مكانه في حكم مصر وينتظر دوره في الاستئثار بالحكم .

هذه المواقف على غرابتها ووحشيتها لم تمنع باكثير من الإعجاب بابطالها ومن التفاؤل بامكانية لقاء الخصوم في وجه التحديات المشتركة وان الظواهر السلبية التي كانت قائمة في الوطن العربي اثناء كتابة الرواية لن تحول بين الحكام المتصارعين والمتنافسين في الوطن العربي وبين الوقوف في وجه التحديات المعاصرة والمتمثلة في الصهيونية والصليبية ، وكان باكثير والى اخر لحظة من حياته الحافلة بالجهاد بالكلمة يؤمن بأن اعداء الامة العربية واعداء الامة الاسلامية يعملون على ان لا يظهر نظام حكم يقوم على الدين الحقيقي . لان سماحة الدين الحقيقي سوف تجعل الانسان حرا من كل انواع العبوديات وسوف تفجر كوامن الابداع في بناء الامة الاسلامية ، وكذلك فان هؤلاء الاعداء انفسهم يعملون على أن لا يظهر في هذه الامة نظام يقوم على الديموقراطية ، لان الديموقراطية سوف ترسخ في واقع الحياة تقاليد كريمة للتعامل مع البشر وتجعلهم احراراً في اختيار الطريق اللائق للبشر وسوف تمنحهم القوة في مواجهة الاعداء صفاً واحداً لا شراذم يتهددها الخوف ، ويهصرها الارهاب .

ولم تقف الاحلام بباكثير عند هذا الحد من التفاؤل الذي يسقط الماضي على الحاضر ، ومن امكانية تجميع حكام العرب المعاصرين والمتنافسين على أنظمة مهترئة في ظل سيطرة المستعمرين على مقدرات الامة العربية ، وهو يتوقع من خلال هذا الاسقاط التاريخي أن يتخلى الموسرون والأثرياء غير الحاكمين من فضول اموالهم ومن بعض اموالهم استعداداً

للجهاد وانفاقا في سبيل الله وفي تجهيز المجاهدين ، وقد كان عنيفا ضد الاقطاع والاقتطاع ، وفي كتابه « فن المسرحية » وفي اثناء الحديث عن الرمز في مسرحية (اوديب ملكا) يقول باكثير بالحرف الواحد : (والاقطاع الذي كان متحكما في مصر وغيرها من البلاد العربية ألم يكن مسؤولا عن نصيبه في هذه المأساة ، ومآس غيرها كثيرة حتى بلغت قمتها في حريق القاهرة ؟ أفلا تذكركم قصة المسرحية بشيء من ذلك في الطاعون الذي انتشر في طيبه والذي كان سببه احتجاز المعبد للارض الزراعية حتى لم يبق للشعب الا القليل .)

فن المسرحية ص : ٦١

ان باكثير هنا يساوي بين الاقطاع والطاعون ، وقد رمز لوضع مصر والبلاد العربية وهي في قبضة الاقطاع بوضع « أثينا » في قبضة الطاعون ، وهو يقول على لسان المظفر « في روايته » «وا اسلاماه » في موقف الاسقاط الاول من التفاؤل يتوعد الامراء والحاكمين :) اتق الله يا بيبرس في دينك ووطنك ، اننا لسنا في وقت يكون لنا فيه أن نتنافس على الملك ، فأمامنا تبعات جسام نحو الامة والملة ، وقد ترى كيف يغير هؤلاء التتار المتوحشون على اطراف الشام وهم قادمون الينا ، فاذا لم ننهض لصدهم فسيكون مصيرنا مصير بغداد ، وقد تعين علينا الجهاد في سبيل الله ، فلنمض له ولنجمع عليه ، ولا تفرقنا المطامع والاهواء ولا الإحن والعداوات » ص ١٧٣ .

وهو يقول على لسان المظفر أيضا في موقف الاسقاط الثاني المرتبط بالتفاؤل بان يتخلى الاقطاعيون عن بعض او عن كل ما يمتلكون في سبيل الدفاع عن الارض والناس والعقيدة : (ان الامراء هم جنود الدولة جاءوا

الى هذه البلاد من اسواق الرقيق لا يملكون شيئا ، فغنوا من اموال الامة ، وامتلأت خزائنهم بالذهب والفضة حتى ان فيهم لمن يجهز بناته بالجواهر واللالىء ، ويتخذ الاناء الذي يستنجي به في الخلاء من فضة ، ويرصع مداس زوجته باصناف الجواهر ، كل ذلك والامة صابرة عليهم راضية بهم لانهم يقومون لها بمهمة الدفاع عن بلادها ، وتوفير اسباب الامن لها ، وها هوذا العدو على الابواب قد اقبل يريد القضاء عليها وعلى دينها وشرفها وعرضها ومالها ، وليس في بيت المال ما يكفي لتجهيز الجيش اللازم لرد العدو ، فكان علينا ان نأخذ من اموال الامة لبيت المال اذ لا سبيل لنا غير ذلك ، ولكن الشرع الشريف افتانا بانه لا يجوز لنا ذلك حتى نتنزل نحن ـ معشر الامراء ـ عما احتجزناه من اموال الامة ، ونرد لبيت المال ما كنزنا من ذهب وفضة وجواهر وغيرها مما يفضل حاجتنا ، فاذا احصينا ذلك ولم يكف كان لنا حينئذ ان نأخذ من اموال العامة ، واني ما دعوتكم الان الا لتساعدوني على تنفيذ حكم الشرع فيّ وفيكم ثم في الامة حتى نبرأ الى الله من مظالمنا ونخرج للجهاد في سبيله وقد رضي عنا ورضينا عنه ، فينصرنا على عدونا ويثبت اقدامنا يوم اللقاء) .

ص ١٧٥

وقد عانى المظفر كثيراً في اقناع الامراء في التنازل عما سلبوه من اموال الامة ، فلم يجد بداً من استخدام القوة واحتجاز الامراء في القصر حتى يتم تجريد منازلهم مما اكتنزوه من ذهب وفضة ، وبعد ذلك اتجه الى غيرهم من الموسرين مستفيدا من حالة الرعب والهلع التي اصابت أهل مصر بعد انتشار اخبار التتار واساليبهم الوحشية في اجتياح المدن والقرى ، ترسم الرواية اثر انباء الفاجعة على النحو التالي : (وقد سرى الخوف من التتار الى مصر لكثرة اللاجئين اليها من العراق وديار بكر ومشارف الشام ، واخذ

هؤلاء يحدثون الناس بفظائع التتار وأفاعيلهم المنكرة ، من اشياء تقشعر لها الابدان ، وتقف الشعور ، وتستك المسامع وتختلع القلوب جزعاً وهلعا ، فما يشك الناس بمصر ان التتار آتون اليهم لا محالة ، وأن دورهم سيحين يوماً ما ، وقد شاع فيهم اعتقاد قوي بأن التتار قوم لا يغلبون ، ولا يقاوم لهم جيش ، ولا تقي منهم حصون ، فانتشر بينهم الذعر ، وعزم فريق منهم على الرحيل عن مصر الى الحجاز او اليمن ، وعرضوا املاكهم ليبيعوها بأبخس الاثمان ، فكان على نائب السلطنة ان يبذل جهودا عظيمة لطمأنة الناس وتسكين خواطرهم ، وافهامهم ان التتار ليسوا الا بشراً مثلهم ، بل هم بما اعزهم الله به من الاسلام اقوى من اولئك الوثنيين وأجدر ان يثبتوا لليأس ، وان يبيعوا نفوسهم غالية في سبيل الله ودينه) .

وا اسلاماه : ص ١٦٧

أي فارق يا ترى بين فظائع الامس وفظائع اليوم ، بين وحشية تتار الامس ووحشية تتار اليوم ، ما الفارق بين جنكيزخان أو موشى ديان ، هولاكو وشارون ، ولماذا تتكرر مع العرب حكاية الجيش الذي لا يقهر والقوة التي لا تغلب ؟ هل هو التاريخ يعيد نفسه ام انه يبدأ من جديد ؟ وهل يستطيع العرب الان في المواجهة الراهنة ان يستوعبوا دروس التاريخ القديم وان يفيدوا من كل التجارب المستخلصة من التاريخ ومن التعامل مع مختلف الغزاة والاعداء ؟ وهذه التساؤلات لا نطرحها نحن وانما تطرحها رواية باكثير بطريقة غير مباشرة . ان ثمة صلة وثيقة بين الاديب وبين الواقع ،وصلة بين هذا الواقع وبين الماضي الذي كان ـ في حينه ـ واقعاً وهذا ما تريد الرواية التاريخية ان تقوله وان تؤكده من خلال القاء الضوء على جوانب من صفحاته المطوية .

الحب والموسيقى في رواية : سلامة القس

يزعم اعداء الاسلام انــه انتشر بالقوة وبحد السيف ، وهو زعم باطل لا يثبت امام حقائق التاريخ ، ولا يجد له سندا سوى في تصرفات بعض الجماعات الدينية المتأخرة التي صارت باعتناقها لمبدأ العنف الديني في أرض الاسلام ـ تقليدا ومحاكاة لتيارات دنيوية تعتنق مبادىء العنف الثورى ، أقول انها صارت اكبر دليل لخصوم الاسلام على انه لم ينتشر الا بالقوة ، وبحد السيف ، جاهلين او متجاهلين ان الفقراء والمستضعفين هم الذين استجابوا له وسارعوا الى الاحتماء به من بطش القوة وعنف الاقتتال ، بينما ظل المحاربون والاقوياء يناصبونه العداء ويطاردون انصاره ويستذلونهم ، وفي نهاية الصدام وبعد ان انتصر العدل على الجبروت والمحبة على الكراهية صار اولئك الاقوياء الاشداء طلقاء الاسلام ، وكانوا صرعى سماحته كما يقول التاريخ ، لا صرعى سيوفه كما يزعم اعداء الاسلام من المستشرقين وغيرهم ، وكما تريد بعض الجماعات الدينية بحسن نية ان تثبته او توحي به ، منطلقة من ردود افعال الاخرين ازاء الاسلام ومن محاكاة التيارات الفاشية الغاضبة والصاخبة ، ومن اساليبها في مواجهة الخصوم دون ان تدري ـ أي الجماعات الدينية ـ انها توحي بأن الدين قام بحد السيف ولا بقاء له الا في ظل القوة والارهاب المادي واللفظي .

وتلك صورة زائفة ومضللة عن الاسلام الذي انتشر بقوته الـذاتية وبالقدوة الحسنة ، وكان الاندفاع نحوه ضرورة روحيـة ، وبمثابـة اعادة تشكيل الانسان فكريا ووجدانيا وحضـاريا ؛ ونحن نعلم ان السيف لم يرتفع في أي وجه في اليمن ، فقد انتشر الاسلام في ربوعها بلا سيف ، ولم يقترن الاسلام في اليمن بالسيوف الا في العصر الحديث عندما ظهر على سطحها سيوف اسلام من البشر ومن الحديد ، فكانت الاولى تسرق قوت المواطنين وتذبح احلامهم ، والاخرى تسرق ارواحهم وتذبح اجسادهم ، وفي مصر والشام لم يرتفع السيف الا في وجه قوى الاحتلال من جيوش بيزنطية ولم يجد الاسلام اية مقاومة الامنهم ، اولئك الـذين حافـظوا على اديانهم السابقة .

لقد ارتفع السيف في البداية ـ وبعد إنذار واعذار في وجوه المحاربين من دولتي الروم وفارس ، واثناء الحرب وبعد الحرب ظل شعار السماء مرفوعا « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ولعل دخول الاسلام في تلك الحروب ناجم عن طبيعة الفترة التاريخية التي نشأ فيها الاسلام ، وهي فترة سيطرت فيها الدولتان على مقاليد العالم القديم ، وكما تلقي هذه الحقائق ضوءا ساطعاً على هذه القضية فان ظهور بعض الجماعات الدينية في السنوات الاخيرة يكاد يؤكد ان الحرب هي الاصل في الاسلام وانه لم يقم على السيف وحسب بل وعلى الارهاب والوعيد والتهديد ، ولـو كانت تلك هي اساليب المسلمين الاوائل ، ولو كان ذلك هو ما فهموه من تعاليم الاسلام لما كان له ان يخرج من شعاب مكة ، ولا ان يغير وجه الارض هذا التغيير .

ويبدو ان هذه القضية قد نجمت منذ بداية اللقاء غير المتكافىء مع الغرب الحديث ، وقد حاول المفكرون والكتاب الاسلاميون التصـدي

للمزاعم الاوروبية كل في مجاله ، وكانَ باكثير قد نشأ في بيئة يصفها بانها شديدة المحافظة ، بـل شديـدة التعصب ، وفي مثل تلك البيئـة يختفي التسامح ، ويحل الهوس النفسي محل العقل والحكمـة ، ويصبح الـدين سلسلة من المحرمات ، وهذه المحرمات تتوقف عند الجوانب الشكلية فهي قد تحرم الموسيقى والتصوير مثلا لكنها لا تحرم ظلم الحاكمين للرعيـة ، وهي قد تقيم الدنيا ولا تقعدها لظهور جزء من جسد المرأة لكنها لا تهتم للاسباب الاجتماعية التي تجعل من المرأة سلعة تباع وتشترى او تتركهـا عارية جائعة بلا مأوى .

وكلما امعنت في التوغل في قراءة الاعمال الابداعية لبـاكثير ـ وهي كثيرة ومتنوعة ، وكلما اقتربت من عالمه الفكري العام تبين لي لماذا وقـع اختياره على التاريخ يستوحى منه اكبر قدر من اعماله المسرحية والروائية، انـه الشعور المؤلم بـالفراغ وبـانقطاع هـذه المجتمعـات الاسـلاميـة عن جذورها ، وهو لذلك بدلاً من محاورة الفراغ المخيف في الواقع المعاصر يعود الى الماضي البعيـد واحيانـا الأبعد لكي يحـاوره ويستفتيه في بعض القضايا التي تشغل عقله وتؤرق اذهان الاحياء الاصحاء من ابناء جيله ، لقد اكتشف في غمرة صراعه مع المتعصبين في حضرموت ان الناس الذين يرغب في ان يتوجه اليهم بالحديث اشبه باشجار بلا جذور ، اشجار تنمو في الهواء في الفراغ ولا تستطيع ان تستقر على شيء ، ومن هنا رأيناه يعود عودة باحثة ومتسائلة نحو التراث ينبش في جوانبه ويستوحي رموزه ونماذجه من مواقف من اطلقت عليهم الايام لقب السلف الصالح ومن ثقافتهم . ومن هؤلاء الـذين احسنوا فهم التعـاليم الاسلاميـة واحسنـوا نشـرهـا وتفسيرها ، والذين برعوا في استنباط الاحكام الشرعية لمستحدثات الامور دون ان يتعـارض ذلك مـع نصوص الشـريعة أو يتنكب روح التعـاليم

الاسلامية القائمة علـى التسامـح وعلى خـير الانسان لا عـلى اضطهـاده وارهاقه ، وقد اجملنا الحديث من قبل عن رؤيـة باكثـير هذه من خـلال روايتيه التاريخيتين « الثائر الاحمر » « واإسلاماه » ونأتي الان الى استكمال نفس الرؤية من خلال الحديث عن رواية تاريخية اخرى هي : « سلامة القس » واذا كانت الرواية الاولى قد حددت رؤية باكثير وموقفه من قضية العدل الاجتماعي ، والرواية الثانية قد حددت رؤيته وموقفه من قضية الجهاد ، فان الـرواية الاخيـرة تحدد رؤيتـه وموقفـه من قضية التسـامح والتعصب في الاسلام وفي مجال الفن بخاصة .

الرواية في سطور :

كان عبد الرحمن بن ابي عمار الشهير بالقس مضرب المثل بمكـة في العفة والتقوى ، وقد لقبه اهل مكة بالقس اعترافاً منهم بمتانة دينه وعظيم تقواه وقد غلب عليه هذا اللقب حتى كاد لا يعرف الا بـه وكان اسمـه (عنواناً للشاب الطاهر العفيف الناشىء في عبادة الله ، الملازم للمسجد ، وكان الشيوخ والكهول يروون عنه الحديث ولا يجدون حرجا في استفتائه وتلقي العلم عنه) وكان هذا القس الشاب يكره الشعر والشعراء ويكره الغناء والمغنين وهو ان لم يكن يرى في الغناء فسقاً ولا فجورا فقد كان يرى فيـه عبثا ولهوا عن ذكر الله بالرغم من انه كان على يقين من ان ابن عباس كان ينشد بعض الاشعار الخليعة لعمر بن ابي ربيعة في المسجد الحرام ، ويعلم ان في الاسلام سماحة واسعة فيها لا يناقض جوهره ولا يؤدي الى ايذاء الناس .

وكانما شاءت ارادة الله ان تمتحن قلب هذا الشاب العفيف المبالغ في التقوى فاوقعته في حب الغناء وفي حب جارية مغنية يمتلكها احد الاثرياء الموسرين في مكة ، فقد ذهب ذات يوم لزيارة صديق له يدعى أبا الوفاء

كان يشكو وعكة في صحته ، وفي اثناء خروج عبد الرحمن القس من زيارة صديقه سمع صوتاً يتسلل من نوافذ البيت المجاور . كان الصوت ينبعث من حنجرة ذهبية ويكاد يدفع المكان واحجار المكان الى الرقص والغناء :

تنيل نزرا قليلا وهي مشفقة
كما يخاف مسيس الحية الفرق
لا أعتق الله رقي في صبابتكم
ما ضرني انني صب بكم قلق
يتوق قلبي اليكم كي يلاقيكم
كما يتوق الى منجاته الغرق

تسمر القس في مكانه ، سحره الصوت القادم عبر نوافذ المنزل وعبر حديقته الواسعة ، وكلما حاول الفرار أحس بقوة تشده الى ذلك الصوت وهكذا لم يبرح مكانه الى ان رآه صاحب الدار وقاده بعد تردد الى حيث كانت الجارية المغنية تداعب عودها وتعزف عليه تلك الانغام التي رافقت الصوت الذي امتلك عليه كل حواسه وكل وجدانه .

كان الصوت لجارية مغنية تدعى « سلامة » وهذا هو اسمها قبل ان ترتبط باسم ذلك القس التقي ويصبح « سلامة القس » وعندما رآها ترك جمال صوتها في نفسه اضعاف ما تركه جمال صورتها ، ومنذ تلك اللحظة دخل القس الشاب مرحلة جديدة تغير معها كل شيء في حياته الا ايمانه العميق بالله ومحافظته على الصلوات ، لقد ملأ عليه حبه العفيف العنيف لسلامة ولغنائها اقطار نفسه وفتح الحب امام تلك النفس ابواب تجربة جديدة في العالم الخاص والعالم العام ، وفي أيام قلائل تحول كاره الشعر والشعراء الى شاعر ينافس ابن ابي ربيعة ورفاقه ممن كانوا يتشببون بنساء مكة

وبالوافدات من الحاجات والمعتمرات .

كان عبد الرحمن قبل ان يوقعه الحب في شباكه دائم الشكوى والنقد لعمر بن ابي ربيعة ورفيقيه الاحوص والعرجي ، ودائم الذهاب الى الوالي لكي يضع حدا لعبث هؤلاء الشعراء المتماجنين الذين يحاولون اغواء النساء وسحرهن بأشعارهم العاطفية الخليعة ، كان ذلك شأنه ، واذا به يقترب من الشعر ومن الشعراء ويصبح اليوم جليساً لمن كان يهاجم بالامس ، وها هوذا يشاركهم العبث البريء واللهو البريء ، وان كان شعره قد خلا تماما من الخلاعة والفسق اللذين اشتهر بهما شعر ابن ابي ربيعة وشعر رفيقيه الماجنين ، انه شعر يتغنى بالجمال ويستقي اخيلته من ينابيع الحب ، وقد اصبح هذا الشعر في فترة قصيرة على كل لسان تردده العذارى في الخدور ، ويردده الناس في الاسواق والطرقات ، ما هذا التحول العجيب ؟ وكيف تحول القس الزاهد في الحياة والاحياء وفي الشعراء الى شاعر ، بل الى شاعر محب ومفتون بالطرب ، هل هو الانحدار ؟ وهل في ذلك شيء قليل أو كثير من الاثم ، هل أخطأ العابد ان اكتشف دينه ؟ ان عبد الرحمن القس في حيرة من امره ومن أمر نفسه ، ومن أمر روحه ، وهو في حيرة اكبر من أمر الناس هؤلاء الذين قيل وسوف يقال ان ارضاءهم غاية لا تدرك ، وهو يعبر في شعره عن هذه الحيرة ابلغ تعبير :

قالوا احب القسُّ سلامة

وهو التقي الناسك الطاهر

كأنما لم يدر قلبى الهوى

إلا الغوي الفاتك الفاجر

يا قومُ إني بشر مثلكم
وفاطري ربكم الفاطر
لي كبد تهفو كأكبادكم
ولي فؤاد مثلكم شاعر

ووصل صوته الى كل القلوب ، بعد أن أطلقته « سلامة » عن طريق غنائها العذب ، فكفت المدينة عن لومه ورقت له القلوب الجامدة ودمعت العيون إشفاقاً وعطفا ، وقد مضى وقت من الزمن وعبد الرحمن القس على ذلك الحال ينتقل بين المسجد وبين بيت ابن سهيل مالك الجارية وعندما أدرك هذا المالك الموسر الفلس ذهب عبد الرحمن الى السوق ليساعد صديقه المفلس على مواجهة الافلاس حتى لا يضطر الى بيع داره وجاريته التي اصبحت حبيبة القس ونجية روحه ، ولكن جهده لم يأت بنتيجة مرضية فقد تم الحجز على دار ابن سهيل وما تبقى له من ممتلكاته ومن ضمنها سلامة ، ورحلت سلامة الى مالكها الجديد ابن رمانة في المدينة ، وعندما ذهب عبد الرحمن القس وصديقه ابن سهيل بعد فترة الى المدينة لاسترجاعها من مالكها الجديد كان قد باعها للخليفة في دمشق ، وفي المدينة كان لقاء أخير بين القس العفيف وسلامة وغنت في ذلك اللقاء اخر أبيات كان قد نظمها بعد الرحيل الحزين ، والابيات هي :

الا قل لهذا القلب هل انت مبصر ؟
وهل انت عن سلامة اليوم مقصر ؟
الا ليت اني حين صارت بها النوى
جليس لسلمى كلما رن مزهر ؟
فيا راكباً إمّا بلغت لطيبة
وضمك واديها الاغرّ المنوّر

فـخـذ ربـوة واقـرأ تحيـات عـاشـق
لـه في مـغـانـيـهـا مـن الانس جـؤذر

أقـول لـقـلبـي كـلـما زاد خـفـقـه
إلام بـعـيـنـيـك الأسى والـتـذكـر ؟

تـبصر ! فـصـاح الـقـلب هـبـني احـتـمـلتـه
بـصـبـر فـما يجـدي عـليَّ الـتـصـبـر

خـذا الـزاد يـا عـيـنيَّ مـن نـور وجـهـهـا
فـما لـكـما فـيـه سـوى الـيـوم مـنـظر

غـداً تـتـعـبـان الجـيـد طـول تـلفـت
فيعيى ويـطـغـي المـدمـع المـتـفـجـر

تـريـدان مـن وجـه الحـبـيـبـة نـظرة
ومـن دون مـثـواهـا نـجـود واغـؤر

هذا هو عبد الرحمن بن ابي عمار او عبد الرحمن القس صاحب اول قصة حب في العصر الاسلامي الاول ، وقد حاول باكثير في الرواية التي كتبها عنه ان يجسد الصراع بين القلب والعقل ، بين نداء الروح ونداء الجسد ، وان يعرض بطريقة روائية لا تثير غضب المتعصبين قضية التسامح في الاسلام لا يرى في كل شيء حوله الا الاثم ، ولا يبصر في كل منظر الا عورة ، وفي كل خطوة عثرة والمؤمن أوسع قلباً واكثر يقيناً بعفو ربه وبشمول مغفرته .

وبعض الـذين يكتبون عن الاسـلام من موقف الاحتـراف سـوف يصدمون ببعض الاراء والافكار التي اوردها بـاكثير في روايـة (سلامـة القس) سوف ينكرون اساس الحكاية واذاكانوا لن يستطيعوا انكارها فانهم سيحاولون فهمها بطريقة خاصة ، وهم يعتقدون ان الكاتب الاسلامي

ـ ينبغي بل يجب ان لا يقترب من مناطق بعينها في الحياة وهم يخلطون كذلك بين اساليب الكتابة وأساليب الوعظ والارشاد ، واذا كنت في السطور السابقة قد حاولت ان اوجز الاراء العامة كحيرة عبد الرحمن القس ، وملامح التغيير الذي طرأ على حياته فان الفقرات التالية من الرواية تستطيع ان تحدد تلك الحيرة بلغة ابداعية اوضح من خلال هذا الحوار الداخلي الذي يقارن ويوازن فيه بطل الرواية بين حاضره وماضيه . وقف عبد الرحمن يتأمل هذا للتحول العظيم في حياته ، والفرق الشاسع بين ماضيه وحاضره ، فانتهى به هذا التأمل الى ذلك اليوم الذي ذهب فيه ليعود ابا الوفاء فسمع في طريقه ذلك الصوت الجميل من دار ابن سهيل فملك لبه ، فكان ذلك الغناء اصل ما جاء بعده من البلاء . ثم عاد عبد الرحمن فسأل نفسه : « ما ذنبه فيما حدث ؟ أفي الحق ان يلام على ان ذهب لزيارة صديق له فسمع في طريقه صوتاً فتنه فاستوقفه على غير قصد منه ، فاهتبلها صاحب الدار غرة نفذ منها اليه وملك بها مذهبه عليه واضطره بذلك الى دخول منزله فكان ما كان . أكان في وسعه ان يهرب من هذا القضاء الذي خيم عليه ؟ لو أن ذلك كان في امكانه لقد كان . ألم يعصم نفسه بالتقوى لما راودته سلامة عن نفسه ؟ ألم يعص فيها الهوى حين أشرف به على الهلاك الاكبر ؟ ألم يدس على الشهوة التي كانت تتأجج في صدره مخافة ربه ؟ بلى انه فعل ذلك لان ذلك كان فيما يملك . أما افتتانه بجمال صورتها وغرامه بها فكانا فيما لا يملك . فحري الا يؤاخذه الله به وان يتجاوز عنه .

ثم ما هذه المحنة التي بلي بها ؟ أشراً اريد به ام اراد به رشدا ؟ أحق أن ماضيه خير من حاضره ؟ أليس من الجائز أن يكون حاضره خيرا من ماضيه ؟ ليوازن بينهما في كل شيء ليرى معنى من معانى الخواء والتعطل ؟ وما رضى النفس ؟ أليس مظهرا من مظاهر اخلادها الى ما هي فيه من

النقص ووقوفها عن الحركة الدائبة الى الكمال ؟ وما راحة الفكر ؟ أليس قصوره وعجزه عن اداء ما خلق له من السبح في عجائب الخلق وآيات الخالق ؟

كان في ماضيه يخشى الله ويتقيه ، ويبكي في صلاته وقيامه ، فهل ذهبت عنه خشية الله وتقواه ؟ أليست خشيته اليوم وقد حفت به الشهوات وتبرجت له الدنيا اعظم من خشية أمس حين لم يكن في متقلب عيشه ما يخشى الله فيه ؟ وهل رقا دمعه اذا أجنه الليل وقام في سكوته يناجي الله ؟ أليس بكاؤه اليوم اغزر من بكائه أمس ؟ ألم يصر قلبه أرق وحنينه أصدق وشعوره أعمق ؟

وكان زاهداً في الدنيا معرضاً عن باطلها وغرورها ، ولكن أين زهد من زهد ؟ أين زهد الخبير بالدنيا المتمرس بافاتها من زهد الجاهل بها البعيد عنها ؟ هو اليوم يغشى السوق ويشتغل بالتجارة ويتقي الله في ذلك كله ، فاين يكون له فضل الامانة والصدق في المعاملة لو لم يقع فيها وقع فيه ؟ .

أما مجالسته لاصحاب اللهو والغناء فلم يتصل منهم الا بابن سهيل ، وابن سهيل رجل سري طروب ، ولكنه على طربه متعفف عامر القلب بالايمان ، قوام بالصلاة لا يكاد يتخلف يوما عن شهود الجماعة في المسجد . واذا ما هل شهر رمضان انقطع عن اللهو وتفرغ للعبادة والصدقة ، حتى اذا كانت العشر الاواخر منه لزم المسجد واعتكف فيه بياض نهاره ، وأحيا لياليها صلاة وقرآنا . وهو بعد عطوف على فقراء مكة وذوي الحاجة من اهلها ينفق عليهم في السر اكثر مما ينفق عليهم علانية .

والغناء الذي أغرم به عبد الرحمن ما هو وما أثره فيه ؟ ألم يفد منه ترقيقاً لقلبه وتلطيفاً لحسه ؟ ألم يقتبس منه تلك اللوعة التي يقوم بها ، فاذا به يشعر كأنه روح قد عتقت من رق الجسد ، وارتفعت عن الارض فهامت

في السماء واتصلت بالملأ الاعلى ؟ ألم يأخذ عنه تلك الروعة التي يقرأ بها القرآن فاذا عوالم من المعاني تتكشف لقلبه ، واذا ابواب من المعرفة والوان من الشعور واطياف من الفكر ، واذا الكون كتاب يتلى ، واذا النظام الذي تقوم عليه السموات والارض لحن أزلي خالد ؟ واستمر عبد الرحمن على هذا النحو يوازن بين حاضره وماضيه فيجد الرجحان لحاضره ، أو يميل قلبه الى ترجيحه فيصدقه عقله ، فأحس عند ذلك بطمأنينة تنزل في قلبه ، وشعر كأن شيئا نفسياً أوشك أن يضيع فاسترده .) . ص ١٠٤

هكذا كان عبد الرحمن القس يحاور نفسه او بالاصح يجادلها ، وهو يثور على نفسه ويغضب عليها بالتحول الغريب الذي طرأ عليها ، ثم يعود فيرضى عنها ، وهو في آخر الحوار والجدال يقرر أن حاضره الحي المليء بالتجربة خير من ماضيه الخامد الجامد ، وهو يحس كذلك بالطمأنينة لانه لا يصنع شيئا يغضب الله او يتصادم مع المقومات الجوهرية للدين ، انه حقا يحب ، لكنه حب عفيف نقي طاهر ، ثم هو يستمع الى الغناء وأي عيب في ذلك أو إثم ، اذا كان الغناء يرقق القلب ويسمو بالعاطفة ولا يقود الى اثم أو حرام ؟ .

وسواء أصح هذا الحوار عن عبد عبد الرحمن القس أو لم يصح واقترب من التقاط مشاعره أم لم يقترب فان الذي لا يخالطه الشك ان باكثير الكاتب الاسلامي هو الذي كتب هذا الحوار مع النفس ، وهو الذي افرغ فيه ذوب مشاعره وخلاصة افكاره عن التسامح الاسلامي ، والنزوع الى الحب والجمال . وقد اختار هذا النموذج من صدر التاريخ الاسلامي لينقل من خلاله تصوره هو لسماحة الاسلام وحقيقته كنظام يجمع بين الدنيا والاخرة قبل أن يتسلمه فقهاء السوء ويحشوه بالمغالطات والمحرمات وقبل أن يتسلمه فقهاء السلطة فيجعلوا منه اداة في خدمة الطغاة والمستبدين ، انه الاسلام

دين الفطرة والمحبة ، دين السمو بالنفس الانسانية والارتقاء بها من حضيض الرغبة المباشرة والاشتهاء الغريزي .

واذا كان باكثير - كما ألمحنا سابقا - قد حدد رؤيته الى العدل الاجتماعي من خلال رواية (الثائر الاحمر) وأجمل رؤيته نحو الجهاد في الاسلام والدفاع عن المستضعفين ضد الغزاة والطغاة من خلال رواية (وا إسلاماه) فانه في هذه الرواية يفصل رؤيته في التسامح الاسلامي وفي اتساع صدر الاسلام ليقبل كثيرا من الفنون . والثلاث الرؤى منفردة او مجتمعة تشكل موقفا اسلاميا تربويا حضاريا يتجاوز الانتكاسة المروعة ، ويبشر بفهم واع وعميق للاسلام الذي صنع واحدة من اهم الحضارات في العالم . وكأنما يريد بهذا العمل الروائي الاخير ، واعني به (سلامة القس) أن يطمئن الاجيال المتذمرة من بعض المظاهر العالقة بسطح المجتمع المعاصر ، وحتى لا تصاب هذه الاجيال بحالة يأس فقد عاد بها الكاتب الى اقرب فترة من صدر الاسلام لكي يسجل ما كان بمكة المكرمة من رخاء ومن فنون ، ومن خلاعات شعرية وحياة صاخبة يتحاور فيها الخير والشر والحسنة والسيئة وبذلك لا يبدو عصرنا بدعاً بين العصور فلا هو أسوأها ولا هو أنقاها وقد تعمد باكثير في روايته أن يتحدث عن بيع المغنية (سلامة) الى تاجر ثري في المدينة ، كان يقوم بشراء الجواري وتدريبهن على الرقص وتعليمهن فنون الغناء والموسيقى ثم يبيعهن باثمان عالية ، وقد باع (سلامة) للخليفة في دمشق ، نعم الخليفة في دمشق ، فقد كان انسانا كغيره يعشق الغناء ويحب الموسيقى في الوقت الذي كانت جنوده تطارد الظلم والفساد في السند وسمرقند وتفتح الطريق واسعاً ونقياً امام « الله اكبر . . الله اكبر . . » .

روايات باكثير . .

قراءة فنية

كان الروائيون العرب ـ وما يزالون ـ يشكون مرَّ الشكوى من غياب النقد ، وحتى اولئك الذين شغلوا النقد والنقاد زمنا طويلا وصدر عن اعمالهم الروائية عدد غير قليل من الكتب حتى هؤلاء يواصلون الشكوى ، وهي شكوى مبررة في كثير من الاحيان ، وتكاد تنصب على نوع النقد أو أساليبه ، فنقد الرواية كان وما يزال يقف عند قراءة النص أو تلخيصه ، ثم لا شيء بعد ذلك يقال عن النص أو يقال لصاحبه .

وقد ألمح نجيب محفوظ في واحدة من شكاواه الكثيرة الى مسئولية الناقد في ضرورة نشر مفهوم الرواية وتبصير الروائيين بشكلهم الفني بدلا من الاكتفاء بقراءة العمل الروائي .

كما ألمح أيضا الى اراء بعض النقاد الذين يقولون ببساطة أن الرواية فن بلا تكتيك ولا قيود . وعند هذه الاراء سنتوقف قليلا قبل أن نبدأ قراءتنا الفنية الموجزة في روايات باكثير . وحين الحديث عن التكتيك والقيود في الفن الادبي يتبادر الى اذهاننا نحن ابناء الادب العربي فن الشعر باعتباره الفن القولي الوحيد الذي تتحكم فيه معايير العمل الفني ليس لعراقته وحسب وانما لتميزه أيضا بقواعد جمالية معينة ونظام تأليف خاص يجعل أية محاولة لتناول الاطار الفني تقصيرا من جانب النقد الادبي ما بعده تقصير .

يضاف الى هذا الافتراض افتراض آخر لا يقل أهمية مؤداه ، أن فن الرواية نفسه فن أدبي مستحدث بالنسبة للادب العربي ، فضلا عن أن النقد الروائي في أوروبا لم يتقدم كثيرا ولم يصل الى بعض ما وصل اليه نقد الشعر من معايير ونظريات فنية ، وهذا يعني ان نقد الرواية في الادب

العربي ما يزال في بداية الطريق لان الرواية نفسها لم تأخذ بعد تشكيلها الفني النهائي ، وهي نتاج مرحلة تاريخية قلقة ومضطربة لا تعرف الثبات ولا تستطيع التقاط الصور الفنية الرفيعة او الاستجابة للاشكال الجديدة التي تطرحها أعظم روايات العصر .

وعندما نتعمق في دراسة فن الرواية في الادب العربي بحثاً عن السمات والملامح الفنية واساليب التناول واستخلاص هوية عربية لفن الرواية سوف نجد ان الرواية لكي تحقق تلك الملامح قد مرت بثلاثة منعطفات رئيسية هي :

أولا : منعطف التأسيس .

ثانيا المنعطف الانتقالي .

ثالثا : منعطف التجاوز والبحث عن هوية للرواية العربية .

ويمكن لنا تقسيم هذه المنعطفات الى ثلاث مراحل تاريخية تبدأ الاولى مع اول القرن وتنتهي الثانية عند منتصف القرن ، وتفضي الثالثة والاخيرة عند نهاية السبعينات ، ولكل مرحلة من هذه المراحل ابعادها واغوارها الفكرية والفنية . ويمكن ـ لنا ايضا في توضيح الهدف من هذا التقسيم ـ الاستفادة من خبرة روائي كبير هو نجيب محفوظ عاش المرحلتين الثانية والثالثة وهما أهم المراحل في تاريخ الرواية العربية وحاول التعبير عنهما فنياً كما حاول التعبير عنهما من خلال أحاديثه ومقابلاته الادبية التي تشكل وثائق خطيرة لفهم المسار الروائي وتطور اساليب التعبير ، تقول بعض هذه الوثائق : (لم تصادفني مشكلة في الموضوع والمضمون . فهما حتما ينبعان من حياتي الخاصة والعامة . من اسرتي من مصر ومن الوطن العربي . وأما

الشكل فكنت ألم بالاشكال كما وردت ثم عند الكتابة اترك نفسي تختار تلقائياً ما اشعر بغريزتي انه يناسب رؤيتي غير متعمد الاخلاص لاسلوب بعينه ، وغير مكترث بقدمه او بحداثته فلم يكن للموضة اثر علي ابدا . وقد أويت الى ظلال الواقعية وانا اقرأ فيها بقلم « فيرجينيا وولف » وطورتها فيما بعد مستلهما احساسي الداخلي وهكذا . . . اليوم طرأ علي تطور جديد يمكن تلخيصه في كلمتين هما : الاشمئزاز من الاسلوب الغربي الذي التزمت به طول حياتي . اشمئزاز وجداني ليس الا ، أي من دون اقتناع عقلي به . فليس لي اعتراض عقلي على هذه الاساليب وما تؤديه من خدمة للعمل الفني . ولكنني ضقت بها وجدانيا . وبعد أن انتهيت من روايتين هما قلب الليل . . وحضرة المحترم . . كتبت حكايات حارتنا . . وهي رجوع الى الحكاية الشرقية. ولم يكن من المستطاع أن استمر في الكتابة من دون هذه المغامرة . وحكايات حارتنا ليست قصصا قصيرة وليست رواية ولكنها بين بين . فيها حكايات ولكنها مستخدمة لهدف فني روائي وبها وجدت نفسي في آخر أطوارها في أحضان وطني القديم) .

واذا كان نجيب محفوظ باعترافه هذا انه ظل مقلدا الى وقت متأخر حين بدأ يكتشف هوية الرواية العربية من حصيلة خبرته المتراكمة عبر الاعوام والتجارب المختلفة وبعد ان خضع لمؤثرات فرضتها ظروف الانتقال الى مستوى جديد من التعبير ، اذا كان ذلك هو شأنه فان باكثير وهو زميل بداية الطريق بالنسبة لنجيب محفوظ ، قد بدأ مثله من نمطية التقاليد الموضوعة للرواية الكلاسيكية ، وقد شغله المسرح الذي اتجه نحوه بكامل طاقاته عن متابعة فن الرواية ، وقد توقف عن كتابتها في منتصف الخمسينات وكانت اخر رواياته هي « سيرة شجاع » التي اهداها الى جمال عبد الناصر والى رفاقه الابطال ، والى الجيل الجديد الذي شهد الحدث

الثوري الذي (أيقظ مصر بعد سبات واحياها بعد موات ، ودفع بها في سبيل القوة والعظمة ووجهها الى سائر العرب في مختلف اقطارهم فاهابت بهم أن يحيواعلى القوة والعظمة والمجد) واخر روايات باكثير كأولها تستوحي التاريخ وتستقي من ينابيعه احداثها ورموزها ولم تخرج عن الاطار الفني والادبي لرواياته التاريخية الاولى .

واذا كنا قد افردنا هذا الفصل من الدراسة عن باكثير واعماله الادبية لدراسة الجوانب الفنية في رواياته فانا نميل بادىء ذي بدء الى التعرف على الاسباب التي جعلته يختار التاريخ العربي القديم اطارا لهذه الروايات ، واعتمادا على قراءتنا السابقة فان أهم الاسباب تكمن في المصادفة التي جعلته يلتقي في بداية أمره بالكتابة الادبية مع جماعة من شباب الروائيين الذين شكلوا فيما بعد « لجنة النشر للجامعيين » ومنهم نجيب محفوظ وعبد الحميد جودة السحار ، وعادل كامل ، وغيرهم . ونستطيع ان نتصورهم الان في بداية نشأتهم مجموعة من الاصدقاء تجمعهم هموم مشتركة في الفن والفكر ، وقد اتخذوا الرواية وسيلة للافضاء ومحورا تظهر من خلالها افكارهم الفتية ، ولم يكن باكثير بعيدا عنهم وان كان المسرح قد شغله عن الرواية ، وهو مسرح روائي ـ اذا جاز التعبير ـ مسرح يعنى بالواقع من خلال التاريخ ، أو يعنى بالتاريخ من خلال الواقع ، وحين كان هؤلاء الزملاء يستقون مادة رواياتهم من التاريخ المصري القديم والحديث ثم من الشارع المصري المعاصر كان باكثير يصطدم بهذه الحقيقة ، وربما كان يتساءل : ما علاقته بالتاريخ المصري ؟ وما علاقته ايضا بالشارع المصري ؟ وربما يكون قد جارى هؤلاء الزملاء في كتابة بعض المسرحيات المستوحاة من التاريخ المصري القديم ، وهي : « اخناتون ونفرتيتي » و « الفرعون الموعود » و « اوزوريس » مع حرصه على الربط بين احداث

هذه المسرحيات والواقع العربي العام ، الا انه الشارع المصري المعاصر وان كان لم يتمكن من الانفلات من اسر التاريخ والتاريخ الاسلامي على ارض مصر بخاصة حيث استوحى روايتين لقيتا في مصر اهتماما كبيرا وهما : « وا إسلاماه » و « سيرة شجاع » وقد تمكن من خلال المعالجة التاريخية ان يلمس الواقع الاجتماعي في مصر دون حرج مستغلا التشابه القائم بين الواقع المعاصر في الاربعينات والخمسينات وبين التاريخ المشابه له في المراحل التاريخية المتقدمة .

وبما أن باكثير قد ظهر روائيا في المرحلة الثانية والتي اسميناها بالمنعطف الانتقالي ، وبما انه قد اختار الرواية التاريخية وتوقف عندها ، فان القراءة الفنية لاعماله الروائية لن تخرج بسمات واضحة الملامح ، صحيح ان روائيي المرحلة الانتقالية قد اضافوا الى لغة الرواية وحاولوا التجديد في اساليبها الا انهم لم يتمكنوا من الخروج على القوالب الكلاسيكية ولم يبرأوا من التقليد ، أما عن اختيار باكثير للرواية التاريخية وهي اقل انواع فن الرواية عناية بالفن واهتماما بأشكال الابداع فقد جعل رواياته تلتزم بصرامة الاساليب التقليدية في السرد والوصف وطريقة التركيب والتحليل ، ولم يحاول وربما لم يفكر أن يستخدم أي عنصر من عناصر التكنيك الروائي الجديد . فقد امتلكته الاحداث وقاده التسلسل الزمني لهذه الاحداث الى استقرائها في ازمنتها المحددة ومتابعتها في ظلال الواقع التاريخي . وحتى لا ننتقص من دور باكثير او نسيء دون قصد الى جهده الروائي ينبغي ان ندرس هذا الجهد في اطار مرحلته ، وان ننظر الى باكثير باعتباره أحد المؤسسين للرواية التاريخية العربية فقد سار بها خطوات تجاوزت ما كانت عليه في العشرينات والثلاثينات . واذا كان الاستاذ أبو حديد قد تجاوز محاولات جورجي زيدان في الروايات التي تؤرخ للاسلام

وتتجاوز اساليبه التقليدية بأساليب تجديدية هيأت للرواية التاريخية في مرحلة الانتقال فان باكثير قد اقتحم عالم الرواية التاريخية متجاوزا كل الـذين سبقوه . ولو انه قد تخلص من قبضة الرواية التاريخية الى نوع اخر من انواع الرواية المعاصرة لكان له مع فن الرواية شأن اخر ، فالرواية التاريخية ـ كما هو معروف ـ لا تحتمل الاندفاع وراء الاشكال الفنية ، وترفض الاغراق في الخيال لتظل قريبة من المتلقي ومن الحدث الذي تحكي عنه بخاصة .

وفي كتابه (الادب من الداخل) يكاد يشير جورج طرابيشي الى هذه عندما يقول « ولنبادر على الفور الى التحديد بأن الرواية التاريخيـة شيء والرواية التي تؤرخ شيء آخر . الرواية التاريخية هي تلك التي تحيي تاريخاً مضى . أمـا الروايـة التي تؤرخ فهي تلك التي يغمرهـا احساس هـائل بالتاريخ الذي نحياه ، وان خلت من ذكر اي احداث تـاريخية محـددة . الرواية التاريخية تقتـرض من التاريـخ ابطالهـا ، أما الـرواية التي تؤرخ فتسلف التاريخ ابطالا . ابطال الرواية التاريخية موجودون في التاريخ حتى بدونها ، وابطال الرواية التي تؤرخ ما كانوا ليوجدوا في التاريخ لولاها . في الرواية التاريخية احداث التاريخ هي الحاضرة اما في الرواية التي تؤرخ فان التاريخ هو الحاضر وان لم تحضر احداثه .

في غير العالم الثالث،وفي التحديد في المواطن الاصلي للرواية،في غرب الحضارة الرأسمالية ، يمكن للرواية ان تنجح وان تبقى في الزمن ، حتى وأن كان الحس التاريخي فيها واهناً ، وحتى وان كانت فردية الفرد هو بحد ذاته ملك ، اما في العالم الثالث ، حيث التفرد امتياز وحيث الذاتية وقف على النخبة وحيث الانوية انابة ، فان الرواية لا خيار لها الا ان تكون من النوع الذي يؤرخ ، والا فلن تكون رواية . الحس التاريخي هو الشرط الفني لوجودها . وابطالها اذ لن يلخصوا في ذاتيتهم وتفردهم التاريخ فانهم

لن يكونوا حتى ابطالاً روائيين . وهذا بالنسبة الى الرواية العربية ، بابها الضيق . فقليلة هي الاعمال الأدبية التي تستطيع ان تدلف منه ، ولكن عظيم ومجيد هو الدالف منها) .

(الادب من الداخل : ص ٥٢)

وروايات باكثير من هذا المنظور الفني تشكل النوع الثاني ، النـوع الذي يؤرخ وابطالها هم ابطال التاريخ نفسه واحداثها هي نفس احداثه بل ان هذه الاحداث ـ كما ألمحنا فيما سبق ـ تصل من الدقة والامانة الى درجة لا تكاد تظهر في كتب التاريخ ذاتها ، وهذا المستوى الشائع والسـائد في الرواية التاريخية في العالم الثالث حيث الانسان مملوك لا ملك وموضوع لا ذات وحيث لا تفرد ولا امتياز الا للقسوة والعنف . وقد حدث تطور نوعي في الوطن العربي في أساليب الكتابة الفنية وتنوعت اشكال الرواية الا ان الرواية التاريخية ظلت محافظة على الحس التاريخي الصارخ وظل دور الفن فيها غائما كدور الذات . ومن هنا فان الباحث في روايات باكثـير وكلها تاريخية لا بد ان يستشعر شعوراً قويا بأن مشكلته الفنية هي مشكلة الرواية التاريخية نفسها فالحبكة في الرواية التاريخية على سبيل المثال ـ تختلف عن الحبكة في اية رواية اخرى ، حبكة يفرضها الحدث ولا يستطيع الروائي ان يتدخل فيها كثيرا ، فضلا عن ان اي خلل في البناء او في الازمنة سوف يهدم التاريخية ويفقد الزمان والمكان صورتها الواقعية .

وفي ضوء هذه الملاحظات يمكن التعرف على بعض السمات الفنية من خلال العناصر التالية والمنتزعة من اخـر الاعمال الـروائية لباكثير وهي « سيرة شجاع » والعناصر المشار اليها هي :

* السرد .
* الحوار .

* الوصف .

وأسلوب باكثير في روايته الاخيرة هو نفس اسلوبه في الرواية الاولى حيث يقوم الكاتب بدور الراوي ، وهذا ينقل شخصياته الروائية من كتب التاريخ ، واحيانا يستعير ملامحها من تلك الكتب ، ولا تخلو رواية من شخصيات ثانوية يضيفها الكاتب من عنده شأن كل كتاب الرواية التاريخية على ان لا تخرج بالاحداث عن الواقع ولا تخطيء في تفسيرها والفعل الماضي هو أهم افعال هذا النوع من الروايات وهو نفسه اهم الافعال المستخدمة في روايات باكثير ، والراوي الذي هو المؤلف لا يظهر الا في السرد ليربط بين الاحداث ويستكنه الملامح الاجتماعية والسياسية ويضع الاطار العام الذي يتحرك فيه الابطال وفيما يلي نموذج للسرد : (واشتد سخط الناس لما رأوا ابواب عاصمتهم في ايدي الفرنج يتحكمون في الغادين منها والرائحين والداخلين اليها والخارجين ، وقالوا : (ماذا يبقى من استقلال بلد سلمت عاصمته للعدو ؟ واخذوا ينحون باللائمة على شاور تارة وعلى العناصر الاخرى ، بل ان منهم من القى التبعة في ذلك على اسد الدين ، اذ رضي ان يرحل عن البلاد قبل رحيل الفرنج ، وكان عليه ان يصر على رحيلهم قبله او في الاقل على رحيل الجيشين معاً في وقت واحد . أهذا جزاء تأييدنا له وجهادنا معه ؟ وهل كان الفرنج يطمعون في اكثر من هذا الذي احرزوه ؟ علام اذن جاء البتة لتعاملهم ؟ كي لا يلوم شاور أو العاضد اذ ما كنا ننتظر منهما خيرا ولكن أسد الدين . . . كيف يغري الفرنج بنا ثم يتركهم . غير ان اهل القاهرة ما لبثوا على مر الايام أن نفد سخطهم منذ بدأ تجار الفرنج يتوافدون على العاصمة بغير انقطاع ، فأخذت التجارة تنتعش في اسواقهم ، وصاروا يحصلون على كثير من سلع الشام وفاكهتها بأسعار طيبة ، وصار تجارها يربحون كثيرا من تجارة تلك

السلع ، ومن بيع سلع البلاد لتجار الفرنج ليصدروها الى بلادهم ولا سيما القمح والارز .

ثم فشا هذا الشعور شيئا فشيئا في سائر اهل مدن القطر وقراه ، اذ وجدوا شيئا من الرخاء يشيع في اسواقهم بما يسحب تجار القاهرة من سلعهم وغلالهم ليبيعوها لتجار الفرنج ، فيحصل منهم رواج بعد كساد ولكن اهل الفسطاط ظلوا وحدهم مقيمين على سخطهم ، ممتنعين عن شراء سلع الفرنج ، مانعين تجارهم من التعامل معهم في بيع او شراء ، وقد يتجاوز احدهم فيشتري من احسن الفاكهة لرخص سعرها في القاهرة ويحملها الى الفسطاط فينكر جيرانه عليه ويشهرون به .) .

سيرة شجاع : ص ١٨٥

الحوار :

في سيرة شجاع يكثر الحوار وتجربة باكثير في التوسع في الحوار في رواياته تجعل اسلوبه يختلف عن بقية كتاب الرواية التاريخية وربما جاءته هذه الخصوصية من كونه اساساً كاتباً مسرحياً اداته الفنية الاولى الحوار ، لذلك يبدو هذا العنصر معه سهلا ومتماسكا ومرتبا ، وهذا جزء قصير من حوار ابي الفضل مع شاور المسئول عن وقوع مصر في قبضة الفرنج :

ـ ماذا جاء بك الى بيتي ؟ اني لا اريد ان أرى وجهك

ـ جئت لارى زوجة ابني

ـ ابنك نفسه قد خرج عليك وكره عملك فما شأنك بعد بزوجته ؟

ـ شاب لا يدرك اني فعلت ما فيه الخير لمصر . . .

ـ هذا عار . . لقد جللت وجه مصر بالعار .

ـ يا ابا الفضل تذكر ان بيننا رحما وقرابة . .

ـ لا رحم ولا قرابة بيننا اليوم . (ص ١٣٦) .

وكأني بهذا المقطع جزء لا يتجزأ من مشهد ما في مسرحية من مسرحيات باكثير الكثيرة تلك التي تتلألأ بالعبارات الحوارية النابضة .

يصعد الوصف في روايات باكثير الى ذروة الشعر وتجلل روايتنا هذه مجموعة من العبارات الوصفية تصل احيانا الى صفحات بأكملها كما في الصفحة التي يتناول فيهاالكاتب ليلة من ليالي الفسطاط : (وخيم السكون على مدينة الفسطاط بعد ما نام اهلها في بيوتهم ، وأطمأن المحتسبون على سلام المدينة وأمنها حين انسلخ الشطر الاكبر من الليل وأوشك الفجر ان ينبلج فآووا ايضا الى مضاجعهم ليأخذوا قسطهم من النوم فيستعينوا به على سهر الليلة القادمة وساد الظلام اذ انطفأت المصابيح والقناديل ، فما بقي مضيئا الا قنديل واحد في حجرة واحدة من بيت واحد في حي واحد ، اما الحي فحي الليث بن سعد ، على غلوة سهم من الجامع العتيق ، جامع عمرو ، واما البيت فبيت ابي الفضل الحريري من كبار تجار الحرير في الفسطاط والقاهرة ، واما الحجرة فلأبنته الوحيدة سمية البالغة من العمر ستة عشر ربيعا ، وهي مستلقية على فراشها لوعكة اصابتها منذ ايام) . ص ٥

ومن خلال هذه النماذج الصغيرة والقصيرة يمكن للقارىء ان يلحظ الملامح والسمات الفنية لرواية محكومة بموضوعها التاريخي ان تظل بعيدة عن مناطق الفن لتظل قريبة من منطق التاريخ .

أحاديث عن المهرجان

الأستاذ عبد الله البردوني :

لا ريب ان الشاعر والمسرحي والمؤرخ الاستاذ علي احمد باكثير جدير بهذا الاهتمام كما ان الاتحاد جدير بهذه اللفتة الكريمة التي جاءت متأخرة نحو الاستاذ علي احمد باكثير الرجل الذي يملك موهبة متعددة الجوانب فهو شاعر وهو مسرحي وهو روائي وهو روائي ومسرحي على شكلين من الشكل الواقعي ومن الشكل التاريخي فعلي احمد باكثير موهبة متعددة الجوانب في مطلع الثلاثينات الى منتصف السبعينات فقد اثرى المكتبة العربية بالمسرحيات التاريخية وفي الروايات وبالقصائد وان كان مسرحياً افضل منه شاعرا كما نراها في روائيته امبراطورية المزاد شعب الله المختار وفي روايته ابي دلامة واله اسرائيل ، والشاعر والاصح التعبير انه الاديب الكبير المتعدد الجوانب انه يسمى الاديب لانه يكتب شعراً ويترجم ويكتب المسرح ترجمة مسرحية روميو وجولييت لشكسبير بالشعر المرسل ، كذلك كتب مسرحية بالشعر المرسل اخناتون ونفرتيتي فعلي احمد باكثير موسوعة بالمؤلفات تنطلق من الحساسية الشعرية ومن الاصالة الكتابية ومن الموسوعة الثقافية ،

واتمنى ان اشارك جيدا في التحدث الى الجمهور الذي انقطعت الصلة بينه وبين الاديب علي احمد باكثير .

الاستاذ عمر الجاوي : « الامين العام لاتحاد الادباء والكتاب اليمنيين »

جئنا الى سيئون من اجل أن نقيم المهرجان الاول للمسرحي والشاعر اليمني الكبير المرحوم باكثير وقد اقر سلفا وبعد اجتماعات عديدة للجنة التحضيرية التي كونها المجلس التنفيذي لاتحاد الادباء والكتاب اليمنيين قرر ان يبدأ المهرجان يوم ٢١ / ديسمبر / ١٩٨٥ م حتى يوم الاثنين ٢٣ / ديسمبر / ١٩٨٥ م .

ويشرفنا ايضا ان نقول بان الاخ / رئيس مجلس الوزراء حيدر ابو بكر العطاس سيدشن افتتاح هذا المهرجان الكبير الذي يحصل لاول مرة وبالطبع اقيم هذا المهرجان بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين لولادة الشاعر والمسرحي الكبير وبمناسبة الذكرى الخامسةعشرة لوفاته .

لن أتحدث هنا عن الشاعر المسرحي ولكنني سأتحدث عن طبيعة هذا المهرجان نحن في البداية حاولنا ومنذ سنتين في أن نوجد متحفا لعلي احمد باكثير في منزله الذي عاش فيه وسكن فيه وتزوج فيه وهو الان في حقيقة الامر قد رمم ويمكن أن يصبح متحفا في المستقبل نضع فيه كل انتاج باكثير سواء المكتوب والمطبوع او الرسائل الخطية او الافلام والمسرحيات التي صورت أو ما كتب عنه في الصحف والمجلات وربما أيضا الكتب التي كتبت عنه أو الرسائل .

سنبدأ بزيارة هذا المتحف غدا السبت في الرابعة وطبعا أعدت اللجنة التحضيرية بسيئون فعاليات الالعاب الشعبية ثم بعد ذلك سيتم الافتتاح الذي سيدشنه رئيس الوزراء بكلمات عدة من اللجنة التحضيرية وكلمة الحزب والدولة وكلمة اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين وكلمة الاتحاد العام

للكتاب العرب ثم بعد ذلك بسنقدم مجموعة من الفعاليات بعض هذه الفعاليات على هامش المهرجان نقصد بذلك الامسيات الشعرية او الصباحيات او الندوات وايضا سنقدم ندوة متخصصة عن حياة ومسرحيات وشعر باكثير من مجموعة من الزملاء والكتاب اليمنيين اضافة الى ان هناك محاضرة وبعض المداخلات المحاضرة سيلقيها الدكتور بدوي وهو الشخص المتخصص وصديق باكثير والذي يرأس الان لجنة بجامعة الكويت للبحث ونشر تراث المرحوم باكثير وفي ذات الوقت أيضا استعدت محافظة حضرموت بان تقدم لنا الكثير من الفعاليات وعلى رأسها الدان الحضرمي المشهور سنقيم ايضا في ليلة من الليالي وستقدم فرقة الرقص الشعبي وامسية فنية في هذه الثلاث الليالي اضافة الى ان فرقة مسرحية من المكلا تقدمت ايضا بفصل من مسرحية باكثير التي هي « مسمار جحا » .

بشكل عام هذا هو المهرجان الذي نريد ان نقدمه ولكن في ذات الوقت نطمح من خلال هذه الفعاليات والنشاط ان نستنتج بعض الخطوط العامة او القضايا العامة التي نريد ان نعمل بها قرارات وتوصيات في المستقبل ويبدو ان على رأس هذه التوصيات والقرارات هي ان نقيم متحفاً دائماً وجيداً للمرحوم في منزله والتوصيات بطبع كتبه وتمثيل مسرحياته وتصوير ما يمكن تصويره على نطاق السينما ولو انه بهذه المناسبة قد مثلت في بلدان عربية وعلى رأسها مصر بعض مسرحياته وبعض روائياته وهذا هو مهرجان باكثير الذي نتحدث عنه ولنا امل في ان يقدم اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين مهرجانا للكثير من اعلام ثقافتنا الوطنية اليمنية على نطاق الادب والفن والتاريخ . ونرجو ان نوفق هذه المرة لانه ستكون هذه التجربة تجربة رائدة ستشكل في المستقبل مثلا جيدا .

ونريد ان نقول باننا نشكر بدقة واضحة الزملاء في الحزب والدولة في

منطقة حضرموت وسيئون على وجه الخصوص الذين مهدوا لنا هذا السبيل وقدموا لنـا المساعـدات الكبيرة كـما نتقدم بـالشكر الجـزيل الى الاخـوة المسؤولين وعلى رأسهم الاخ / الامين العام والاخ / رئيس الوزراء اللذان في حقيقة الامر قدما لنا كل المساعدات المادية والمعنوية من اجل ان ننجح في هذه المهمة الجديدة والفذة التي نقوم بها لاول مرة .

الاديب الفلسطيني رشاد أبو شاور :

في الحقيقة شيء جيد ومفرح ان نكون في البلد الذي انجب الاديب علي احمد باكثير احد مؤسسي الحركة المسرحية العربية . . في بداية حياته كنت اقرأ لباكثير واتعامل معه ككاتب مسرحي حتى من خـلال اعمالـه المسرحية الشعبية (جلفدان هانم ، حبل الغسيل) وما شابهها . وكـان يكتب مستفيدا من التراث الفرعوني وكتب علي باكثير مسرحيات عن عدونا مثل (شعب الله المختار) . و (اله اسرائيل) وغيرها واستفاد من التراث الفرعوني فكتب اخناتون ونفرتيتي والفلاح الفصيح والتي طلب فيها العدل من الملك فيصطدم عندما يرى الملك لا يمنحه عدلا .

ان احياء ذكرى هذا الكاتب والفنان المبدع واحد المؤسسين الـذين اثاروا حوارا وجدلا كبيرا في مصر وفي الوطن العربي ، هو كلمة وفاء ليس من منظور اقليمي لانه يمني ولكن كلمة وفاء لمؤسس من مؤسسي الحركة المسرحية العربية كتابة وترجمة نحن نعرف ان علي باكثير تـرجم (روميو وجولييت) وشكسبير في وقت مبكر وقد ترجمها بطريقة الشعر المرسل كما يقولون وبشيء من التصرف .

ولكن هذا كان كما ترك . . . نستفيد من التراث الفرعوني والحيـاة

الشعبية المعاصرة وهذا شيء جيد وجميل اننا نحتفل الان بعلي احمد باكثير وقد كان هذا الرجل كثيرا في الادب فعلا كقيمة وعطاء وتأسيس . . حتى انكم وللحق الان تدفعون جيلا جديدا نسي او اخذ يمر على الاسماء بدون تعمق ربما تعيدون هذا الجيل الى دراسة علي أحمد باكثير من جديد ليس على المستوى اليمني ولكن على مستوى الوطن العربي الكبير ومن جهتي فانني انتبهت مؤخرا الى اعماله المسرحية التي كتبها مثل (شيلوك الجديد) مستفيدا من مسرحية تاجر البندقية لشكسبير . وسألت نفسي لماذا لم نستفد من جديد كي ارى كيف كانت نظرته لعدونا واعتماده على الميثولوجيا والاسطورة وما شابه ذلك والاستعلاء ازاء البشرية كلها وكيف تعامل علي باكثير المثقف عربيا واسلاميا مع هذا العدو وفكره .

فعلا عندما هبطنا حتى من الطائرة نظرت الى المكان فشعرت كأنني في مكان مسرح . . مكان مستوى . . ثم محاط بجبال بطريقة تثير الدهشة والذهول . . والمناخ جميل والحياة فيها شيء من التشابه مع مدينة فلسطينية عشت فيها فترة مبكرة . شيء جميل ان يعود علي احمد باكثير الى سيئون وان يتحول بيته الى متحف هذا وفاء ويدل بصراحة وبلا مجاملة على نهوض ثقافي في اليمن الشقيق وجميل جدا ان الذين يحتفلون به هم كتاب اليمن جميعا باتحادهم الواحد الموحد .

يشرفنا جدا ويسعدنا جدا زملائي وانا من فلسطين وسوريا ومن ليبيا ان نشارك في هذا الاحتفال . . او ان نتعلم بالحقيقة من هذا الاحتفال عن علي احمد باكثير . . عن الحياة التي عاشها . . عن المدينة عن المنطقة القريبة التاريخية الاثرية الهامة (شبام) التي تثير الان انتباه العالم وانا لم اراها . . قرأت عنها كل هذا يتداخل ويوحي بعمق حضاري بعيد من جهة وجذور ثقافية قريبة وحية لانساننا العربي الواحد حيثما كان من جهة اخرى

ابراهيم الحضراني :

حقا لقد كان اقامة المهرجان لفتة جيدة وفي مثل هذه الظروف بالذات ولذكرى علي احمد باكثير بالذات هذا الرجل الذي ترك بصماته على الحياة باختلافها . . الرجل الذي كان له اعظم الاثر في بث الوعي وتحفيز الهمم ومحاربة الخرافات . . في شمال الوطن وجنوبه لا اقول ان أثره اقتصر على حضرموت وعدن بل تعدى الى وراء الحواجز ايام الامام ايام كانت اليمن معزولة لقد وصلنا انتاجه وكنا نردد ما يقوله علي احمد باكثير :

مضى زمـن الجـمـود فـودعـوه ووافـاكـم زمـان العـاملينـا
زمـان لـيس يسـمـو فيـه الا عصـامي جرى في السـابقينا

ومن هذه القصيدة البيت المشهور الذي ما زال يردده كثيرون :

ولـو ثقفت يـومـا حضـرميـا لجـاءك آيـة فـي الـنـابغـينا

وقد شهدنا كيف تحققت فراسة علي احمد باكثير ونحن نشاهد جميع الشباب والشابات يتلقون التعليم وننتظر منهم تحقيق هذه النبـوة ليست منهم فقط فمنهم ومن كل منطقة في اليمن وليست مدينة حضرموت الا رمزا لليمن كلها . . كما في القرآن : لقد كان لسبأ ليس القصد سبأ وحدها وانما يقصد بها اليمن . .

فعلي احمد باكثير اذ قال حضرمـوت فهو اراد الخصـوص والمراد بـه العموم .

المهرجان فرصة لاحياء آثار علي احمد بـاكثير . . فهي ليست سهلة وهي كانت هادفة لخدمة امته وبلاده وتراثه . . وكان المهرجان حافزا للتتبع وان شاء الله للقدوة الحسنة التي ننتظرها .

وشكرا . . .

عبد الرحمن الامير :

الواقع ان الاستاذ علي احمد باكثير قمة من القمم العربية التي صنعت وساهمت في خلق الجيل الثقافي في بلادنا .. في اليمن في الجنوب وفي الشمال على السواء .

نحن قرأنا لعلي احمد باكثير كما اذكر في الستينات وا إسلاماه كما تتابعت رواياته ومسرحياته ودواوينه وتابعنا ذلك .. فكان استاذا من اساتذتنا الذين قرأنا له ودرسنا عليه بواسطة الكتاب . وللاسف اننا لم نلتق بعلي احمد باكثير لاننا نعتبر من الجيل الذي بعد علي احمد باكثير .

علي احمد باكثير كان عربيا صادقا مع نفسه ومع فكره ومع الادب ذاته .. وتحدى بإيمانه وصموده كل الصعاب وحارب كل المعتقدات الخرافية التي سيطرت على مجتمعنا حتى تخلصنا من بعضها بانتهاء الحكم الامامي في الشمال والحكم البريطاني في الجنوب . ولعلي احمد باكثير دور عظيم في صنع العربي الصحيح ولهذا فالمهرجان الذي يقام اليوم لاحياء ذكرى علي احمد باكثير فرصة من الفرص العظيمة ومناسبة جيدة لاحياء تراثه واعادة صموده ونضاله في نفوسنا ونفوس الشباب الذين لا يعرفون عن علي أحمد باكثير الا الشيء القليل سواء ان كان في حضرموت أو في صنعاء .

وشكرا . . .

مبارك حسن خليفة :

الحقيقة الامة المتحضرة ، التي تسعى جاهدة لتخليد مفكريها وادبائها وشعرائها الى آخره .. والاخ / الاديب الكبير علي احمد باكثير جمع بين

الشعر والقصة والمسرحية وكان رائدا في مجالات عديدة وكان لا بد من تخليد ذكراه وانا سعيد جدا جدا اولا بحضوري هذا المهرجان ثانيا بكل هـذا الاعداد الجيد لتخليد ذكرى علي احمد باكثير .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان اليمن سواء اكان على الصعيد الشعبي أو الرسمي او على صعيد اتحاد الادباء الفرع او اتحاد الادباء اللجنة الكبرى تهتم اهتماما كبيرا بالانسان . . والانسان كما يقال اغلى رأس مال وعلي احمد باكثير رأس مال غال وغال جدا وهذا التمجيد فيه حافز للادباء وللابداع وللعطاء وفيه حافز أيضاً للاهتمام بالتراث .

نشكر لهم وهذا انطباع سريع جدا لان المهرجان يمكن ان يقال عنه اكثر من ذلك بكثير .

شكرا .

الدكتور / عبده بدوي (جامعة الكويت) :

(ـ) ابتداء احب ان اقول انني في هذه الفترة بالذات كنت مدعوا الى مهرجان الشعر العالمي في الفيليبين ولكنني رفضت هذا وسعدت بالدعوة التي تلقيتها من اتحاد الادباء في اليمن واعتبرت هذا مكسبا كبيرا جدا وهذه لفتة رائعة وذكية بالنسبة لادبينا الكبير علي احمد باكثير وان كنت أطمع واتمنى ان تتجدد هذه الذكرى بحيث يكون المهرجان سنويا ذلك لان علي احمد باكثير ليس شاعرا فقط نقول فيه كلمات ثم ينتهي هذا الجانب منه ، ولكن علي احمد باكثير ثروة قومية وانسانية كبيرة جدا حيث إن له العديد من الجوانب فهو ليس شاعرا فقط غنائيا كما نعرف ولكنه مسرحي روائي اديب عظيم ، مفكر عظيم . كل هذه الاشياء يجب او احب واتمنى على

المسؤولين وعلى اتحاد الادباء بصفة خاصة ان يستمر هذا المهرجان سنويا حيث يكون مهرجان باكثير فرصة لاشياء كثيرة وافكار كثيرة تثار حول هذا الاديب الكبير وانا لا اريد ان اضعه ابتداء من الدائرة التي رأيتها على بعض اللافتات . مثلا انه الاديب الحضرمي او الاديب اليمني ذلك لانني اعتبره اديب كل العرب اساسا فعلي احمد باكثير مفخرة كبيرة للعرب وثروة كبيرة للعرب بلا شك وللعرب جميعا في علي احمد باكثير مثل ما لليمن شمالا وجنوبا في علي احمد باكثير . . .

(-) ابتداء استطيع ان اقول وانا مستريح الضمير العلمي انني في دراستي عن علي احمد باكثير وجدت له مفاتيح كثيرة ولكن المفتاح الذي رأيته وعرفته كان في سيئون اساسا ذلك انني حين عرفت طبيعة هذه المنطقة ورأيت الجبال محيطة بهذه المنطقة ورأيت الارض الحنون التي تظهر الخضرة الى جانب الجبل الضخم الى كل هذه الاشياء اعطتني مفتاحا عن علي احمد باكثير وهذا المفتاح اسميه مفتاح التحدي . . ففي شخصية علي احمد باكثير ونحن نعرف انه كان ضعيف البنية الى حد ما . . الا انه كان متحديا اساسا لاشياء كثيرة .

فنحن نعرف انه تحدى البيئة هنا وفي هذه الفترة كانت البيئة متخلفة الى حد كبير وكان هناك استعمار وكانت هناك اشياء كثيرة ولكنه تحداها وتعلم تعليما وطنيا ان صح ان نقول هذا . . ثم بعد ذلك رأيناه يتحدى نفسه كان من الطبيعي وقد تلقى تعليمه عربيا محضا وتلقى بعض التعاليم الدينية التي كانت موجودة في هذه الفترة الا انه حين ذهب الى القاهرة وكان من الضروري ان يذهب الى الازهر او ان يذهب الى قسم اللغة العربية ولكنه تحدى نفسه وهذا هو المفتاح الجديد الذي وصلت اليه . . فذهب الى قسم اللغة الانجليزية . . يعني أن رجلاً لم تكن له صلة ودراسة منظمة في

المدارس وفي دراسة اللغة الاجنبية الا انه تحدى هذا وحين ذهب الى هناك تحدى حضارته ذلك لاننا نعرف ان حضارته العربية تهتم بالشعر الغنائي ولكنه تجاوز هـذا الشعر الغنـائي وكتب في المسرح ونحن نعـرف أن في الحضارة العربية لا يوجد عندنا تقاليد مسرحية بل ان هناك المقولـة التي تقـول ان المسرح مسـرحية والملحمـة ليست موجـودة في الادب العـربي وللعرب موقف من هذين الشكلين ولكنناً نرى علي احمد باكثير مسرحياً فقط ولكنه الى جانب انه مسرحي فقط نستطيع ان نقول انه كتب الاوبرا مثلا في (قصر الهودج) ما لا يعرفه البعض . نستطيع ان نقول انه كتب الاوبريت مثلا في (شادية الاسلام) يفي الشروط الموضوعة عالميا للاوبرا ما يمكن ان نجدها في (قصر الهودج) الشروط العالمية المعروفة فيما يسمى بنظام الاوبريت موجودة اساسا في ما سميناه (بشادية الاسلام) او العمل الفني حين ظهر سمي (بالشيماء) وهو الفلم المعروف في هذه القضية . . فاذا علي احمد باكثير موسوعة وكتب اشياء عظيمة جدا ورائعة جدا ونحن نعرف ان المسرح القومي ما كان يفتتح الا بعلي احمد باكثير فمع اننا نقدر الاديب الكبير توفيق الحكيم الا انه من المعروف ان مسرح علي احمد باكثير مسرح بمعنى كلمة مسرح التي هي الحركة اساسا بينما مسرح توفيق الحكيم مثلا هو مسرح ذهني يدور في الذهن اساسا الاديب العربي الذي ادار دور الواقعية في المسرح العربي واعطانا الشي الجديد الذي كـان مفقوداً لا في عصر واحد من عصور الحضارة العربية فقط ولكن في كل العصور هو علي احمد باكثير . . فعلي احمد باكثير شيء ضخم وكبير جدا لا تقف اقامته عند فن من الفنون ولكنه كـان مجموعـة في الفنون والـرائع انـه يتفوق فيهـا جميعـا . . حين كتب الـرواية تفـوق فيها بـأحدث اسلوب وحـين كتب المسرحية تفوق فيها الى ابعد الحدود من كل هذا وبمعرفتي للمفتاح الذي

عرفته في بلد الاديب الكبير استطيع ان اتوصل الى شيء معروف وهو ما يسمى بعبقرية المكان ففي هذا البلد عرفت ما يسمى بعبقرية المكان وهذه قضية اخرى ولكنني وصلت الى ما سميته مفتاح الشخصية بالنسبة لعلي احمد باكثير وهذا مفتاح لم اعثر عليه الا في هذا البلد المضياف .

وشكرا . . .

الدكتور / مصطفى أحمد عبود (جامعة الكويت) :

لقد اعجبت اشد الاعجاب بالتنظيم لهذا المؤتمر على اعتبار انه المؤتمر الاول ولا شك ان لباكثير ديناً كبيراً في اعناقنا فهو شاعر الوطنية وشاعر العروبة وشاعر الانسانية ولعل اكبر رد لهذا الدين هو ان نعيد كتابة تراث باكثير حيا لننشره على الجماهير العربية وفي كل مكان ولكي يكون هذا المهرجان مهمازا لتحريك هذا التراث الخالد ولا شك أن عبقرية باكثير من العبقريات الرئيسية ولكن باكثير لم يكن ينطلق من العبقرية) فقط وانما كانت كتاباته صناعة كبيرة للفن المسرحي الذي يحتاج الى الابداع والى امعان الفكر والى الكد لتخرج المسرحية في كل ابعادها ويكفي باكثير فخرا انه في البلد العربية مصر كان المسرح القومي في مصر يفتتح بمسرحيات باكثير قبل المسرحي توفيق الحكيم وغيره مما يدل على المكانة الذي بلغها هذا الاديب اليماني العربي الانساني في كتابه الفن المسرحي فلتكن هذه الذكرى بداية لجمع تراثه وليكن حضوره دائما على المستوى الوطني والمستوى القومي والمستوى الانساني .

وشكرا . . .

علي بن علي صبرة :

بالحقيقة ان تنظيم هذا المهرجان من الامور العظيمة والتي ان دلت على شيء فانما تدل على وعي ومجد وفهم وانصاف في نفس الوقت للرموز اليمنية التي شقت الظلمة في الماضي والتي كسرت اسوار العزلة والتي واجهت وحاربت الاضاليل والمخططات وكل الاحباطات في الماضي ولولاها لما وجد هذا الغد المشرق والحاضر المشرق الا بفضل نضالها وتضحياتها وصبرها . واتمنى ان لا تكون الاولى او الاخيرة ، فاليمن زاخرة بالافذاذ والابطال والمضحيين الذين صنعوا مستقبل اليمن ، وفتحوا الطريق أمام الاجيال القادمة ، ونحن على اضوائهم وعلى جهادهم نعبر الجسر الذي يمد بين ماض متخلف وبين مستقبل الوحدة والديموقراطية والتقدم الذي نأمل ونسعى ونناضل الان من اجل الوصول اليه .

وشكرا . . .

عباس الديلمي :

يسعدني ان اعبر عن ارتياحي للنجاح الذي حققه المهرجان ، وهذه تعتبر احدى ثمار اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين ، وحقيقة ان هذا اقل ما يمكن ان يقدم بالنسبة للاديب الكبير علي احمد باكثير ولقد سعدنا جدا بالرعاية التي حظي بها المهرجان من قبل الحكومة والاقبال الشعبي الذي تميز به هذا المهرجان .

وشكرا . . .

محمد الشامي :

الحقيقة ان البادرة التي قام بها اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين بالتعاون مع الاخوة المسؤولين في حكومة جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية في الشطر الجنوبي من الوطن الحبيب يعد بادرة ايجابية وجيدة وتعتبر سنة سنها الاتحاد في سبيل تكريم الادباء والكتاب اليمنيين من مبدعي اليمن الذين ساهموا بجهودهم الفكرية والثقافية في اثراء الحركة الادبية اليمنية والعربية بشكل عام .

شكرا للاتحاد . . شكرا لحكومة جمهورية اليمن الديموقراطي الشعبية .

القرارات والتوصيات التي خرج بها المهرجان الاول للاديب اليمني الكبير علي أحمد باكثير / المقام في سيئون خلال الفترة من ٢١ الى ٢٣ ديسمبر ١٩٨٥ م

الاخوة الضيوف

الزملاء اعضاء الاتحاد :

باسم المجلس التنفيذي والامانة العامة لاتحاد الادباء والكتاب اليمنيين نشكركم جميعا على هذه المشاركة الفعالة التي لم يحصل لها مثيل من قبل في مسار نشاط اتحادنا .

وبدون ترتيب وتسلسل لهذا الامتنان ، نتقدم بالشكر الجزيل للرئيسين اليمنيين علي ناصر محمد وعلي عبد الله صالح ، اللذين ساعدا الاتحاد معنويا وماديا من اجل انجاح المهرجان ، ويسرنا ان نعبر بفائق التقدير للاخ / المهندس حيدر العطاس رئيس الوزراء الذي تجشم الصعاب وشاركنا في فعاليات المهرجان .

وحتى لا ننسى فضل الاعزاء في انجاح هذا العمل الثقافي ، نقول كلمة وفاء للاخوة المسؤولين في محافظة حضرموت . ابتداء من سكرتير منظمة الحزب ورئيس المكتب التنفيذي ، والمسؤول الحزبي في سيئون

. والمأمور ومسؤولي اجهزة الثقافة والاعلام ، بما في ذلك اللجنة التحضيرية واعضائها في سيئون الذين لولاهم لما نجح هذا المهرجان .

وبعد الشكر والامتنان . . ومن خلال الانشطة الثقافية في المهرجان وعلى هامشه ، نود التأكيد على ان مهرجان باكثير . وفي سيئون كان لا بد ان ينجح من خلال كل الفعاليات التي قدمها الشعراء والدارسون والفنانون والتي من خلالها يوصي مهرجاننا بالتالي :

أولا :

أ) يوصي المشاركون بان تعتبر كل الفعاليات التي قدمت وثائق رسمية للمهرجان الاول لعلي احمد باكثير . .

ب) تطبع الدراسات التي قدمت في الندوة والمحاضرات التي قرئت والتي لم تقرأ .

ثانيا :

أ) يوصي المشازكون لجنة سيئون لاتحاد الادباء والكتاب اليمنيين باحياء ذكرى باكثير سنويا .

ب) يوصي المشاركون اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين واجهزة الثقافة والاعلام في الوطن اليمني بوضع تقليد راسخ لاحياء ذكراه اليوبيلية .

جـ) يوصي المشاركون بان يصبح « دار السلام » منزل باكثير متحفا باسمه يجمع فيه كل ما انتج باسمه . مطبوعا او مسموعا او مرئيا بما في ذلك كل ما يتصل بحياته الشخصية .

د) يوصي المشاركون بنشر انتاج باكثير على نطاق المسرح والشعر الفصيح

والعامي على السواء « كأعمال كاملة » ويتبنى اتحـاد الادباء عمليـة الطبع والنشر والاخراج .

هـ) يوصي المشاركون الاتحاد بوضع تمثال نصفي للفقيد امام متحفه ، كتقليد يعمل به لكافة المبدعين في المستقبل .

و) يتبنى الاتحاد فكرة اطلاق اسم باكثير على بعض المؤسسات الثقافيـة والتربوية في وطنه اليمن .

ز) يعمم الاتحـاد عن طـريق اجهـزة التعليم نشر انتـاجـه في المـدارس كنصوص ونشاط مسرحي .

حـ) يـوصي المشاركـون الاهتمـام بـالبحث عن كـل ميـراثـه في مصر واندونوسيا وفـي وطنه حتى تشكل محصولا للبدء في تأسيس المتحف وللنشر والتصـويـر والاذاعـة والبث التلفـزيـوني ، ومـادة للبحث الاكاديمي في جامعاتنا المحلية على نطاق المستقبل .

ثالثا :

أ) يوصي المشاركون الاتحاد بتبني قضية الدفاع عن الحقوق الكاملة ماديا ومعنويا للاديب الكبير باكثير محليا وعربيا ودوليا .

ب) يوصي المشاركون بالاهتمام برعاية اسرة المرحوم الاديب باكثير وذويه ودعم كل الذين يتبنون مسألة البحث عن ميراثه .

ايها الزملاء الضيوف

الاخوة اعضاء اتحاد الادباء

خيرا فعلتم حين اقمتم مهرجانا لكاتب عظيم منكم ونتمنى لكم دائما على هذا الطريق النجاح . .

وشكرا . . .

الفهرست

صدر عن دار الحداثة لعام ١٩٨٥

- تطور نظام ملكية الإراضي في الاسلام .... محمد علي نصر الله
- من وثائق الصراع العربي الصهيوني ١/ ١٠ .... د.سمير أيوب
- تغريب التراث العربي .... د. محمد عيسى صالحية
- التاريخ الإقتصادي للشرق الاوسط وشمال افريقيا (مجلد) .... شارل عيسوي
- تاريخ العرب في سوريا قبل الإسلام .... رينيه ديسو
- مدخل إلى التحليل البنيوي للنصوص .... إشراف: دليلة مرسلي
- العرب والديمقراطية .... د. خليل أحمد خليل
- العرب والقيادة ـ بحث في علم اجتماع القيادة عند العرب .... د. خليل احمد خليل
- المفاهيم الاساسية في علم الاجتماع .... د. خليل احمد خليل
- الفكر السياسي عند أبي الحسن الماوردي .... د. أحمد مبارك البغدادي
- فلسفة الرفض .... باشلار ـ ترجمة د. خليل احمد خليل
- مذهب الذرائع .... يعقوب فام
- أصل العنف والدولة .... ترجمة وتقديم: علي حرب
- مداخلات : مباحث نقدية حول اعمال : محمد عابد الجابري عبد السلام بنعبد العالي ، حسين مروه ـ سعيد بنسعيد ـ هشام جعيط .
- الفكر الاوروبي ١/ ٢ .... بول هازار
- مشكلتا الوجود والمعرفة في الفكر الاسلامي .... عطية عاذرة
- تاريخ الإمارات العربية في العصور الوسطى .... ماكيافلي
- النقود والسياسة النقدية في الاقتصاد اليمني الحديث .... عبد العزيز أحمد سعيد المقطري
- الصراع التكنولوجي الدولي .... شيرمان جي ـ ترجمة آمنة المصري نور الدين
- كيف نبني بيتاً؟ .... اعداد وتقديم المهندس علي حمود ـ ترجمة المهندس أسعد ادياب
- هموم الثقافة العربية .... أعداد وتقديم: فرحان صالح
- شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة .... د. عبد السلام الشاذلي
- حول قضايا التغريب والتجريب في الأدب العربي المعاصر .... د. عبد السلام الشاذلي
- السمات الواقعية للتجربة الشعرية الجزائرية .... زينب الاعوج
- كنوز الأشعار الذهبية ، مختارات من الشعر الانكليزي .... ترجمة: حكمت تلحوق
- علم الجمال .... هنري لوفيفر
- فصول في النقد .... غالب هلسا
- النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب .... د. محمد الصغير بناني
- الشعر في إطار العصر الثوري .... د. عز الدين اسماعيل
- اثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم .... سعديت آيت حمودي
- بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ .... د. بدري عثمان
- استعادة المبادرة كيف يمكن للعلوم العربية الاسلامية ان تنهض؟ .... د. محمد عبد السلام
- فصول من تاريخ الثورة اليمنية (عبد الناصر واليمن) .... د. عبد العزيز المقالح
- مسرات حجرية .... نادر هدى
- لغة الجنوب .... فرحان صالح
- احزان مرئية .... كامل صالح
- مقالات الإسلاميين ١ / ٢ .... الاشعري
- الصحاح . منجد عربي ـ عربي .... للامام الرازي
- جمهرة خطب العرب ١ / ٣ .... صفوت
- القانون الدستوري والانظمة السياسية .... د. أحمد سرحان
- التعويض عن الضرر المعنوي في المسؤولية المدنية (دراسة مقارنة) .... د. السعيد المقدم
- نظرية الغلط في القانون والشريعة .... د. حسين عطا
- نظرية الباعث في الشريعة الاسلامية .... حليمة آيت حمودي
- نظرية الاستغلال في الشريعة والقانون .... د. حلو عبد الرحمن ابوحلو
- الانهاء التعسفي لعقد العمل .... د. عبد الحفيظ بلخيضر

بيروت ـ طريق المطار ـ شارع مدرسة القتال ـ بناية حلمي عويدات ـ تلفون ٨٣٣٩٨٩ ـ ص.ب: ٥٦٣٦ / ١٤ ـ بيروت ـ لبنان

دار الحداثة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
ص.ب: ١٤٥٦٣٦ ـ تلفون: ٨٣٣٩٨٩ بيروت ـ لبنان